



السياسة العربية

والشيعة واليهود

في عهد بني أمية

(تأليف فان فلوطن)

La Domination Arabe, le Chi' itisme et les Croyances Messianiques sous le Khalifat des Omayyades. Par G. Van Vloten.

ترجمه عن الفرنسية وتقدمه وعلق عليه

الدكتور إبراهيم حسن

محمد زكي إبراهيم

الحائز لشهادة العالمية ،

واجازة التاريخ والاخلاق من

كلية اللغة العربية بالجامعة الازهرية

والمترجم بمصلحة المساحة .

دكتور في الفلسفة (Ph.D.) ،

ودكتور في الآداب (D.Lit.) في التاريخ

الاسلامي من جامعة لندن ، وعضو الجمعية

الاسيوية الملكية بالانجلترا (M.R.A.S)

والاستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية

الطبعة الاولى سنة ١٩٣٤

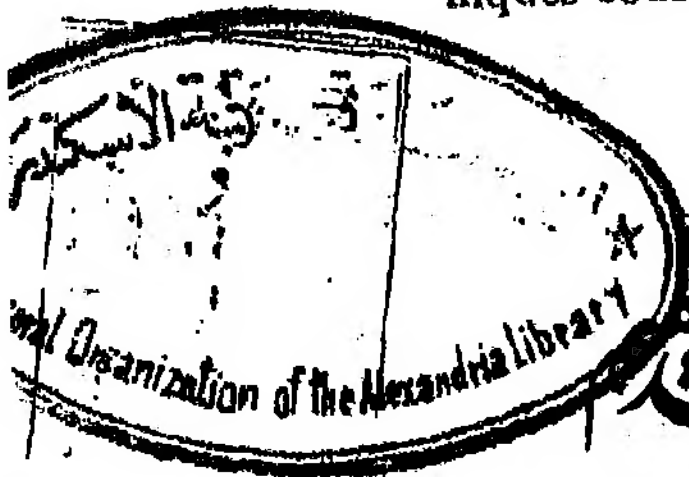
المنشور النجاشي

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمترجمين ﴾

مطبعة النجاشي بدار مجازة قاهرة

خفف حد طبعه بكون
الحسين محمد محمد محمد
نشره على ان يكون
لكن

سنة ١٩٣٨
١٩٣٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

طالما كان يشير الأستاذ المرحوم السير توماس أرنولد في محاضراته بجامعة لندن إلى كتاب « فان فلوتن » حين كنت طالباً بقسم التاريخ الاسلامى بهذه الجامعة . ولما انصرفت للبحث وإعداد رسالتى لامتحان الدكتوراه ، كان هذا الكتاب من أهم المصادر التى اعتمدت عليها ولا سيما فيما كتبتة عن الشيعة . ولما ذهبت إلى مدينة ليدن بهولندة للبحث والاطلاع على بعض المخطوطات أردت اقتناء نسخة من هذا الكتاب لنفسى . فلم أستطع تحقيق هذه الأمنية ، على حين أنه لم يمض على طبعه إلا ثلاث وثلاثون سنة . ولم أجد منه سوى نسخة واحدة بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن . فلما أتممت دراستى وعدت إلى مصر فى أوائل سنة ١٩٢٨ نذبت لتدريس التاريخ الاسلامى بقسم التخصص بالجامعة الأزهرية حيث يفرض على طلبة السنة النهائية تقديم بحث فى الموضوع الذى يتخصصون فيه . وقد اختار شريكى الشيخ محمد زكى ابراهيم « الدولة الأموية بين عوامل الانحلال والفناء » موضوعاً لرسالته ، فأشرت عليه بالرجوع إلى كتاب « فان فلوتن » والاعتماد عليه فى بحثه . وهكذا استفاد كل من الأستاذ والتلميذ من هذا

(ب)

الكتاب في رسالته . لذلك اتفقت رغبتنا على نقله إلى اللغة العربية ليستفيد منه الناطقون بالضاد .

وقد عالج المؤلف في كتابه ناحية من نواحي التاريخ الاسلامي قلما سبقه اليها أحد من المستشرقين . ولا غرو فقد أمدنا بطائفة قيمة من المواضيع الجديرة بالبحث في تاريخ الدولة الأموية ؛ من ذلك ما كتبه عن الخراج ، وحالة الموالي السياسية والاجتماعية ، وسياسة عمر بن عبد العزيز نحوهم وأثرها ، ثم عن الثورات التي أذكي نارها الخوارج . كما أفرد باباً مطولاً عن الشيعة ، وعقائدها ، وطوائفها المختلفة ، وعن غيرها من الفرق الدينية كالخرمية والراوندية ، وبين إلى أي حد استفاد العباسيون من قيام هذه الطوائف المختلفة في نشر دعوتهم في العراق ثم في خراسان . وقد فطن المؤلف إلى ما لم يفطن اليه غيره من المؤرخين من أسباب سقوط الأمويين ، فأفرد باباً طويلاً تكلم فيه عن العقائد غير الاسلامية التي أخذها المسلمون عن المسيحية واليهودية وغيرها من العقائد الفارسية القديمة - وهو ما يسميه علماء المسلمين « الاسرائيليات » - ولا سيما ما يتعلق منها بالتنبؤ بمصير العالم ، ورجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال . كذلك أفاض الكلام عن عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الاموية . وبالاختصار فقد أرجع « فان فلوتن » سر انتصار العباسيين إلى ظهور ثلاثة عناصر هامة : (١) الكراهة المستأصلة التي كان يكتنها أهل البلاد المغلوبة للفتاحين من العرب (٢) الشيعة وهم أنصار أهل البيت (٣) انتظار مخلص أو هاد (Messie)

وقد سلك المؤلف في بحثه هذه الموضوعات طريقة تحليلية دقيقة ، كما ناقش المصادر العربية ومحض ما ورد فيها من الحقائق التاريخية تمحيصاً يدل على دقة البحث وسعة الاطلاع ، كما يتبين لنا ذلك من هذه المصادر العربية والأجنبية الكثيرة التي اعتمد عليها . ومما يمتاز به هذا الكتاب أن

(ج)

مؤلفه لم يقتصر في بحثه على الكتب التاريخية فحسب ، بل استعان على كشف بعض المسائل بالقرآن الكريم وكتب السنة والأدب والمذاهب .

ولم يقتصر عملنا على مجرد نقل الكتاب إلى اللغة العربية ، بل عنيينا في الوقت نفسه بنقد بعض ما ذهب اليه المؤلف من الآراء التي لا تتفق والبحث التاريخي النزيه . من ذلك ما ذهب اليه من القول بأن الاسلام قد انتشر عن طريق الارهاب لا عن طريق الأقتناع بالحجة والدليل . كذلك ما ذكره من بغض أهالي البلاد التي فتحها العرب للاسلام ومحاولتهم الارتداد عنه ، وأن المسلمين كانوا يضطهدون أهالي البلاد التي فتحوها ، وهو مالا يتفق مع روح الاسلام وخلق الرسول ثم خلفائه من بعده . يؤيد ذلك قوله تعالى في نبيه (وإنا لك لعلی خلق عظیم) (فبما رحمة من الله لنت لهم . ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ، ثم قوله عليه الصلاة والسلام « ألا كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته . فالأمام الذي على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، ثم ما ذكره ابن عبد الحكم « من أن رجلا من أهل مصر أتى إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ! عائد بك من الظلم . قال : عدت بمعاذ . قال : سأبقت ابن عمرو بن العاص فسبقتة ، فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بانه معه ، فقدم . فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين . ثم قال للمصري : ضعنه على صلعة عمرو . قال : يا أمير المؤمنين ! إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه .

(د)

فقال عمر لعمر : مُذْكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟
قال : يا أمير المؤمنين ! لم أعلم ولم يأتني .

كذلك عنينا بشرح بعض ماورد بالكتاب من المسائل مما قد يستعصى
على القارى فهمه . من ذلك شرح مذاهب الاشرافية والالاءدرية ، والمناوية
والبابية ، والاسرائليات ، ثم شرح بعض الالفاظ العربية وبيان بعض البلدان ،
كما رجعنا الى المصادر العربية التى أخذ عنها المؤلف مما مكننا من تصحيح
ما أخطأ فى نقله . كذلك حرصنا على نقل العبارات المقتبسة بنصها من
المصادر العربية . وقد اقتصر المؤلف على تقسيم كتابه الى ثلاثة أبواب ، كل
منها يشتمل على فصول اكتفى بالاشارة الى كل منها برقم لاتينى . لذلك
عنينا بوضع عناوين لكل فصل من فصول الكتاب ، حتى يسهل على القارى
معرفة الموضوع الذى يتكلم عنه المؤلف ، كما يسهل على الباحث أيضاً
الاهتداء الى المسائل التى يريد بحثها . وقد أشرنا الى النقد والتعليقات والشروح
التي أتينا عليها بعلامة X أو X X . ومما يؤخذ على الكتاب خلوه من
فهرس يسهل على القارى استقصاء ما اشتمل عليه من الحوادث التاريخية .
لذلك عنينا عناية خاصة بعمل فهرس للأعلام والمصادر والبلدان وغيرها من
الاسماء التى تدل على حوادث تاريخية هامة . وقد أعنتنا عنتا شديداً فى نقل
الكتاب وضع المؤلف له باللغة الفرنسية ، تلك اللغة التى لا يحسن التعبير
بها كما صرح بذلك فى مقدمته .

وبالرغم من ذلك فالكتاب فى جلته كنز ثمين يدل على ماامتاز به المؤلف
من دقة البحث وسعة الاطلاع وتقصى الحقائق . وهو مما لا يستغنى عنه
المشتغلون بالتاريخ الاسلامى فى مصر والشام وفلسطين ، والهند وبلاد العرب
والعراق ، وبلاد المغرب وغيرها من الأقطار الاسلامية ، كما يستفيد منه
المستشرقون ولا سيما من تلك الردود والتعليقات التى ألقت قبسا من النور

(٥)

على الكثير من المسائل التي تصدى المؤلف لبحثها . وقد استعنا في ذلك بالكثير من كتب التاريخ والفقه والحديث والمذاهب ، وكذا المصادر التاريخية مما يزيد — بلا ريب — في قيمة الكتاب من الوجهة التاريخية . على أننا نترك للعلماء والباحثين في التاريخ الاسلامي استدراك ما عسى أن نكون قد تركناه من الردود . وإنما اقتصرنا في ردنا وتعليقنا على هذا القدر لئلا نخرج عن القصد ولكيلا يغرق الكتاب بين التعليق والرد .

وقد تحررنا جهدنا الأمانة في النقل وتفهيم المسائل التاريخية وشرحها في ضوء المصادر الأصلية التي أخذ عنها المؤلف . ونرجو أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق في نقل ما كتبه بعض المستشرقين عن التاريخ الاسلامي ورأيهم في الاسلام والمسلمين ، حتى يكون القارئ على بينة من رأى هؤلاء في المسلمين بوجه عام والشرقيين بوجه خاص . ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب ندرته ، حتى إنه لا يوجد منه الآن سوى نسخة واحدة بدار الكتب الملكية ، وهي النسخة التي نقلنا عنها .

ولعل هذا يثير اهتمام وزارة المعارف والجامعة إلى العناية بدراسة التاريخ الاسلامي في مصر والشرق ، وإحلاله المحل اللائق به بين الدراسات المختلفة . ففي دراسته تعرف تاريخ المدنية الاسلامية التي أشرقت شمسها على العالم في الوقت الذي كانت فيه أم الغرب لا تزال يغمرها الجهل وتعمها الفوضى في كل ناحية من نواحي الحياة . وقد عرفت الأمم الأوربية فضل هذا النوع من الدراسة ، فسبقتنا إلى الاهتمام به ، وأنشأت الكراسي بجامعةاتها . ولم تأل جهداً في تشجيع المشتغلين بالتاريخ الاسلامي بالألقاب والمناصب والمال ، حتى برز فيه الكثيرون من المستشرقين وحتى أصبحنا عالة عليهم نأخذ عنهم تاريخ بلادنا وقوميتنا . كما نرجو أن ينبه ذلك إدارة المعاهد الدينية إلى أهمية ما كتبه المستشرقون عن الاسلام بوجه خاص ، فتعمل على ترجمة

(و)

الكثير من مؤلفاتهم التي كتبت بمختلف اللغات والرد عليها إذا ما مالت
عن الحق أو انحرفت عن الصواب .

ونعتذر للقارئ على وقوع بعض أغلاط مطبعية أشرنا إليها في آخر
الكتاب .

وتقدم جزيل شكرنا لحضرة الأستاذ الدكتور أحمد ضيف لتفضله
بمراجعة جزء من هذا الكتاب .

القاهرة في ٤ شوال سنة ١٣٥٢ هـ - ٢٠ يناير سنة ١٩٣٤ م

حسن إبراهيم حسن - محمد زكي إبراهيم

(ز)

محتويات الكتاب

صفحة

١

مقدمة المترجمين

١

مقدمة المؤلف

الباب الأول

السيادة الغريبة

٥

١ — كيف انتشر الاسلام؟

٢١

٢ — الفتوحات الاسلامية في نظر بني أمية

٢٦

٣ — الخراج

٣٥

٤ — حالة الموالى السياسية والاجتماعية

٤٤

٥ — الحالة في خراسان

٥٦

٦ — سياسة عمر بن عبد العزيز نحو الموالى وأثرها

٦٠

٧ — ثورة الحارث بن سريج

الباب الثاني

الشيعة

٦٨

١ — نشأة الفرق الاسلامية

٧٤

٢ — عقائد الشيعة

٧٩

٣ — طوائف الشيعة

٩٠

٤ — الهاشمية

٩٦

٥ — الحرورية والراوندية

١٠٣

٦ — انتقال الدعوة العباسية من العراق إلى خراسان

(ح)

الباب الثالث

الامسراثيليات

صفحة

- ١ — التنبؤ ببعض الأشخاص والحوادث المعينة ١٠٧
- ٢ — التنبؤ بمصير العالم ١١٤
- ٣ — رجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال ١١٩
- ٤ — عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الأموية ١٢١
- ٥ — قيام الدولة العباسية ١٢٧
- ٦ — خاتمة ١٣١

تذييل

- ١ — الشئون المالية في خراسان وإصلاحات نصر بن سيار ١٣٥
- ٢ — الأمويون يمثلون الجماعة الإسلامية ١٣٧
- ٣ — أسباب ثورة أهل إفريقية ١٣٨
- ٤ — الخوارج في عهد الأخيرين من خلفاء بني أمية ١٤٠
- ٥ — المهديون من غير آل البيت ١٤٢
- ٦ — سليمان بن كثير والكفّية ١٤٦

فهرس السكتاب

- ١ — الفهرس العربي ١٤٨
- ٢ — الفهرس الافرنجى ١٦٤
- خطأ وصواب ١٦٧

مقدمة الكتاب

سنعرض في هذه المقدمة لدراسة تاريخ الحزب العباسي ومدى نشاطه ،
حسبنا تقدم للقارئ طائفة قيعة من الاسباب السياسية والدينية التي انتهت
بسقوط العرش الأموي ، إذ لا نستطيع قط أن ننكر أن سقوط ذلك العرش
لم يبدأ إلا منذ اللحظة التي قام بها أنصار البيت النبوي من دعاة العباسيين
ليحلوا محل الأمويين ، أو بالأحرى منذ الوقت الذي ثار في خراسان حزب
كان على تمام الاستعداد لمناصرة الدعوة العباسية بكل ما فيه من قوة .

فهمتنا إذاً تنحصر في حل تلك المعضلة ، وهي تعرف الأسباب التي
دفعت الخراسانيين إلى أن يشايعوا البيت النبوي . قد يبدو ذلك سهلاً لأول
وهلة . فقد تكلم مؤرخو العرب الذين نستشير بما نقلوه إلينا في هذه المسألة ،
عن نظام الدعوة العباسية التي هيأت النفوس لحكم بني هاشم (أهل البيت) .
ونظن أننا قد أتممنا واجبنا حين نبين للقارئ كيف قامت تلك الدعاية وكيف
وجدت طريقها إلى النفوس .

وقد حاولت جهدي حل تلك المعضلة في رسالتي التي كتبتها عن « أصل
الحزب العباسي » Die obkomst der Abbasiden in Khorasan. Leyde, 1890
معتمداً على ما نقله المؤرخون فيما يتعلق بالدعوة لبني العباس .
وقد تتبعته جهد المستطاع هذه الحركة منذ نشأتها في خراسان حتى اعتلاء
الحزب الجديد كرسى الخلافة .

وأما فيما يتعلق بموضوعنا الذي نحن بصدده فلا يسعني إلا أن أصرح
بأنني لا أستطيع أن أحل أسبابه تحليلاً تاريخياً مرضياً ، إذ أنني مقتنع تمام
الاقتناع أن ما ذكره مؤرخو العرب في ذلك الموضوع ليس سوى تكرار

لحوادث لها نصيب قليل أو كثير من الصحة ، ربما تستر الحقيقة أكثر من أن تكشف القناع عنها ، وذلك لتأثرها بالبلاط في بغداد .

على أن تلك البحوث المتقدمة لم تكن عديمة الجدوى . فقد مكنتني من أن أكون لي رأيا في القيمة النسبية للمصادر العربية ، كما كشفت اللثام عن شئ هو أهم من هذا ، وهو وجود ثلاثة عناصر لها قيمة كبيرة في نظر من يريد أن يتعرف سر انتصار العباسيين وهي : (١) الكراهة المتأصلة التي كان يكتنها أهل البلاد المغلوبة للفاطحيين من العرب الذين يختلفون عنهم في الجنس والذين كانوا يضطهدونهم ويسومونهم الخسف (٢) الشيعة وهم أنصار أهل البيت (٣) انتظار مخلص أو هاد (Messie) .

وإن موضوعا مثل هذا لفي حاجة ماسة إلى بحث أدق وأعمق مما نظن . وكان لزاما علينا ، ولأسيما إذا سلطنا طريقا غير الطريق الذي سلكه مؤرخو العرب ، أن نعنى بوجه خاص بتعرف حال الشعوب المحكومة وعلاقاتها بالشعب الحاكم ، وأن نبحت بعد ذلك أثر تلك العلاقات في انتشار الدعوة الشيعية ، ثم نبين إلى أي حد كان أثر اعتقاد الناس بالاسرائيليات (١) ، وإلى أي حد ساعد ذلك الاعتقاد بانضمامه إلى الأسباب السالفة الذكر على الدعوة لبني العباس .

وإلى القارئ خلاصة تلك البحوث الجديدة ، عليها تعدل الشئ الكثير مما كان يذهب اليه المؤرخون في الحكم على العصر الأموي ، والتي لا تعرض للنزاع بين القبائل الذي عني به مؤرخو العرب ثم مؤرخو الفرنجة عناية كبيرة والذي لم يكن له إلا مكان ثانوي بين تلك العوامل الكثيرة التي انتهت بسقوط الأمويين . فان ذلك النزاع وإن ساعد في اللحظة الأخيرة على نجاح

(١) العقائد غير الاسلامية — وبخاصة اليهودية والمسيحية والمجوسية والبابية — التي تأثر بها المسلمون في أواخر القرن الأول الهجري . ولعله يقصد من بين تلك العقائد عقيدة المهدي المنتظر ، وهي يهودية الاصل — المترجمان .

الدعوة العباسية ، فلم يكن له أثر مافى تلك الحالة الجديدة التى ظهرت عقب قيام الدعوة العباسية. ولن تقتصر بحوثنا على دراسة الحالة فى بلاد خراسان. فان بحث حال تلك البلاد ، وإن كان يفسر لنا ما كان يجرى فى غيرها من الولايات الأخرى ، فقد كان لبعض الحوادث التى سنعرض لها علاقة وثيقة بالجزء الشرقى من الدولة الإسلامية بوجه عام وبلاد العراق بوجه خاص . وذلك التوسع فى البحث ، وإن كان يزيد فى الصعوبات التى نواجهها فى مهمتنا هذه ، إلا أنه سيزيد بلا ريب ما عسانا نصل اليه فى دراسة هذا العصر بقدر ما يتسع لنا مجال هذا البحث . ولن نثقل على القارئ بتفصيل المراجع التى اعتمدنا عليها ، فقد ذكرناها قبل . ومن أهمها الطبرى (طبعة مسيو دى غويه) ثم ما كتبه أشهر مؤرخى القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين) ، كالبلاذرى واليعقوبى ، والمسعودى ، وابن عبد ربه ، وكذا بعض المؤرخين المتأخرين ، كصاحب كتاب العيون وابن الأثير والمقرئى . وأما فيما يتعلق بالمخطوطات فإنى مدين ببعض المعلومات القيمة لكتاب المقفى الكبير للمقرئى ، وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد التى كنت أرجع اليها ، وذلك عدا جزء كبير من مجموعة Legatum Warnerianum . ويرجع الفضل فى ذلك إلى سحاء القائمين بإدارة المكتبة الأهلية بباريس ، وكذا مكتبة Ducales de Gotha . وإنى لأدين بالشكر لأستاذى العزيز مسيو دى غويه (De Goeje) ، فقد أظهر اهتماماً شديداً بما قمت به من البحوث وسدد خطاى فى ميدان التاريخ الإسلامى الفسيح الأرجاء — تلك الخطا التى كانت خطأ مستشرق لا يزال فى المهد ، كما عني بمراجعة هذا الكتاب قبل طبعه وأمدنى بملاحظات القيمة .

لم يبق أمامى بعد ذلك إلا أن أعتذر عن جرائى على كتابة هذا البحث باللغة الفرنسية التى لا أحسن التعبير بها تماماً . وهذا ضعف أعترف به عن طيب نفس . وإنما اضطررت إلى الكتابة بهذه اللغة لأننى لم أرد أن يكون

هذا الكتاب خاصاً بزملائي العلماء فحسب ، بل أردت أن يكون في متناول المستشرقين من الذين يعنون بثمار الدراسات التي يقوم بها علماء الغرب .
وأكبر ظني أن الوقوف على قيام الحركة العباسية وما كان لها من أثر ليس خلواً من النفع للشرق الحديث ؛ فطالما لاحظت ثمة توافقاً غريباً بين ما كان يجري في عهد عبد الملك وهشام وبين ما نشاهده اليوم من الحوادث في الشرق . ولعل أن يكون في ذلك « عبر لمن يعتبر » .

ليدن — أغسطس سنة ١٨٩٢



الباب الاول السياسة العربية

كيف انتشر الاسلام؟

هناك فرق عظيم بين انتشار المسيحية وانتشار الاسلام . فقد انتشرت المسيحية انتشاراً وثيقاً وسط وابل من الاضطهادات والآلام ، كما يدل على ذلك ما أثر عن عيسى عليه السلام من تلك الكلمات : « إن مملكتي ليست من هذا العالم » . وقد استطاعت المسيحية أن تحتفظ بطابعها رغم انسياها قروناً عدة بين شعوب مختلفة ومدنيات راقية . أما الاسلام فكان على العكس من ذلك . فان محمداً (عليه الصلاة والسلام) لم يلبث أن أصبح له نفوذ روحى وزمنى عظيم بعد سنين قلائل من الجهاد والاضطهاد كما يدل على ذلك غير آية من القرآن ، وذلك بتحول أهل المدينة إلى الاسلام . وقد أصبح الاسلام بفضل ذلك النفوذ الذى كان يتمتع به الرسول ديناً قويا قام بحمد السيف وانتشر بين الشعوب عن طريق الانذار والوعيد . ولم يكن اعتناق أهل جزيرة العرب للاسلام ، أو بالأحرى خضوعهم له ، نتيجة دعاية سلمية وادعة . فقد أرغم ما كان للنبي من قوة ونفوذ بعض القبائل العربية من أهل البدو على الدخول فى الاسلام ، كما لم يكن اخضاعها حين ارتدت عنه بعد وفاة الرسول عن طريق الاقناع والحاجة بكتاب الله

بل بقوة السيف . فقد أرغمهم خالد بن الوليد (سيف الله) إلى الرجوع إلى الاسلام (١) .

(١) هذا لا يتفق مع صريح قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) . أضف إلى ذلك منافاته لما رواه الثقة من المؤرخين عن بدء انتشار الاسلام . فقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة بعض أصحابه ممن كان يثق بهم ، فأسلم أبو بكر وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وتبعهم غيرهم . وطالما كان يعرض الرسول نفسه في موسم الحج على القبائل داعياً من أقبل إلى مكة من سائر العرب إلى الاسلام . وكان من هؤلاء جماعة من الأوس والخزرج من أهل المدينة ، فأجابوه إلى مادعاهم إليه من اعتناق الاسلام ثم رجعوا إلى المدينة ودعوا قومهم إلى هذا الدين ، فلم يبق دار من دور أهل المدينة إلا وظهر فيها الاسلام . مضى ذلك في جزيرة العرب دون أن يستل النبي سيفاً أو يقاتل عدواً . كذلك اتبع الرسول الطرق السلمية في نشر الاسلام خارج جزيرة العرب . وإلى القارئ ما كتبه الرسول إلى كسرى يدعو به إلى الاسلام ، ذلك الكتاب الذي تسوده روح السلم والموادعة : « بسم الله الرحمن الرحيم ! من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وأن لا إلا إله الله ، وأنى رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً . أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس » . فمزق كسرى كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال الرسول : « مزق الله ملكه ! » على أن كسرى لم يقف عند تلك الإهانة ، بل كتب إلى باذان عامله على اليمن : « ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتياني به . » فبعث باذان رسولين يحملان كتاباً إلى الرسول يأمره فيه أن ينصرف معهما إليه ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش ، فسألاه عن الرسول فقالوا هو بالمدينة . واستبشروا بهما وفرحوا ، وقال بعضهم : أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل . فخرج الرجلان حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له : « إن كسرى قد بعثنا إليك لتنتقل

لم يتردد النبي (عليه الصلاة والسلام) في رمي أهل الكتاب بالكذب والتضليل واتهامهم بالتحريف في كتبهم حين رأى أن دينه الذي كان يرمي

معنا . فصرفهما الرسول على أن يعودا إليه في الغد . فأتى رسول الله الخبير من السماء « أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله » . فلما قدم الرسول أن أخبرهما الرسول هذا الخبر فقالا له : « إنا قد نعمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، أفنكتب هذا عنك ونخبره الملك ؟ » قال « نعم ! أخبراه ذلك عنى وقولا له إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء » . فعاد الرسول إلى باذان فقصا عليه ما تنبأ به النبي فقال : « والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول . ولننظرن ما قد قال ، فلئن كان هذا حقا فانه لنبي مرسل . وإن لم يكن فسرى فيه رأينا » . فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : « أما بعد فاني قد قتلت كسرى . ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما استحل من قتل أشرافهم . فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك (يعنى الرسول عليه الصلاة والسلام) ، فلا تهجه حتى يأتبك أمرى فيه » . فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال « إن هذا الرجل لرسول » ، فأسلم وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن (الطبرى ج ٣ ص ٩٠) .

كذلك كتب الرسول إلى هرقل امبراطور الدولة البيزنطية (الطبرى ج ٣ ص ٨٧) وإلى المقوقس عامله على مصر كتابين يدعوها إلى الاسلام بالوسائل السلمية دون أن يلجأ إلى إذكاء نار الحرب .

وإن مذهب اليه المؤلف ليتنافى أيضاً مع ماسار عليه الخلفاء الراشدون مع أهل البلاد التي فتحوها واحترامهم لحريتهم الدينية ومحافظتهم على حقوقهم المدنية . يدل على ذلك أمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأهل إيلياء الذي ننقله عن الطبرى (ج ٢ ص ١٥٩) : « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص

إلى نشره بادی ذی بدء بین مواطنیه لم یرض اليهود کما لم یرق النصارى :
وهكذا استطاع الاسلام أن یحاج أهل الکتاب بتصریحه أنه أرقی الأديان

منها ولا من حیزها ولا من صلیبهم ولا من شیء من أموالهم ، ولا یکرهون
على دینهم ولا یضار أحد منهم . . . »

من هذا ینظر أن الاسلام لم ینتشر فی جمیع أدواره بحمد السیف
والأرهاب . وإلا فماذا یقول فان فلو تن فی انتشار هذا الدین فی القرن السابع
الهجری فی الوقت الذی ضعف فیها الدولة الاسلامیة بزوال الخلافة العباسیة
وسقوط بغداد فی أیدی التتار ؟ والی القاری کیف وجد ذلك الدین السمع
الطریق الی نفوس هؤلاء الفاتحین المتبربرین من المغول . یقول الأستاذ
المرحوم السیرتوماس أرنولد The Preaching of Islam, pp. 218 - 219
فی کتابه : « لا یعرف الاسلام من بین ما نزل به من الخطوب والویلات
خطبا أشد هولا من غزوات المغول . فلقد انسابت جیوش جنکیزخان
انسیاب الثلوج من قنن الجبال واكتسحت فی طریقها العواصم الاسلامیة
وأنت علی ما کان لها من مدنیة وثقافة . . . علی أن الاسلام لم یلبث أن نهض
من تحت أنقاض عظمتة الأولى وأطلال مجده التالدة ، واستطاع بواسطة دعائه
أن یجذب أولئك الفاتحین المتبربرین ویحملهم علی اعتناقه . ویرجع الفضل فی
ذلك الی حماس الدعاة من المسلمین الذین كانوا یلاقون من الصعوبات أشدها
لمناهضة منافسین عظیمین هما المسیحیة والبوذية ، وكانا یحاولان إحراز قصب
السبق فی ذلك المضمار . ولیس فی تاریخ العالم نظیر لذلك المشهد الغریب وتلك
المعركة الحامیة التي قامت بین البوذية والمسیحیة والاسلام — كل ديانة تنافس
الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحین الذین داسوا بأقدامهم تلك الديانات .
العظیمة ذات الدعاة والمبشرین فی جمیع الأقالیم والأقطار » . ویقول السیر
توماس أرنولد فی مكان آخر (ص ٢٢٦ — ٢٢٧) عند كلامه عن انتشار
الاسلام فی بلاد الصين « وبالرغم من هذه المصاعب التي لقیها دعاة المسلمین ،
فقد أذعن المغول لدین هذه الشعوب الاسلامیة التي ساموها الخسف وجعلوها

وأنة وحده هو الدين الحق . وكان من أثر اصطدام الرسول باليهود النصارى فى بلاد العرب أن طرد اليهود من المدينة وشنت الغارات على المسيحيين فى مواطن أقدامهم . ولا بد أن يكون هناك كثير من أنصار النبی قد انتشروا فى طول أمبراطورية المغول وعرضها مجاهدين فى طى الخفاء لجذب هؤلاء الكفار الى حظيرة الاسلام . فى عهد أجتاي Ugutay (٦٢٤ — ٦٣٩ هـ و ١٢٠٦ — ١٢٢٧ م) تحول كرجز Kurguz والى بلاد فارس من قبل المغول من البوذية الى الاسلام . كذلك كان آندا Ananda حفيد كوبيلاى (٦٥٥ — ٦٩٣ هـ و ١٢٥٧ — ١٢٩٤ م) ووالى قان صو Kan Su مسلماً متحمساً ، مما حدا به الى حمل الكثيرين من أهل تانجوت Tangut وعدداً كبيراً من جنده الى اعتناق الاسلام .

أضف الى ذلك ما كان لتجار المسلمين الذين نصبوا أنفسهم دعاة للاسلام من اثر فى انتشار هذا الدين . فقد كان بركة خان (١٢٥٦ — ١٢٦٧ م) أول من أسلم من أمراء المغول ، وكان رئيساً للقبيلة الذهبية فى روسيا . ويقال فى سبب إسلامه إنه لقي يوماً عبداً للتجارة آتية من بخارى ، فاخلى بتاجرین منها وسألهما عن الاسلام ، فشرحا شرحاً مقنعاً انتهى به الى اعتناق هذا الدين والأخلاص له .

كذلك كان تكودار احمد ثالث خانات المغول فى بلاد فارس أول من اعتنق الاسلام . وقد شب على المسيحية وتعمد فى صباه وتسمى باسم نيقولا ، ثم اعتنق الاسلام عند ما بلغ سن الرشد ، وذلك عل أثر اتصاله بالمسلمين الذين كان كلنا بهم ، وسمى نفسه احمد خان . وقد بذل قصارى جهده فى تحويل كافة المغول الى الاسلام ، فأسلم على يده كثير منهم . ثم بعث تكودار احمد نبياً اعتناقه الاسلام الى قلاوون (١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) سلطان المالك فى مصر فى كتاب طويل يعتبر وثيقة تاريخية نتبين منها كيف انتشر الاسلام بين المغول . والى القارىء بعض ماورد فى هذا الكتاب نقلاً عن القلقشندى (صبيح الأعشى ج ٨ ص ٦٥ — ٦٨) : « أما بعد ، فإن الله سبحانه وتعالى

بلاد بيزنطة في اللحظة التي انتقل فيها الرسول إلى جوار ربه . وقد ترك النبي خلفائه إتمام مهمته ، وذلك باخضاع الكفار . ولنعرض الآن لبيان أثر

بسابق عنايته ، ونور هدايته ، قد كان أرشدنا في عنفوان الصبا وريمان الحداثة إلى الاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدايته ، والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، بصدق نبوته وحسن الاعتقاد في أوليائه الصالحين من عباده وبريته (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) . » .

وقد علق الاستاذ السير توماس أرنولد على ما كان للإسلام من أثر في تهذيب نفوس المغول — ذلك الأثر الذي وضح وضوحا جليا في كتاب تكودار أحمد إلى سلطان المماليك بهذه العبارة « وإن من يدرس تاريخ المغول ليرتاح عند ما يتحول فجأة من قراءة ما اقترفوه من الفظائع وما سفكوه من الدماء إلى أسمى عواطف الانسانية وحب الخير التي أعلنت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية التي كتبها تكودار أحمد إلى سلطان المماليك في مصر ، والتي يدهش الانسان لصدورها من مثل ذلك المغولي . »

بقي أن نقول كلمة عن انتشار الاسلام في أوربا . كان أذربك خان (Uzbek Khan) ، الذي كان زعيما للقبيلة الذهبية (١٣١٣ — ١٣٤٠ م) والذي اشتهر بتحمسه الشديد للدين الاسلامي وحرصه على تحويل الكثيرين من الأهلين إليه ، أول من جدد في نشر الاسلام في كافة أرجاء بلاد روسيا . ويذكر لنا التاريخ أنه رغم تحمسه للدين الاسلامي وتقانيه في الاخلاص له كان كثير التسامح نحو رعاياه من المسيحيين ؛ فقد منحهم الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية . وذهب في تسامحه معهم إلى أبعد من هذا ، فقد سمح لهم بالتبشير لدينهم ونشره في بلاده . ومما يدل على ذلك التسامح تلك الوثيقة التاريخية التي نقلها المرحوم الاستاذ السير توماس أرنولد Preaching of Islam, pp. 241—242 عن كرامزين (Karamzin) ، وقد جاء فيها : « إن كنيسة بطرس مقدسة ، فلا يحل لأحد أن يتعرض لها أو لأحد رجالها بسوء ، ولا أن يستولى على شيء من عقارها أو متاعها ، ولا أن يتدخل في

الحروب التي شنها المسلمون في نفوس القبائل العربية التي كانت تعتبر الاسلام
خيراً ثقيلاً عليهم حتى عصر الفتوحات الاسلامية الأولى . فان الحال لم
أمورها . ومن خالف أمرنا هذا بالتعدى عليها فهو مجرم أمام الله وجزاؤه
منا القتل » (ج ٤ ص ٣٩١ — ٣٩٤) .

ولم يكن هذا المرسوم كلمات جوفاء أو مجرد « حبر على ورق » . فقد ظهر
ذلك التسامح واضحاً جلياً في كتاب أرسله البابا يوحنا الثاني والعشرون في
سنة ١٣١٨ م إلى أذربك يشكر له عطفه على رعاياه من المسيحيين ويثني على
تلك المعاملة التي كان يعاملهم بها أذربك .

وقد حاول نشر الاسلام في جميع بلاد روسيا البلغار من المسلمين الذين
كانوا يقيمون على ضفاف نهر الفلجا حول القرن العاشر الميلادي والذين
يدينون باسلامهم للتجار من المسلمين الذين كانوا يترددون على بلادهم بتجارة
الفراء وغيرها من السلع . على أنه يظهر لنا أن هؤلاء البلغار قد دخلوا الاسلام
قبل ذلك الحين . فقد أرسل اليهم الخليفة العباسي المقتدر (٩٠٨ — ٩٢٢ م)
بعثة من العلماء لتعليمهم أصول الاسلام وعقائده . ثم حاول هؤلاء البلغار
تحويل فلاديمير (Vladimir) ملك روسيا في ذلك الحين إلى الاسلام ، وكان
يدين بالدين الوثني . ولم يقف في سبيل تحويله هو ورعاياه إلى هذا الدين إلا
الختان وتحريم الخمر عند المسلمين . Prof. Sir Thomas Arnold,

Preaching of Islam, PP. 242 — 243

هكذا ظلت حركة الدعوة للاسلام في بلاد روسيا بطيئة حتى سنة ١٩٠٥ ،
حتى صدر مرسوم حرية التدين في الأمبراطورية الروسية . ومن ثم نشطت
حركة الدعوة الى الاسلام في تلك البلاد ، وأخذ الكثير من الروس يدخلون
في هذا الدين . ويرجع الفضل في هذا إلى القوة المعنوية التي كان يمتاز بها
المسلمون في هذه البلاد . Ibid, pp . 244 — 245 .

وقد أدخل تزار القرم من المسلمين الى الاسلام الكثير من سكان بلاد
اليونان وايطاليا الذين كانوا يقيمون في شبه جزيرة القرم . ويحدثنا أحد

يلبث أن تغير . فقد بدأت تلك القبائل تعتبر ذلك الدين ، الذي كان يلائم مواهبهم الحربية ويثيبهم عليها ثوابا عظيما في الدنيا والآخرة ، غرضهم

الرحالين في القرن السابع عشر الميلادي أن تتار القوم هؤلاء كانوا يبذلون جهدهم لتحويل مواليهم الى الاسلام ؛ وكانوا يعدونهم الحرية اذا مادخلوا في دينهم . وقد نشطت الدعاية للاسلام بين تتار القرم أيضا على أثر مرسوم حرية التدين الذي صدر في سنة ١٩٠٥ .

ومن أغرب الحوادث في تاريخ الدعوة الاسلامية تحول القرغيز في بلاد آسيا الوسطى الى الاسلام على أيدي المولوية من تتار الذين نشروا تعاليم هذا الدين بينهم في القرن الثامن عشر الميلادي . ومن ثم أنققت الأموال الضخمة لبناء المساجد . وقام عدد كبير من المولوية بإنشاء المدارس وتعليم الأطفال عقائد الاسلام . وفي مستهل القرن التاسع عشر كان السواد الأعظم من القرغيز الذين كانوا يقيمون في تلك السهول الفسيحة الممتدة بين تبليسك وبلاد التركستان لا يزالون على الوثنية . وقد فكرت الحكومة الروسية في إيفاد بعثة من المبشرين لنشر الدين المسيحي بينهم . على أنه قد صرفها عن هذا ما كانت تزعمه من وحشية هؤلاء وعجزهم عن فهم الانجيل . واتتهز جماعة من المسلمين هذه الفرصة فحولوا جميع تلك القبائل الى الدين الاسلامي .

وفي القرن الثامن عشر نشطت الحكومة الروسية من جديد في تحويل القبائل الوثنية من المغول الى الدين المسيحي . ففي سنة ١٧٧٨ أمرت كاترين الثانية بأن يوقع كل من هؤلاء الحديثي عهد بالمسيحية على إقرار كتابي يتعهدون فيه بترك الوثنية دينهم القديم والتمسك بالدين المسيحي وعقائده . وعلى الرغم من ذلك فإن الذين تعمدوا من المغول لم يدخلوا المسيحية إلا ظاهراً ولم يكونوا مسيحيين إلا بالاسم فقط . وسرعان ما تخلصوا من الكنيسة الارثوذكسية واعتنقوا الاسلام . ولم يكن هذا الدخول في المسيحية إلا خطوة تمهيدية لدخولهم في الاسلام . وقد نجح المسلمون في تحويل أهل

الوطني الأسمى غداة انتصاراتهم الأولى على الكفار من الشعوب الأخرى. وبذلك جسدوا في نشره بدافع وطني أكثر منه ديني حتى حدود إفريقية

جميع القرى من بلاد الروس - وبخاصة القرى الواقعة في الشمال الشرقي من هذه البلاد - على الرغم من القوانين الشديدة التي سنتها الحكومة الروسية في ذلك الحين. نخص بالذكر منها ذلك القانون الذي كان يقضي على كل من يحاول تحويل أي مسيحي إلى الاسلام بالحبس مدة تتراوح بين ثمانية وعشرة أعوام وحرمانه من جميع الحقوق المدنية. Preaching of Islam, PP. 246 — 249.

وقد ظهر ميل الروس إلى الاسلام والدخول فيه على أثر مرسوم حرية الدين الذي صدر في سنة ١٩٠٥. ففي سنة ١٩٠٩ اعتنق الاسلام إحدى وتسعون أسرة في قرية اتومفا (Atomva)، كما اعتنق هذا الدين ٥٣٠٠٠ نسمة بين سنتي ١٩٠٤ و ١٩١٠. ويقول الأستاذ السير توماس ارنولد: « ويرجع الفضل في اعتناق هذا العدد الكبير للدين الاسلامي إلى رقي المستوى الأخلاقي في البيئات الاسلامية، وإلى حماس القائمين بنشر الاسلام في تلك البلاد والدعوة إليه. فقد نصب كل مسلم - حتى الأمي منهم - نفسه داعياً لذلك الدين. ومن ثم لم يستطع الوثنيون من تلك القبائل أن يقاوموا تيار تلك الدعوة الجارف، ولم يلبثوا أن دخلوا في الاسلام أفواجا. وفي الشتاء كان يذهب الكثيرون من أهل القرى المسيحية حاكّة إلى البلدان الاسلامية، وسرعان ما كانوا يدخلون في الاسلام ثم يعودون إلى قراهم على أشد ما يكونون تحمسا له وللدعوة إليه بين ذويهم.

وقد وجه المولوية من أهل بخارى وغيرها من بلاد آسيا الوسطى وكذا التجار من قزان وجوههم نحو سيبيريا لنشر الاسلام فيها. وبذلك انتشر الاسلام لأول مرة في هذه البلاد بين التتار (الذين كانوا يقيمون في البلاد الواقعة بين نهري إرتس وأوب). ومع أن الكثيرين منهم كانوا لا يزالون حتى مستهل القرن التاسع عشر على الوثنية، فإنهم لم يلبثوا أن اعتنقوا الاسلام جميعا، ولا يزالون على ذلك إلى اليوم. وأما تاريخ اسلام القبائل الأخرى

الشمالية وفي أكثر بقاع آسيا .

لم تنتشر المسيحية إلا بعد قرون عدة من الشدة والاضلال . أما الاسلام فكان على العكس من ذلك ، إذ لم يكذب على ظهوره اثنا عشر عاماً حتى اعتنقه شعب بأكماله على تمام الاستعداد للتضحية والقيام بأعباء الفتح . على أن هناك ظاهرة أخرى . ذلك أنه بينما كانت المسيحية تنتشر بين الشعوب المتحضرة وتوطد سلطانها بين الأمم ذات المدنيات الراقية كان الشعب العربي لا يزال على بدائته الأولى رغم اعتناقه الاسلام . نعم كان الجيش الاسلامي لا يخلو من بعض القبائل المتحضرة ، كما كان يضم الكثير ممن لم يكونوا بعيدين كل البعد عن المدنيات والأفكار الدينية التي كانت سائدة بين الشعوب المجاورة لهم . إلا أن روح الصحراء وعوائد البداوة لم تنزل تماماً

في بلاد سيبيريا فانه لا يزال غامضاً . على أنه يغلب على الظن أن اعتناق هذه القبائل للاسلام إنما يرجع الى عهد قريب .

من هذا يتبين لنا أن الاسلام إنما وجد طريقه إلى القلوب وخالطت بشاشته النفوس عن طريق الحجة والاقناع . أضف الى ذلك أن النفوس كانت تتطلع منذ مستهل القرن السابع الميلادي الى مصلح جديد . فقد تطرق الفساد الى جميع مناحي الحياة ومال ميزان العدل بين الناس ببلاد العرب والفرس والروم . ومن ثم بادر الناس الى الاسلام لما امتاز به من الديمقراطية الصحيحة والمساواة الحقة (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . سورة الروم آية ٣٠) .

وأما ما يزعمه « فان فلوتن » من أن محاربة أبي بكر لمن ارتد من المسلمين بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام كان نشراً للدين بحد السيف فهو غير صحيح ، إذ لم تكن تلك الحروب سوى قمع لثورة داخلية أراد بها بعض من لم يخاطب الاسلام قلوبهم القضاء عليه وهو لا يزال في مهده . لذلك لم يكن بد لأبي بكر من القضاء عليها جهده حتى لا تتصدع أركان الوحدة العربية

— كما لا يخفى — من بين المتحضرين وسكان المدن منهم .

لم تكن المسألة مسألة دين انتشر وبسط نفوذه فحسب على بلاد سورية وجزء عظيم من مملكة فارس القديمة . فقد كان هناك أمر آخر ، ذلك أن شعبا غريبا غير مثقف قد استطاع بما له من قوة وبأس أن ينفذ الى الولايات المسيحية ويوطد سلطانه بين أنصار دين زردشت في بلاد فارس . وكانت القوانين التي كان يرجع اليها في تنظيم العلاقات بين العرب وأهل البلاد التي فتحوها غاية في البساطة . وهي مستنبطة من بعض كتب الصلح التي كان يكتبها الرسول لمن ينتصر عليهم . وكانت تمنح الشعوب التي تفتح أبوابها للمسلمين حرية التدين وملكية الأرض ، كما كانت لا تطالب إلا بالجزية (التي كانت تسمى أيضا خراج جزية) ، وهي الضريبة التي كان يدفعها الشعوب المحالفة للمسلمين نظير حمايتهم لها ، بينما كان للمسلمين الحق في تخريب البلاد التي كانوا يفتحونها عنوة وقتل رجالها وسبي نساءها . على أن المسلمين كانوا يفضلون ترك الأرض لأهل تلك البلاد يستغلونها لمصلحة الفاتحين .

لم يكن الغرض من الفتوحات الاسلامية على هذه الصورة هو إدماج شعب في شعب أو العمل على نشر دعوة دينية معينة ، وإنما هو احتلال بقوة السيف (١) . وتظهر هذه الظاهرة بوضوح في السنة التي سنها عمر بن

وتتفرق كلمة المسلمين — المترجمان .

(١) إن جميع أفعال الرسول لتشهد بأن الغرض الأول من دعوته إنما هو انتشار الدين . ولن تعوزنا الأمثلة الكثيرة للتدليل على ذلك الرأي . فقد روى الطبري (ج ٣ ص ١٢٣ — ١٢٤) أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد بعد فتح مكة داعيا الى الاسلام ، ولم يبعثه مقاتلا . فسار خالد حتى نزل على جذيمة . فلما رآه القوم أخذوا أسلحتهم واستعدوا للقتال ، فقال لهم خالد : « ضعوا أسلحتكم فإن الناس قد أسلموا » . فلما وضعوها

الخطاب الخليفة الثاني لتشجيع تلك الفتوح .

وكانت تقضى القواعد التي سنّها عمر بأن يكون كل مسلم جندياً من

أمر ببعضهم فقتلوا . فلما بلغ الرسول ذلك رفع يديه الى السماء وقال : « اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثم أرسل على بن أبي طالب بمال ، فودى لهم الدماء (دفع لهم الديات) وما أصيبوا به من أموال . وإن المتتابع لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ليرى أن غزواته وسراياه إنما كانت للذود عن الاسلام والدفاع عن نفسه وقومه . فقد دبرت قريش قتله حين خافوا خروجه عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، لاسيما وقد رأت أنه قد أصبح له شيعة وأصحاب من غيرهم . فاجتمعوا في دار الندوة حيث تشاوروا في أمره عليه الصلاة والسلام . وانتهى بهم الرأي الى أن يأخذوا من كل قبيلة فتي جلدأ وأن يعطى كل منهم سيفاً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يحاربوا العرب جميعاً (ابن هشام ج ١ ص ٧٣ — ٧٤) .

هذا الى ما أذاقوا النبي وأصحابه من صنوف العذاب وضروب الأذى مدة إقامتهم بين ظهرانهم بمكة . وقد شاء الله أن لا تنجح حيلتهم في ما دبروه للرسول ، فهاجر الى المدينة . إلا أن العرب ما فتئوا يدبرون له المكائد ويتربصون به الدوائر ، ولا سيما اليهود من أهل يثرب (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به — سورة البقرة . آية ٨٩) وقد أجمع المؤرخون على أن السبب في إجلاء يهود بني النضير إنما يرجع الى تأمرهم على قتل الرسول . فقد جاءهم الرسول يستعينهم في دية بعض القتلى ، فوعدوه بذلك . ثم خلا بعضهم الى بعض فقالوا : « إنكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه » . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً الى جنب جدار من بيوتهم ، فقالوا : « من يعلو على هذا البيت فيلقى صخرة فيقتله بها فيريحنا منه ؟ » فقال عمرو بن جحاش : « أنا لذلك » . فصعد ليلقى بالحجر على الرسول . فأتى الرسول الخبر من السماء بما أراد

جنود الاسلام ، على أهبة الاستعداد لتلبية داعي الجهاد في كل لحظة دفاعاً عن دينه وأن يمنح من بيت مال المسلمين عطاء معيناً مقابل خدماته . وكان

القوم ، فعاد الى المدينة ، ثم خرج الى قتالهم وأجلاهم عن ديارهم .
كذلك كان الحال في « بئر معونة » . فقد ذكر ابن هشام (ج ٣ ص ٤٤ - ٤٥) أن أبا براء عامر بن مالك قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الرسول الاسلام ودعاه إليه فلم يسلم ، ثم قال للرسول : « يا محمد ائذ لو بعثت رجلاً من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك » . فقال رسول الله : « إني أخشى عليهم أهل نجد » ، فقال أبو براء : « أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرك » . فبعث الرسول المنذر بن عمرو في أربعين رجلاً من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة . فبعثوا أحدهم بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل ، فلم ينظر فيه وعدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه وقالوا : « لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً » . فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم فأجابوه الى ذلك وخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم وهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم . وكانوا — رضى الله عنهم — من أشهر القراء والحفاظ .

أضف الى ذلك ما كان من « سرية بنى الرجيع » (سنة ٤ هـ) . فقد قدم على رسول الله وفد من عضل والقارة فقالوا : « يا رسول الله ! إن فينا إسلاماً وخيراً ، فابعث معنا تقرأ من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرءوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام » . فبعث رسول الله ستة من أصحابه . فلما أتوا على الرجيع (وهو ماء لهذيل) غدروا بهم ، فأخذوا سيوفهم ليقاتلوا القوم . وما زالوا يدافعون عن أنفسهم حتى قتل بعضهم وأسرى البعض الآخر فكانت نهايته القتل . فكان ذلك سبب غزوة بنى لحيان (ابن هشام ج ٣ ص ٤٩ - ٦٠ والطبرى ج ٣ ص ٢٩ - ٣٣) .

وأما غزوة الخندق (سنة ٥ هـ) فيرجع سببها الى أن بعض اليهود

المسلمون يوزعون جينودهم فيما كانوا يفتحونه من الولايات — كسورية والعراق ومصر — على المعقل الهامة . كذلك كان الحال في الأمبراطورية الفارسية

قد تقضوا الحلف الذي كان بينهم وبين الرسول ، ثم خرجوا الى مكة فدعوا قريشا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدوهم أن يكونوا معهم حتى يقضوا عليه وعلى دعوته . ثم جاءوا غطفان فدعواهم الى مثل مادعوا أهل مكة . فلما سمع الرسول بما أجمعوا عليه أمرهم ، حفر الخندق حول المدينة وتحصن وراءه هو وأصحابه للدفاع عن أنفسهم ، ثم عمد عليه الصلاة والسلام الى الخدعة فأرسل اليهم من أوقع الخلاف بينهم ؛ فعادوا أدراجهم راضين من الغنيمة بالأأياب (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى بالله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) (ابن هشام ج ٣ ص ٦٨ — ٧٠) . وأما بنو قريظة فاطلب فيهم أشد ، فانهم ساعدوا الاحزاب حتى جعلوا الرسول في أشد مواقف الحرج .

وأما فتح مكة فيرجع الى تقض قريش ما كان بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبية (سنة ٦ هـ) . ففي السنة السادسة للهجرة خرج النبي عليه الصلاة والسلام للعمرة في ألف وأربعمائة من المسلمين ، فوقف القرشيون في طريقه على مقربة من مكة . ثم دارت المفاوضات بين المسلمين والقرشيين الذين خشوا بأس المسلمين . وطلب القرشيون الصلح على أن تعقد بين الفريقين هدنة أمدها عشر سنين . على أن أهل مكة لم يلبثوا أن تقضوا هذه الهدنة ، وذلك بمساعدتهم بكرا على خزاعة المحالفة للرسول . فاستجارت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فسار الى مكة في عشرة آلاف . فلما علم أهلها بتقدمه خرج قادتهم ليسلموا . ولما تم له فتحها عفى عن أهلها رغم ما أذاقوه هو وأصحابه من صنوف الاضطهاد .

من كل هذا يتبين لنا أن الغرض الأول الذي كان يسعى اليه الرسول جهده هو نشر الاسلام بكل الوسائل السلمية ، وأن تلك الحروب التي قامت بينه وبين الكفار داخل جزيرة العرب أو خارجها إنما ابتدأها أعداؤه

القديمة وبلاد ميديا وخراسان وغيرها من الولايات التي كانت تمتد اليها الفتوحات الاسلامية .

وكانت حياة العرب تتفق تمام الاتفاق مع تلك النزعة الحربية . فقد كان محرماً عليهم ملكية الأرض . وكانوا يعيشون من العطاء (وهو أجر تدفعه اليهم الحكومة) والمعاون (وهي ضريبة تدفع عينا على البلاد المفتوحة) ثم الغنائم والأسلاب التي كان لا ينضب معينها طالما كانت هناك بلاد تفتح وأقاليم تستغل . ويظهر أن تلك النزعة لم تنخب عند العرب في ذلك الوقت ، فقد كانوا لا يزالون منقسمين الى قبائل . ولا غرو فقد كانت حياة الصحراء — بما فيها من رُغن وشحناء وخب للانتقام والتخريب والأخذ بالثأر — لا تزال على حالها الأول بين القبائل في شرق البلاد وغربها ، ولا سيما في تلك الفترات التي كانت تضعف فيها السلطة المركزية عن إقرار الأمن في نصابه . وهكذا يصور لنا الاحتلال العربي بوجه عام شعباً يعيش على حساب شعب آخر . وهذا هو نفس ملاحظه فون كريمر إذ يقول : « كان أهل الولايات المغلوبة يحرثون ويبذرون والمسلمون يحصدون ولا عمل لهم سوى الحرب وشن الغارات » . (١) وتبين لنا هذه الكلمات بياناً يكاد يكون قاطعاً حال السيادة الاسلامية في الأقاليم التي فتحها المسلمون . على أن المسلمين طالما كانوا خيراً من غيرهم من الفاتحين . ولا غرو فإن أهل سورية ومصر ، الذين أثقل الرومان كاهلهم بالضرائب الفادحة قبل الفتح العربي ، لم يقاوموا الفاتحين من العرب مقاومة تذكر . وكذلك كان الحال في سواد العراق (٢) .

واضطروه اليها اضطراباً — المترجمان .

(١) Culturgesehichte des Orients, I. 171.

وتوجد نفس هذه الفكرة في إحدى خطب عمر بن الخطاب — الطبري

١ : ٢٧٦١ س ٣ وما يليه .

(٢) Van Berchem, La Propriété territoriale et l'impôt

foncier sous les premiers khalifes, P . 26 .

وقد احتفظ المسلمون بالنظام القديم الذى سنه عمر لجباية الضرائب وأقاموا على جبايتها موظفين من أهالى تلك البلاد . ولم تكن الضرائب التى فرضها عمر فادحة على ماذهب اليه بعض المؤرخين . هذا الى ما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء الطرق وحفر الترع وتوطيد الأمن وما الى ذلك من ضروب الاصلاح .

وينبغى أن لا يفوتنا أن الفتح العربى على حالته هذه ، وإن كان معقولا فى بادئ الأمر ، فقد كان لازما أن يصبح غير محتمل اللهم إلا بقدر ما كان يرحب به من النظم الجديدة التى كان يقتضيها ذاك الفتح نفسه . فغلطة الفاتحين من العرب إذن ، وعلى رأسهم الخلفاء ، هى إهمال تلك الحقيقة . وإذا تصدينا للتدليل على أن السيادة العربية لم تأت بحير مطلقا للشعوب التى أخضعها ، فلكي نبين أن العرب قد أبوا فى الوقت الملائم قبول التطورات التى كانت تقتضيها حال تلك الولايات .

« أرض الدولة (الأملاك الأميرية) والضريبة العقارية (الخراج) فى عهد الخلفاء الراشدين » .

هذا يخالف ما أجمع عليه المؤرخون من أن الفتح العربى كان خيرا على أهالى البلاد التى فتحها المسلمون . من ذلك عهد عمر لأهل إيلياء ، وكذلك عهد الصلح بين عمرو والمقوقس . وقد جنى عمرو بن العاص ثمار هذه السياسة فى مصر ، فألف بين القبط والمسلمين ، وكتب كتاب الأمان الى بنيامين بطريق القبط وردده الى كرسيه بعد أن غاب عن البلاد زهاء ثلاث عشرة سنة فراراً من عسف الروم وظلمهم ، ومنحه السلطان المطلق لأدارة شئون الكنيسة . ناهيك بآء طلاق عمرو حرية المعتقدات الدينية للمصريين وعدم التعرض لهم فى عاداتهم وتأمينهم على أموالهم ونسائهم وأولادهم ، وما قام به من ضروب الاصلاح وتنظيم الأدارة وتنصيب القضاة ورسم الخطة لجباية الخراج ، الى العناية بالرى مما زاد فى ثروة البلاد ورفاهيتها . وقد خفف عمرو

الفتوحات الإسلامية في نظر بني أمية

إن ما أثر عن الفاتحين من العرب في صدر الاسلام ، وإن كان يدل على ما كان عندهم من النزاهة والزهد في حطام الدنيا والاخلاص للمصلحة العامة ، فإن الأنانية والجشع لم يلبثا أن وجدا طريقهما الى نفوس العرب واستوليا على قلوبهم لما كان يفاض عليهم من كل ناحية من النعيم والثراء — ذلك الثراء الذي لم يكن مألوفاً لهم والذي كان أقرب الى إفساد النفوس منه الى تهذيب الأخلاق .

ففي مدينة الكوفة جمعت الأسرات البارزة منذ أوائل الفتح العربي مبالغ ضخمة مما كانت تدره عليهم الغنائم والأعطيات السنوية ، حتى إن

عن المصريين عبء الضرائب التي أثقلت كاهلهم في عهد الرومان ، وسأوى فيها بين الأهلين . وسار على هذه السياسة من جاء بعده من ولاة المسلمين في هذه البلاد .

أضف الى ذلك مناقضة المؤلف نفسه . فقد ذكر في صفحة ٣ « أن أهل سورية ومصر ، الذين أثقل الرومان كاهلهم بالضرائب الفادحة قبل الفتح العربي لم يقاوموا الفاتحين من العرب مقاومة تذكر . وكذلك كان الحال في سواد العراق . . . هذا الى ما كانت تقوم به الحكومة العربية من بناء الطرق وحفر الترع وتوطيد الأمن وما إلى ذلك من ضروب الإصلاح » .

وإذا كان بعض هذه الشعوب قد شكت ظمأ من أمراء المسلمين فإنما كان ذلك بعد صدر الاسلام الذي يمثل الاسلام تمثيلاً صحيحاً . وما حدث بعد ذلك العصر من المظالم إنما يرجع الى سيرة الأمراء لا إلى مبادئ الاسلام نفسه — المترجمان .

كوفيا رحل الى الحرب ومعه أكثر من ألف رجل لحمل حاشيته ومتاعه. (١)
وكان الصحابة أنفسهم يملكون الضياع والقصور والثروات الكبيرة. أضف
الى ذلك ما كانوا يمنحونه من المنح العظيمة (٢). وكان من أثر ذلك أن ثار
أبو ذر في بلاد الشام ودعا الأغنياء وذوى اليسار الى النزول عن جزء من
ممتلكاتهم للفقراء (٣).

وطالما كان يفسو الترف وينتشر الفساد تاركا وراءه الكثير من الحاجات
الجديدة والجلم من مطالب الحياة الملحة. وكانت الاستدانة هي الوسيلة النفذة
لاشباع تلك الحاجات (٤)، تلك الوسيلة التي مهدت السبيل لقيام المؤامرات
كما كانت الحال في رومة. ومن ثم كانت الثورة ضرورية لارضاء جشع
الدائنين. ولا غرو فكثيراً ما كانت تتخذ ذريعة للاستيلاء على مافي بيت
المال من الأموال (٥).

على أنه كانت هناك وسيلة أسهل وأشرف من ذلك كثيراً، وهي
الغزوات وشن الغارات على الكفار. وطالما كان الدافع على ذلك هو شره
الولاة والقواد أكثر من الرغبة في نشر الدين، كما يظهر لنا ذلك في
بلاد خراسان خاصة.

(١) الطبرى ٢ : ٨٠٦ (س ٨ وما يليه)

(٢) المسعودى : مروج الذهب (طبعة Barbier de Meynar)

ج ٤ ص ٢٥٣ وما يليها ، Weil, Geschichte der Khalifen, I.

Von Kremer, Gesch. d. herrschenden Ideen, P. 230, 352 , 166

(٣) الطبرى ١ : ٢٨٥٨ ، Weil, I. 170, Von Kremer l. l. p.

339et Ibid. ann. 15

(٤) الطبرى ١ : ٢٧٥٥ (س ١٢ وما يليه) ، ٢٨١١ (س ١٦ وما يليه) ،

١٠٢٧ : ٢ (س ١٢ وما يليه) ، ١١٨٩ (س ٢ وما يليه) ، اليعقوبى (طبعة

Houlsma) ٢ : ٢٨١ ، ٣٠٠ وما يليها .

(٥) الطبرى ٢ : ١٠٢٨ (٨) ، ١٠٢٩ (٤) .

وقد عقد معظم البلاد المتاخمة لتلك الولايات - طبرستان وطخارستان وبلاد ماوراء النهر - المحالفات مع المسلمين منذ الصدر الأول للدولة الأموية. وكانت هذه المحالفات تكفل لهم حرية الدين وتمنحهم الاستمتاع بشئ من الاستقلال كما كانت تفرض عليهم ضريبة مقررة. ومما لا ريب فيه أن هؤلاء الكفار كثيراً ما كانوا يخرجون على تلك المعاهدات مما كان يضطر المسلمين إلى شن الغارات عليهم من جديد وتخریب بلادهم وسبي نساءهم. وطالما كانت تغرى الغنائم (بعد استيلاء بيت المال على الخمس) بعض الفاتحين فيشنون الغارات على بعض الولايات قبل أن يعلنوا الحرب عليها. يؤيد ذلك ما كتبه البلاذري (١) عن حرب جرجان وطبرستان. وأما ما يسميه مؤرخو العرب فتوح يزيد فلم تكن في الواقع الا ضرباً من تلك الحملات التي يجردھا قطاع الطرق على البلاد الآمنة المطمئنة، تلك الفتوح التي أسخط ما ارتكبه فيها من القسوة والعسف الشعوب التي لم تكن تنشد غير السلم.

وإن فيما حدث لسمرقند لمثلاً حياً. فقد فتحت تلك المدينة أبوابها لسعد بن عثمان بعد أن أبرمت بينه وبينها معاهدة ودفعت له سبعمائة ألف درهم كما قدمت إليه مائة ألف من سكانها رهائن (٢). ثم استولى عليها قتيبة بن مسلم، فطرد أهلها واحتلت جنوده مساكنها - كما روى ذلك مؤرخو العرب - على الرغم من أن سكان هذه المدينة لم يخرجوا على تلك المعاهدة التي كانت بينهم وبين سعد بن عثمان (٣). ولما ارتقى عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة شكاه أهل سمرقند إليه تلك الحالة الجائرة، فأمر أحد قضاة بالنظر في هذه المسألة،

(١) فتوح البلدان (طبعة دي غويه De Goeje) ص ٣٣٤ وما يليها،

الطبري ٢: ١٣١٧ وما يليها.

(٢) الطبري ٢: ١٢٤٥ و ١٢٤٦ (س ١٨).

(٣) Cf. Nerhaki, Description de Bokhara, ed. Schefer, p. 46.

فقضى بينهم بحكم يكاد يخفى ما انطوى عليه من الخبث حتى على أشد الناس نزاهة ، وذلك أن يتقابل الفريقان من العرب ومن أهل سمرقند تحت أسوار المدينة ، وأن يؤخذوا بالقوة أو أن تعقد معهم محالفة جديدة . ومعنى ذلك أنه إذا اتصر العرب (وهو ما كان راجحاً ، فإن سكان سمرقند كانوا لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم في أسوارهم) عاملوا أهل سمرقند معاملة من فتحت بلادهم عنوة ، اللهم إلا إذا فضلوا قبول ما عسى أن يفرض العرب عليهم من الشروط . ومن الجلى أن حكم ذلك القاضي لم يغير تلك الحالة في شيء .^(١) وتبين لنا تلك الحوادث الكثيرة^(٢) فكرة العرب ورؤسائهم عن مهمتهم في الشرق . فقد كان كل واحد منهم يجعل نصب عينيه مصلحته الشخصية قبل كل شيء . أما الاسلام والعمل على نشره فقد ظل أمراً ثانوياً . من ذلك أن يزيد بن المهلب لم يقنع بولاية بلاد العراق التي كانت لا تفي بحاجاته ، وطمع في ولاية خراسان لما عساها أن تدره عليه من الثروات الضخمة والأموال الكثيرة . وقد أنشد أحد الشعراء عند وفاة المهلب بن أبي صفرة :

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب .^(٣)
ولا غرو فقد كان سخاء ذلك اليمنى (المهلب) وبذخه عظيمين ، حتى إنه على الرغم من تجريده من جميع ممتلكاته حين اعتزل الأمانة ، ظل مدينا لبیت المال بمليون درهم ، دفع منها مائتي ألف — ثمن ما باعه من مجوهرات ومنقولات زوجته — ثم سدد عنه أحد موالي أسرته (وكان عاملاً في بيت

(١) الطبرى ٢ : ١٣٦٤ ، البلاذرى ص ٤٢٠ و ٤٢٢ .

(٢) أشير أيضا الى المراجع التالية ليرجع اليها القارىء إذا أراد :

البلاذرى ص ٤١٨ (موسى بن خازم وأهالى ترمذ) . الطبرى ٢ : ١٧٩

(س ١٦ ، ١٧) ، البلاذرى ص ٤٢٠ و ٤٢٢ ، — Schefer, Chres

tomathie Persane, I. p.28

(٣) الطبرى ٢ : ١٢٥١

المال) ثلثمائة ألف دينار. وأما ما بقي فقد أداه عنه عمه والى مدينة إصطخر إذ ذاك (١). وبلغ ما كان للحجاج قبل يزيد بن المهلب ستة ملايين من الدراهم لم يستوف الحجاج منها سوى ثلثمائة ألف (٢).

من تلك المثل نرى أن ما كان يمتاز به الخلفاء الراشدون من البساطة في العيش قد تغير تمام التغير في عهد من أتى بعدهم من خلفاء بني أمية. وليس من العدل أن نتهم الأمويين وحدهم بذلك في الوقت الذي كان أبناء هؤلاء الرجال الذين تم على أيديهم فتح القادسية واليرموك متأثرين بنفس هذه النزعة التي تأثر بها آباؤهم الثملون بنشوة هذه الانتصارات التي أحرزوها بسيوفهم. ولم يكن بد من أن يكون هناك ثمة أثر عكسي لتلك الفتوحات. وذلك ما حدث فعلا. والى التارىء ما كتبه المسعودى عن النتائج المحتومة لذلك الفتح، تلك العبارة التي تعتبر فريدة في بابها. وقد ظهر أثر ذلك لأول مرة في عهد عثمان بن عفان، مما حدا بذلك المؤرخ العربى النزيه أن يقول: « ولم يكن مثل ذلك في عصر عمر بن الخطاب، بل كانت جادة واضحة وطريقة بينة. فأين عمر عمن ذكرنا وأين هو عما وصفنا؟ (٣) ».

وقد قال رتبيل (أمير سجستان) يوما لأصحابه: « ما فعل قوم كانوا يأتون نخاص X البطون سود الوجوه من الصلاة لعالمهم خوص؟ ... فقد كانوا أوفى منكم عهداً وأشد بأساً وإن كنتم أحسن وجوهاً » (٤). ومع هذا فقد كان الأمويون يختارون عمالهم وولاتهم من بين أولئك

(١) الطبرى ٢ : ١٠٣٤

(٢) شرحه ٢ : ١٢١٣

(٣) المسعودى (مروج الذهب) ج ٤ ص ٢٥٥ (لا ٢٥٣ كما ذكر المؤلف) وما يليها.

X بمعنى جياع.

(٤) البلاذرى ص ٤٠٠ وما يليها.

الممهدين في النعمة والترف ، والذين تعودوا الاستمتاع بما في الحياة من عبث وهو دون أن يذوقوا عناء العمل ومشقته .

لذلك لاندعش اذا كانت الروح التي سادت في عهد بني أمية روحا غير دينية . ولن تعوزنا الأدلة على صحة ما نقول . فقد كان في الحملات التي جردوها والغارات التي شنوها على الكفار أكبر شاهد على صحة ما ذهبنا اليه . بقي علينا بعد ذلك أن نعرض لتلك الروح التي كانت تسيطر على النظام الإداري في الولايات الإسلامية في عهد بني أمية .

الخراج

لم يثقل نظام الضرائب الذي سنه عمر بن الخطاب كاهل الأهليين على ما ذهب اليه الأستاذ فون كريمر (Von kremer) . وقد أضاف الى ذلك أن الذي كان يسخط أهالي السواد (١) ويزيد في حنقهم إنما هي الطريقة التي كان يسلكها عمال الخراج في جباية تلك الأموال . يتبين لنا هذا أيضا مما حدث في مصر ؛ فقد كانت خراجها مليونين من الدراهم (؟) في ولاية عمرو بن العاص . ولم يلبث ذلك الخراج أن بلغ أربعة ملايين من الدراهم (؟) X في

ويعزى الى دينار أمير نهاوند مثل هذا الرأي عن العرب وقبولهم للرشوة .
الطبري ١ : ٢٦٣١ (س ١٧ و ما يليه) .

(١) Streifzüge auf dem gebiete des Islams, p. 19.

X قد أخطأ فان فلوتن في نقله عن البلاذري . فكل ما ذكره البلاذري أن عمرا « جبي خراج مصر وجزيته ألفي ألف وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة آلاف ألف » . والمراد بها هنا الدنانير دون الدراهم . فقد ذكر البلاذري في مكان آخر « أن عمرو بن العاص وضع الخراج على مصر فجعل على كل جريب ديناراً وثلاثة أرادب طعاماً وعلى رأس كل حالم دينارين » .

ولاية خلفه (١) . ويتضح من ذلك أن عمر بن الخطاب لم يضع نظاما ثابتا لتلك الضرائب . ويرى فون كريمر أن خراج مصر إنما زاد هذه الزيادة على أثر تعديل الجزية بجعلها أربعة دنانير بدلا من دينارين (٢) . ولا أدري أين ذكر هذا التعديل . على أن ما ذكره البلاذري يفسر لنا ذلك حيث يقول : « قال عثمان لعمر وإن اللقاح بمصر بعدك قد درت ألبانها » . فقال عمرو « لأنكم أعجفتم أولادها » .

وكان الحال أسوأ من ذلك بكثير في عهد بني أمية ، إذ لم يكن لزاما في نظر هؤلاء الخلفاء ولا في نظر ولاية الأقاليم أن يراعوا القواعد التي قررها أسلافهم . وقد كتب معاوية إلى وردان واليه على مصر « أن زد على كل امرئ من التبط قيراطا . فكتب إليه وردان : كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزداد عليهم ؟ » (٣) .

على أن ما ذكره البلاذري بعيد التصديق ، إذ لو خصصنا الجزية الرؤوس مليوننا اقتضى أن يكون عدد من فرضت عليهم الجزية خمسمائة ألف إذا فرضنا أن من فرضت عليهم الجزية كانوا ربع السكان . ولا غرو فإن الجزية لم تفرض إلا على البالغين دون الشيوخ والنساء والأطفال .

وأبعد من هذا ما ذكره ابن عبد الحكم (فتوح مصر ص ٧٨) من أن عدد من ضربت عليهم الجزية من المصريين في عهد عمرو بن العاص كان ثمانية آلاف ألف (٨٠٠٠٠٠٠) . وعلى ذلك يكون عدد سكان مصر ٣٢ مليون نسمة — وهو غير معقول — إذ لو كان هذا العدد صحيحا لبلغت جزية الرؤوس وحدها ١٦ مليوننا من الدنانير . ونحن نميل إلى الأخذ بما رواه المقرئ (الخطط ج ١ ص ٩٩ — ١٠٠) من أن خراج مصر بلغ في ولاية عمرو بن العاص ١٢ مليوننا من الدنانير بما في ذلك جزية الرؤوس — المترجمان .

(١) البلاذري ص ٢١٦ و ٢١٨ .

Culturgeschichte, I. 61.

(٢)

Von Hammer : Ueber die

(٣) البلاذري ص ٢١٧ ؛

ومن هذا يتبين لنا أن الأمويين كانوا يتجاوزون حدود الضرائب التي فرضتها النظم القديمة . ولم يكن الحال ببلاد اليمن خيراً من ذلك . فقد ارتكب فيها أحد أخوة الحجاج شراً أنواع الجور والعسف . فكان يصادر أملاك الأهالي وأموالهم ، كما أثار حنقهم وسخطهم بفرضه عليهم ضريبة معينة (وظيفة) ، وذلك عدا العشر الذي قرره الاسلام ^(١) . وإن حدوث هذا في ولاية عربية محضة له معناه ، فهو يبين لنا أن الحالة كانت أسوأ من ذلك بكثير في البلاد التي فتحها العرب . وقد اعتاد جبابة الخراج في بلاد فارس تقويم المحاصيل قبل زمن الحصاد وإرغام المزارعين على النزول لهم عنها بثمن أقل من الثمن الذي يتبايع به الناس ^(٢) . وإن ما ورد من التفاصيل في كتاب الخراج لأبي يوسف ليكشف لنا عن نظام الإدارة ببلاد الجزيرة في عهد بني أمية . فقد

Länderverwaltung unter dem Khalifate, p. 83 suiv, Karabacek, das Arabische Papier (Mittheil. a. d. Papier. Erz, Raine I:), P.91
الطبرى ١ : ٢٥٨٤ . كان يكتب الخلفاء الأمويون الى ولايتهم بمصر أن هذه البلاد قد فتحت عنوة وأن أهلها أرقاء ، للحكومة الحق في أن تزيد في مقدار الجزية المفروضة عليهم ، وأن تعاملهم كما تريد . أنظر أيضاً .

Dozy, Histoire des Musulmans d' Espagne, I. 233

(١) البلاذرى ص ٧٣

(٢) ابن سعد : كتاب الطبقات f.2423r (Cod Goth . 1748)
وكتب صهر بن عبد العزيز الى عدى بن أرطاة بلغنى أن عمالك يحرصون (الخرص الحرز وهو التكهن او الحكم بالظن) الثمار على أهلها ثم يقومونها بسعر دون سعر الناس الذين يتبايعون به فيأخذونها قرفاً (القرف القشر . وقرف الخبز ما يتقشر منه ويبقى في التنور . وقرف الأرض ما يقتلع منها مع البقول والعروق ولحاء الشجر . والمراد أخذ الشيء بقيمة تافهة) على قيمتهم التي قوموها ، وأن طوائف من الأكراد يأخذون العشر من الطريق .

أضاف زياد بن غنم الفهرى والى هذه البلاد فى عهد عمر بن الخطاب من تلقاء نفسه دينارا فوق الضريبة المقررة التى كانت تؤخذ عينا (١) . على أن ذلك لم يكف لسد جشع الضحاك بن عبد الرحمن والى هذه البلاد فى عهد عبد الملك . فقد أمر بعمل إحصاء جديد للسكان عامة ، وكلف كل شخص بسداد ما فرض عليه من الضريبة . ومعنى ذلك أن كل فرد كان ملزما بأن يبين قيمة كسبه طيلة العام ، فيترك والى له ثمن الكسوة والغذاء وبعض النفقات الضرورية ، ثم يستولى على ما بقى باسم بيت المال . وكان من أثر ذلك أن زادت جزية كل شخص ثلاثة دنانير عما كانت عليه من قبل (٢) . كذلك كان الحال فى بلاد العراق حيث كانت تزيد الضرائب الاستثنائية فى عبء ما كان يشغل الأهلى من الضرائب المقررة . وقد أمر عمر بن عبد العزيز جبابة الخراج أن لا يأخذوا من الأهلى من الدراهم ما زاد وزنه على أربعة عشر قيراطا (٣) ، وهو ما أمر به عمر بن الخطاب ؛ وقد رأى أن العمال كانوا يأخذون دراهم أثقل وزنا من تلك الدراهم التى فرضها الخليفة الثانى مما كان يزيد زيادة فاحشة فى الضرائب التى كان يدفعها الأهلى . ويتبين لنا من ذلك النظام الذى أقره عمر بن الخطاب أن الأهلى كانوا يدفعون أعدا الضريبة المقررة نفقات صك النقود وضربها وكذا نفقات العقود الرسمية ومرتببات

(١) كتاب الخراج (طبعة بولاق سنة ١٣٠٢ هـ) ص ٢٣ (فى النهاية) .
ويؤخذ من قول أبى يوسف « فلم يبلغنى أن هذا على صلح ولا على أمر أثبتته ولا برواية عن الفقهاء ولا باسناد ثابت » أن النظام الذى أدخله عمر لم يتناول بلاد الجزيرة كما ذهب الى ذلك فون كريم (Culturgeschichte, I. P. 60) .

(٢) كتاب الخراج (ص ٢٣)

(٣) شرحه ص ٤٩ والطبرى ٢ : ١٣٦٦ و Fragmentahistoricorum

عمال الإدارة . هذا عدا هدايا النيروز والمهرجان التي لم تلبث أن أصبحت عبئاً على عبء (١) .

على أن تلك الأموال المقررة والضرائب الاستثنائية ، وإن أثقلت كاهل أهالي البلاد المغلوبة ، لم تكن وحدها كل ما في النظام الإداري من نقص ، ذلك النظام الذي لم يكن يرمى إلا إلى غاية واحدة هي جباية الأموال . فقد كان ثمة ما هو أدهى من ذلك وأخطر ، ذلك هو ما عرف عن هؤلاء العمال من الخيانة والعبث بأموال الدولة وإسراف بيت المال وانفاقه الأموال عن سعة — تلك المثالب التي لا تقل خطورة عما تقدم . ولا غرو فقد كانت تتخذ إمرة إحدى الولايات وسيلة للحصول على الثروة وجمع المال من باب غير شريف . يدل على ذلك أيضاً ما شاع على الألسن في تلك الولايات . « أكل ولاية أو حلبها كما تحلب الناقة » — تلك العبارة التي طالما كانت تستعمل للدلالة على ذلك المنصب (٢) .

وطالما قدمت الشكايات الكثيرة منذ أيام عمر بن الخطاب ضد الولاة وعمال الخراج الذين كانوا يجمعون الأموال لأنفسهم باسم الدولة . وقد نقل لنا البلاذري (ص ٣٨٤) قصيدة غاية في الغرابة يتهم فيها صاحبها عدداً كبيراً من المحافظين وحكام الرساتيق والمدن في خوزستان وفارس وميديا الذين كانوا — كما يقول — « يسيغون مال الله في الأدم الوفر » ، نذكر منها هذا البيت :

ثوب إذا آبوا ونغزوا إذا غزوا فأننى لهم وفرّ ولسنا أولى وفر
وقلما كان يجد الولاة عناء في إخفاء خيانتهم واختلاسهم . ففرى بعض الحكام في أواخر عهدهم بالولاية يطلبون من الخليفة أن يعفى من كان

(١) اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥٨ ومايليها ، الطبري ٢ : ٦٥ (س ٩) ، ١٦٣٦ ،

ابن الاثير ج ٣ ص ٩٩

(٢) الطبري ٢ : ١٠٢٩ (س ٢٦) ، البلاذري ص ٩٤ ، ٢١٦ ، ٤١٤

تحت إشرافهم من الموظفين من أن يقدموا بياناً دقيقاً عما جمعه من الأموال أثناء ولايتهم لتلك الأقاليم (١). وقد سنَّ عمر بن الخطاب نظاماً لملافاة تلك المثالب الادارية، فوضع نظام « المقاسمة »، وذلك بعمل احصاء دقيق لثروة الولاية قبل توليتهم ثم إزامهم عند اعتزالهم أعمالهم بدفع نصف الأموال التي جمعوها أثناء ولايتهم والتي لا تسمح بها روايتهم (٢). وعلى هذا رد معاوية إلى بيت المال نصف الثروة التي جمعها « لطيب له الباقي » (٣). وقد اتبع معاوية مع موظفيه نفس هذه الطريقة (المقاسمة) عند ما ولي الخلافة (٤). ولم يكن الرؤساء وحدهم هم الذين يثرون على حساب بيت المال. فقد كان هناك طائفة من صغار الموظفين لا هم لهم إلا الأثراء باختلاس أموال الدولة وسلبهم كل ما يصل إلى أيديهم. وكان من أثر تلك الصعوبات التي كانت تعترض الحكومة في سبيل استرداد تلك الأموال أن فكر والى العراق (عبيد الله بن زياد) في استبدال أولئك العمال من العرب بغيرهم من الفرس. ومن ذلك الحين كان يعهد إلى الدهاقين (كبار ملاك الأراضى من هؤلاء) بمجباية الخراج. ولا غرو فقد كان هؤلاء الدهاقين « أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة » (٥). على أن بعض الموظفين قد استطاع بالرغم من ذلك جمع الثروات الضخمة، إذ كانوا يضعون الأموال التي يجمعونها أمانة عند أصدقائهم أو ذوى قرباهم. وكان بعض الولاة من ذوى المآرب الشخصية فى الإبقاء على

(١) الطبرى ٢ : ٦٩ .

(٢) البلاذرى ص ٨٢ و ٢١٧ و ٣٨٥ ؛ الطبرى ١ : ٢٨٦٤ س ٤ .

وقد تكلم اليعقوبى (ج ٢ ص ١٨١) عن بعض نواحي الضعف فى هذا النظام .

(٣) الطبرى ٢ : ٢٠٢ (س ٦ وما يليه)

(٤) اليعقوبى ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٥) الطبرى ٢ : ٤٥٨ و ٩٩٥ (س ١٩) .

بعض خلصائهم في تلك المناصب النفعية يغمضون أعينهم عن كل ما كان يرتكبه هؤلاء مع الأهليين من جور وعسف (١).

قد بينا قبل كيف كان الخلفاء الراشدون يحاولون أن يستردوا الى بيت المال ولو جزءاً يسيراً من تلك الأموال التي كان يجمعها العمال ظلماً . أما الأمويون فقد سنوا نظاماً غاية في الدقة للأشراف على جباية تلك الأموال . ففي عهد عبد الملك بن مروان كان يعمل تحقيق دقيق مع الجباة وموظفي الخراج عند اعتزالهم أعمالهم الإدارية . وكانوا يعذبون حتى يقرروا بأسماء من أودعوا عندهم ودائعهم وأموالهم ويردوا الى بيت المال ما سلبوه من الأموال ، وهو ما يسمى بالاستخراج أو التكشيف (٢) . وكان للتحقيق مع هؤلاء أماكن خاصة تسمى « دار الاستخراج » . وكان ذلك التحقيق لا يلبث أن يتجاوز الحدود المشروعة ويغدو من شر وسائل الأخذ بالنار والانتقام الشخصي ، ذلك الانتقام الذي كان يصبه عليهم حنق أولئك العمال المستبدين وتعطشهم للثروة ونهمهم للمال . وقد عم الفساد في آخر عهد بني أمية ، حتى كان أول ما يقوم به الوالي من الأعمال حبس سلفه ومن اليه من الموظفين والصنائع والأتباع ، ثم إطلاق من حبسهم وضيق عليهم ذلك الوالي السابق . وكان خالد بن عبد الله القسري والي العراق يتناول راتباً سنوياً قدره ٢٠ مليوناً من الدراهم ، بينما كان ما يخلّسه يتجاوز المائة مليون . وقد حبسه يوسف بن عمر هو وثلثمائة وخمسين من موظفيه . وبذلك استطاع أن

(١) راجع أيضاً ما ذكره أبو يوسف من المعلومات الطريفة في كتاب الخراج ص ٦١ (س ١٦ وما يليه) .

(٢) الطبري ٣ : ٥٠٢ ، العقد الفريد (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٣) ج ١ ص ١٧٩ وج ٣ ص ١٣ . وتدل كل من كلمة « توظيف » (اليعقوبي ج ٢ ص ٣٨٨) وكلمة « استيفاء » (الطبري ٢ : ١٤٦٠) على شيء واحد .

يُسترد منه أكثر من ٧٠ مليوناً (١) .

كل هذه الأموال الكثيرة والثروات الضخمة تحمل الإنسان على أن يبحث عن الوسائل والطرق التي جمعت بها ، كما أنها تسهل عليه في الوقت نفسه إدراك النتائج السيئة لذلك النظام الذي كان متبعاً في جباية الخراج . كان الموظفون وعمال الخراج ، الذين لا يرتابون فيما ينتظروهم عند اعتزالهم أعمالهم والذين لم يريدوا أن يدعوا تلك الفرصة للأثراء وجمع الأموال الضخمة تمر بهم دون أن ينتهزوها ، لا يترددون في أن يرهقوا الأهالي ويثقلوهم بأنواع الضرائب المختلفة . وهكذا كانوا يستطيعون وقت التحقيق معهم أن يؤدوا إلى الحكومة جزءاً من تلك الأموال لطيب لهم الاستمتاع بجزء كبير من تلك الثروات التي كدسوها . ومما لا ريب فيه أن عبء ذلك الجور الذي كان يتزايد من حين إلى آخر إنما كان يقع على كاهل تلك الشعوب المغلوبة على أمرها ، التي قلما كانت تصل شكاياتها إلى السلطة المركزية للحكومة (٢) ، والتي كانت تجبي منها تلك الأموال بكل وسائل العنف والتعذيب .

وكانت الطريقة التي تجبي بها هذه الأموال مخجلة على ما ذكره الفقهاء . ففي اليوم المحدد لجباية تلك الأموال كان يذهب المطالبون بها إلى ديوان الخراج حيث يجلس عامل الخراج على أريكة عالية ، ثم يتقدم إليه هؤلاء أذلاء خاضعين ، فيمد الواحد منهم يده التي يحمل فيها الضريبة فيدفعها بحيث تكون يد عامل الخراج فوق يده ، ثم يصفعه بعض الحاضرين صفقة يشيعه بها إلى الباب . وكان عامة الشعب يحضرون تلك المناظر التي كانوا يعتبرونها

(١) الطبري ٢ : ١٥٨١ و ١٧٦٤ و ١٨٤١ ؛ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥٥

و ٣٨٨ .

(٢) يرجع إلى الطبري (٢ : ١٣٥٤ أو الملحق رقم ٣) لمعرفة أعمال

السفراء الذين كانوا يوفدون إلى مقر الخلافة لبسط تلك الشكايات .

وَمَرّاً لَا تَنْصَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْكُفَّارِ (١) .
وَأَمَّا مَنْ عَجَزَ عَنْ تَأْدِيَةِ الْخِرَاجِ فَكَانَ الْجَبَاةُ يَسْلُكُونَ مَعَهُ بَعْضَ وَسَائِلِ
التَّعْذِيبِ . مِنْ ذَلِكَ تَعْرِيطُهُ لِلشَّمْسِ الْمَحْرَقَةِ ، ذَلِكَ التَّعْذِيبُ الَّذِي كَانَ يُضَاعَفُ
أَحْيَانًا بِصَبِّ الزَّيْتِ عَلَى الشَّخْصِ الْمُعَذَّبِ .
وَكَانُوا يُلْزَمُونَهُمْ بِحَمْلِ بَعْضِ الْحِجَارَةِ أَوْ جَرَارِ الْمَاءِ فِي رِقَابِهِمْ ، كَمَا كَانُوا
يُوقَفُونَهُمْ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ سَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ ثُمَّ يُوثَقُونَهُمْ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُونَ
السُّجُودَ لِلصَّلَاةِ (٢) . وَفِي بِلَادٍ مَأُورَاءَ النَّهْرِ كَانَ يُدْعَى عَمَالُ الْخِرَاجِ الدِّهَاقِينَ
فِي الشَّخْصِ نَازِعِينَ عَنْهُمْ ثِيَابَهُمْ ثُمَّ يَرْمُونَهُمْ بِزَنَانِيرِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ (٣) X .

(١) Karabaceck, das Arabische, P. 87

(٢) كتاب الخراج ص ١٨ و ٦١ و ٧٠ و ٧١

(٣) أنظر الطبري ٢ : ١٥١٠

X نَشَكَّ كَثِيرًا فِي صَحَّةِ مَا نَقَلَهُ فَإِنْ فُلُوتُنْ عَنْ كِتَابِ karabaceck, das Arabische, P. 87
Arabische Papier, p. 87 فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي كَانَ يُجْبَى بِهَا الْمُسْلِمُونَ
الْخِرَاجَ . وَالَّذِي يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ هَذَا مَدْسُوسٌ عَلَى فَقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، لَا سِيَّمَا
وَأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ لَنَا الْمُرْجِعُ الْعَرَبِيَّ الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ صَاحِبُ هَذَا الْكِتَابِ .
عَلَى أَنَّ هَذَا عَلَى فَرَضِ صَحَّتِهِ لَا يَنْهَضُ دَلِيلًا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فَإِنْ فُلُوتُنْ ، إِذْ
أَنَّ مَا ذَكَرَهُ لَمْ يَعُدْ أَنَّ يَكُونَ رَأْيًا مِنْ آرَاءِ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ . وَلَمْ تَكُنْ أَقْوَالُ
الْفُقَهَاءِ وَآرَاءُ الْمَشْرِعِينَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حِجَّةً لِلْحُكْمِ عَلَى شَعْبٍ مِنَ الشُّعُوبِ
بِحُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَإِنَّمَا يَعْتَمِدُ عَلَى الْحَوَادِثِ الْجُزْئِيَّةِ وَالْأَمْثَلَةِ التَّارِيخِيَّةِ فِي
تَقْدِيرِ تِلْكَ الْآرَاءِ وَالْحُكْمِ بِصَحَّتِهَا . وَقَدْ أَدْلَى الْمُؤَلِّفُ بِرَأْيِهِ أَعَزَلَ مِنْ كُلِّ
دَلِيلٍ مُعْظَلٍّ مِنْ كُلِّ حِجَّةٍ ، إِذْ لَمْ يَذْكُرْ لَنَا حَادِثَةً مُعَيَّنَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ
كَانُوا يُجْبَوْنَ الْأَمْوَالَ مِنْ أَهَالِي الْبِلَادِ الَّتِي فَتَحَوْهَا عَلَى هَذَا النُّحُو . وَلَا
تَعُوزُنَا الْمِثْلُ الصَّحِيحَةُ عَلَى فُسَادِ ذَلِكَ الرَّأْيِ . وَلَا غُرُوبُ فَانِ كُتُبِ الْحَدِيثِ
حَافِلَةٌ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمِثْلَةِ وَالْعُطْفِ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَالرَّفَقِ بِالْحَيَوَانِ بَلَى الْإِنْسَانِ .
أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ وَصَايَا الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لِأُمَرَاءِ الْجُنُودِ . مِنْ ذَلِكَ وَصِيَّةُ

حالة الموالي السياسية والاجتماعية

أخشى أن يتهمني القارئ حين أقدم له تلك الصورة السوداء لحكم بني أمية بأنني أحاول أن أطبق تلك المثل التي أتينا على ذكرها على جميع الاقاليم التي كانت تحت سلطان الأمويين ، أو على الأقل طيلة عهد بني أمية . على أن ما ذكرته من نقص وعيب في حكم الأمويين لم يكن استعراضاً لتلك الحوادث التي ترويه لنا المصادر التي اعتمدنا عليها . ومع ذلك فلا مندوحة من التسليم بصحة هاتين الملاحظتين : (١) إننا لانعلم إلا الجزء اليسير عما نزل بالشعوب المحكومة من ألم وحيف رغم التسليم بنزاهة المصادر العربية . وعدم تحيزها فيما يتعلق بحالة تلك الشعوب (٢) إن ما تروييه لنا تلك المصادر مهما كان ناقصاً وضئيلاً فإنه يبرر الرأي الذي ذهبنا اليه ، وذلك بتأييدها الحكم الذي ذكرناه آنفاً عن بني أمية وحكومتهم : ذلك أن المسألة لم تصبح بعد في نظرهم مسألة دعاية دينية بل مسألة نهب وتخريب يشوبه شيء من النظام . ولكن قد يتساءل المرء : ألم تكن ثمة وسيلة لمن فرضت عليهم الجزية يتفادون بها ذلك الخراج وتلك الضرائب ؟ ألم تكن هناك تلك الوسيلة

أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد وجنده عند رحيلهم الى الشام (الطبري ج ٣ ص ٢١٣) « يا أيها الناس ! قبقوا أوصكم بعشر احفظوها عني ، لا تخونوا ولا تغلوا (تخونوا) ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تشاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كله . وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . »

كذلك عهد عمر لأهل إيلياء (الطبري ج ٤ ص ١٥٩) . أنظر ص ٨٦ ، ٧ بهامش هذا الكتاب — المترجمان .

الفذة ، وهى خروج المغلوبين عن أملاكهم العقارية واعتناقهم الاسلام وانضمامهم إلى صفوف الفاتحين من العرب يقاسمونهم تلك الغنائم التى كانوا يدفعونها اليهم من قبل ؟ .

بلى ! وذلك ما فطن له واستغله منذ اللحظة الأولى معظم الدهاقين وهم ملاك الأراضى من الفرس . وقد أكسبهم ما كان لهم من السيادة أيام حكومتهم الأولى نفوذاً كبيراً . على الرعايا من صغار الزراع . ومن ثم لم يلبث هؤلاء أن أسندت اليهم المناصب الإدارية الهامة وجباية الأموال الأميرية ، وذلك بفضل ما كان لهم من معرفة تامة بتلك البلاد وحال أهلها . ولذلك أصبح هؤلاء الدهاقين بطانة للحكومة ، تتخذ منهم الجواسيس والمفوضين السياسيين (١) . وهكذا احتفظت طائفة النبلاء الأقطاعيين من أهل فارس بما بقى لهم من سلطان باعتناقهم الاسلام ، كما جمعوا الثروات الضخمة وتمتعوا بنفوذ كبير وذلك باستثمارهم بجباية الخراج (٢) .

بقى علينا أن نبين حال الطبقة الدنيا من هؤلاء الذين كان يسميهم مؤرخو العرب العلوج . وإن ما كتبه المؤرخون لن يدع فى نفس القارئ شكاً فى حالة هؤلاء . فان اعتناقهم الاسلام لم يأت لهم بخير ، اللهم إلا ذلك الأمل الضائع والفشل المر . فقد وقف طمع العرب وكبرياؤهم ثم شرهم وتهمهم عقبة كأداء فى سبيل إصلاح ذلك العنصر المضطهد رغم اعتناقه الاسلام . وهذا ما سنعرض له ، بادئين بذكر الحالة الاجتماعية لأولئك الجدد فى الاسلام أولاً ، معقبين على ذلك بالكلام عن حقوقهم السياسية .

أما أولى تلك المسائل فسوف لا يصعب علينا معالجتها ، وذلك بفضل

(١) الطبرى ٢ : ٤٩٢

(٢) Von kremer, Streifzüge , p. 14 et ibid. n. 4.

البحوث التي قام بها كل من الأستاذين فون كريمر وجولدزيهر^(١). لا يخفى أن المسلمين من غير العرب قد ألحقوا منذ اعتناقهم الاسلام ببعض القبائل العربية على أن يكونوا موالى لتلك القبائل. ومن ذلك الحين نرى أن حالة الموالى التي كان لا يشوبها أية شائبة من شوائب الخسة أو الانحطاط قد غدت على النقيض من ذلك منذ اللحظة التي ابتداءً يزيد فيها عدد من فرضت عليهم الجزية من أولئك الموالى زيادة كبيرة. هذا الى ما كان من احتقار العرب الذين كانوا لا يحترمون سوى مهنة الحرب أولئك الموالى واعتبارهم إياهم طائفة منحطة لا تكاد تختلف عن طائفة الرقيق في شيء، وذلك لامتهانهم طبقات العمال التي نشأ منها هؤلاء وازدراءهم تلك المهن التي كانوا يزاولونها. وليس بعيداً — على ما يظهر لى — أن يكون لما في كلمة مولى من اللبس — تلك الكامة التي طالما كانت تطلق أيضاً على الرقيق المعتقد — أثر كبير في احتقار العرب لتلك الطائفة. ولا غرو فقد شاع عند العرب إطلاق لفظ عبد أو رقيق على المولى^(٢)، كما كانوا عدا ذلك ينادونهم بألقابهم دون أسمائهم كما ينادون الرقيق^(٣). وإذا ما أرادوا الزواج فلم يكن بدمن الرجوع إلى أسيادهم الذين كان لهم حق المعارضة في تلك العقود. وكانوا بمعزل عن باقي الجيش، لهم رؤساؤهم الخاصون بهم، كذلك لا يبعد أنهم كانوا

(١) Von Kremer, Culturgeschichte II. 154 suiv. ; Streifzüge, p. 15 suiv. ; Goldziher, Islamische Studien, I. 104 suiv.

(٢) كتاب الاغانى ج ٥ ص ١٥٥ ؛ الطبرى ٢ : ٦٨٤ ؛ Van Gelder, Mokhtar, p. P.52

Dozy, Hist. des Musulmans d. Espagne, II. 72 cf.

ليس من المحقق ان ما ورد في الطبرى (٢ : ٥٩٦) (س ١٨) ، ٦٢٣ (س ٥) له أية علاقة بالموالى .

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٩٠ .

يحاربون راجلين^(١). وكانوا يقنعون بأحط الأماكن وأردئها في الاجتماعات ولا يدخلون مساجد العرب ، إذ كانت لهم مساجدهم الخاصة بهم X X .
حسبنا تلك المثل الناطقة فانها وحدها تكفي لأن تمدنا بفكرة واضحة عن حالة أولئك الموالى الاجتماعية . ونحيل القارئ المتعطش للاستزادة في هذا الموضوع الى مؤلفات الاستاذين فون كريم وجولد تزيهر التي أشرنا اليها قبل . وسنمضى الآن في استقصاء حالتهم السياسية لنبين أن جور الحكومة معهم قد انتهى الى عدم اعترافها لهم بشئ من الحقوق التي كانت لأخوانهم من العرب . ولا يفوتنا أن نذكر أن النظام الذي أقره عمر ، والذي يجده القارئ في كتاب « فتوح البلدان » للبلاذرى ص ٤٦١ ،
Von kremer, Culturgeschichte, I. 167 suiv. كان يفرض لكل مسلم ذون اسمه في سجلات الحكومة (الديوان) مكافأة سنوية عن خدماته الحربية (وهى الغطاء) ، عدا ما كان يمنحه من الاجر (فريضة) لابنائهم ، لا فرق في ذلك بين العرب والموالى .

على أن هناك أمرا آخر جديرا بالملاحظة ، ذلك أن عدد هؤلاء لم يكن كبيرا في عهد هذا الخليفة . لذلك أصبح العطاء وقفا على الدهاقين الذين

(١) الطبرى ٢ : ١٩٢٠ (س ٤) . قال أمير خراسان لأحد العرب من خاشيته : « وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ويجعلهم فى الرجالة » . ويظهر أن هذا كان خاصا بالذميين (أنظر مقدمة كتاب البلاذرى والطبرى ٢ : ١٢٥٢ (٤) ، والعقد القبريد ج ٢ ص ٩٢ وما يليها) .
ويغلب على ظنى أن الجند الرجالة لم يكونوا غير الموالى أنفسهم .

Opkomst der Abbasiden, pp 98. 105 (n 1)

X X هذه مسألة قومية بحتمة لا دخل للدين فيها . ولا غرو فقد دعا الاسلام إلى المساواة بين جميع المسلمين لا فرق بين عربى ومولى وإحلال العصبية الدينية محل العصبية القومية — المترجمان .

ساعدوا العرب في فتوحاتهم (١). ويمكننا أن نستخلص مما ذكره البلاذري أن العرب في ذلك الوقت لم يكن يحفظهم أن يقاسمهم غيرهم ممن دخلوا في الاسلام من غير العرب نصيبهم من الغنائم (٢). وقد ذكر اليعقوبي أن عليا وحده هو الذي تمسك بالقواعد القديمة (٣). ولا نعلم تمام العلم الى أي حد اتبع الامويون الطريقة التي خطها عمر فيما يتعلق بالأعطيات السنوية. على أنه لا مندوحة من أن تفرض ذلك الفرض، وهو أنهم قد أنقصوا تقصا كبيرا أعطية هؤلاء الذين باءوا بسخطهم (كالعلويين مثلا)، كما استبدوا بما في بيت المال من الاموال يبذلونها لأفراد أسرهم (٤). ومع ذلك فقد كان الأمويون على جانب كبير من الحكمة وبعد النظر لتلافي ماعساه يجره عليهم ذلك النظام الذي كان يقضى بنقص عطاء رعاياهم من العرب عن القدر الذي فرضه لهم عمر بن الخطاب. ولا غرو فقد عرفوا سلطان المال على النفوس. وسنرى الى أي حد كانوا يحسنون استخدامه ويشترون به حيدة خصومهم. أما الموالى فكانوا على العكس من ذلك. فقد زاد عددهم في المدن، وبخاصة في بلاد العراق، للأسباب التي سندكرها. كانت البلاد التي يفتحها العرب عنوة (كسواد العراق كله تقريبا وكذا سورية ومصر) تصبح وقفا على المسلمين. فكان الأهالي (الزراع) يظلون في زراعتها على أن يقدموا للفاتحين جزءا من الغلة ضريبة عقارية (خراج)، بينما كانوا يستمتعون بحرية التدين وحماية المسلمين لهم نظير مبلغ معين يدفع عن رأس كل فرد يسمى جزية (وهي الضريبة الشخصية) (٥). وكانوا يعفون من تلك الجزية إذا اعتنقوا

(١) البلاذري ص ٤٥٧ في النهاية :

(٢) شرحه ص ٥٧ : (٣).

(٣) اليعقوبي ج ٢ ص ٢١٣

(٤) الطبري ٢ : ٥٣٤ و ١٠٢٠ (١١).

Von kremer, Gesch. der herrsch. Ideen, p.336 suiv., 393 suiv.

(٥) يجب ألا نخلط بين هذه الضريبة المسماة جزية الرؤوس وبين الخراج

الأسلام مع بقائهم على دفع الخراج (١). ومن ثم لا ندهش أن نرى الجهم
الغفير منهم يفضل ترك ما يملكه من الأرض والرحيل الى المدن والأقامة بهه
جنباً لجنب مع العرب ليعاونوهم إذا ما طلبوا مساعدتهم ، ولا سيما بعد وقوفنا
على ما كان في نظام الخراج وجبايته من سوء ونقص .

وكان لزاماً أن تعرض تلك المشكلة ، مشكلة توزيع أجور تلك النجيدات
الجديدة . ومن السهل علينا أن ندرك إلى أي حد كانت تختلف وجهة نظر
كل من العرب والموالي فيما يتعلق بهذه الأجور بقدر ما كان هناك من
التعارض بين مصالح كل من الفريقين . أما العرب فأنهم لم يرضوا أن يقاسمهم
الموالي ثمرات ما يفتحونه من البلاد تلك المقاسمة التي كانت تنقص نصيبهم
منها نقصاً محسوساً . وأما الموالي فكانوا على العكس من ذلك يزعمون أن
العطاء إنما هو حق لجميع المسلمين (٢) .

وقد ظهر أثر ذلك لأول مرة في الثورة التي أثارها المختار في عهد
مروان الأول بعد أن ضمن مساعدة العنصرين العربي والفارسي من أهل
الكوفة . ومما ندهش له نقص العرب الذين اشتركوا في تلك الثورة
نقصاً مطرداً ، بقدر ما كان يزيد عدد الموالي الذين استملهم اليه زعيم
تلك الثورة زيادة كبيرة بما كان يدره عليهم من العطاء . ولا غرو فانه
« لم يكن فيما احدث المختار شيء هو أعظم عليهم من أن يروا
المختار يمنح الموالي نصيبهم من الفيء (هو المال الذي تدره عليهم
البلاد التي كانوا يفتحونها) » . وطالما كانوا يقولون له : « عمدت الى
موالينا ، وهم في أفاء الله علينا ، وهذه البلاد جميعاً . فأعتقنا رقابهم

وهو الجزية العقارية كما سبقت الإشارة إليه (ص ٢) — ص ١٥ من الترجمة

Van Berchem, op .cit. 35

(١)

(٢) الطبري ٢ : ١٣٥٤

نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا » (١)

وليس أدل على شعور العرب نحو غيرهم من الشعوب الأخرى من تلك العقيدة التي كانوا يدينون بها ، وهي أن أملاك الأجانب وأرضهم ثمن لتركهم لهم حرية البقاء على وثنيتهم ، كما أنها جزاء من الله للمؤمنين منهم . ولم يكن بد من أن ينتهي هذا الزعم بتعصب الشعب العربي لبني جنسه وتشبثه بأرجحيته وأفضليته على من سواه من العناصر الأخرى . ولم يرض الفاتحون من العرب الذين لم يكن بد من أن تنتهي مهمتهم بمجرد اعتناق الشعوب المغلوبة للأسلام أن يتركوا ثمرات فتوحاتهم . وكان لذلك أسوأ الأثر لاسيما في أيام الحجاج والى العراق من قبل عبد الملك ثم من قبل الوليد ، ذلك الوالى الذى اشتهر بالقسوة والشدة .

ولقد شغل ازدياد دخول هؤلاء في الأسلام ، ولا سيما أولئك الذين ظهرت فيهم روح التمرد في ثورة المختار ، بال الحكومة في نفس الوقت الذى تدهورت فيه مالياتها بسبب إهمال كثير من الولايات أيام الحجاج الذى اختاره بلاط دمشق لعلاج الأمور في بلاد العراق .

وتتلخص سياسة ذلك الأمير الجديد في هذه الكلمات : يجب أن تعود بلاد العراق — مهد المعارضة التى قام بها الموالى — معقلا للجيش العربية كما كانت من قبل . وهكذا اضطر الموالى الذين كانوا يتطلعون إلى مساواتهم مساواة تامة بأخوانهم في الدين من العرب للعودة الى أرضهم ودفعهم الجزية كما كانوا يدفعونها من قبل .

وإننا لمدينون أيضا للأستاذ فون كريم بتلك المعلومات عن ذلك الحادث

(١) الطبرى ٢ : ٦٥٠ وما يليها .

الهام في تاريخ الدولة العربية . ولا بد أن يكون القارى قد وقف على ذلك في كتابه «Culturgeschichte des Orients»^(١) ورأى كيف استطاع الحجاج أن يرغم هؤلاء الجدد في الأسلام على دفع الضريبة التي كان يدفعها الكفار ثم تلك المقاومة العنيفة التي قاوموا بها الحجاج بانضمامهم الى صفوف عبد الرحمن بن الاشعث الذي أشعل نار الثورة على بنى أمية . وقد أخذ تلك الثورة ما أريق فيها من أمواج الدماء المتلاطمة . ولكي ترد الحكومة هؤلاء الموالى الى واجبهم نحو الفاتحين وتسد في وجههم كل أمل في تحسين حالهم ، طردتهم وأرسلتهم الى قراهم بعد أن وشتت أسماءها على أيديهم .

وقد روى لنا مؤرخو العرب نتائج تلك السياسة القاسية التي كان الغرض منها العودة بنظام الضرائب الى ما كان عليه من قبل . فقد أجمع هؤلاء على القول بأن بلاد العراق كانت بعد الحجاج أسوأ البلاد حالا^(٢) . من ذلك ما ذكره اليعقوبى (طبعة هوتساج ٢ ص ٣٤٨ وما يليها) : « وكان (الحجاج) أول من أخذ بالقذف والظنة وقتل بهما الرجال . وانكسر الخراج في أيامه فلم يحمل كثير شئ ، ولم يحمل الحجاج من جميع العراق إلا خمسة وعشرين ألف ألف درهم » (وكان خراجها في عهد معاوية ١٢٠ مليوناً من الدراهم) .

كذلك ما رواه الطبرى (٢ : ١٣٠٦) من « أن يزيد (بن المهلب) نظر،

(١) ١ ص ١٧٢

(٢) ويمكن المقارنة بين هذه الأرقام وبين الأرقام التي نقلها لنا ابن خرداذبة (طبعة دى غوية) ص ١١ . فان هذه المبالغ وأن كانت صحيحة فيما يتعلق بالسواد فقط ، فان الأرقام التي نقلها ابن خرداذبة تكشف لنا عن حالة البلاد بعد الحجاج . ومع ذلك فاني لا أعلق أهمية كبيرة على تلك المبالغ بقدر ما أعلق على الملاحظات التي أبداها المؤرخون عنها .

لما ولاه سليمان (بن عبد الملك) ما ولاه من أمر العراق ، في أمر نفسه فقال
إن العراق قد أخرجها الحجاج ، وأنا اليوم رجاء أهل العراق . ومتى قدمتها
وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس
وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها » .

وقد ورد في كتاب *Fragmenta Historicorum Arabicorum* (cf. p. 33) p. 17 « قد حاول سليمان بن عبد الملك معالجة الحالة السيئة التي
جرتها سياسة الحجاج . ولا غرو فقد رسخت في الأذهان فكرة سيئة عن
حكومة الوليد بسبب تلك الشدة والقسوة التي ارتكبها واليه والتي كانت
نتيجتها جذب البلاد وفقرها » .

ومن اليسير علينا أن ندرك أن تلك العبارات قد صدرت من نفوس
أشربت قليلاً أو كثيراً روح العداء لحكم الحجاج ، وأنها قد لا تصور حالة
البلاد إلا بعد الحرب الداخلية مباشرة ، تلك الحرب التي أشعل نارها ابن
الأشعث ، والتي كان يرتبط بمصيرها حياة العرش الأموي أو موته . ولكن
هل نستطيع أن ننكر بعد ذلك أن تلك الحرب لم يكن لها من الخطر ما كان
لها ببلاد العراق لو لم يشترك فيها ضحايا ذلك النظام الإداري ممن أزهقهم
الضرائب الفادحة ، حتى آخر قطرة من دماهم ؟

فالحجاج وإن لم تقع عليه ثبعة تلك الحروب وخراب ذلك الأقليم ،
فهو على الأقل مسئول عن نتيجة تلك الحرب . ولعل معترضاً يعترض على
بأن الحجاج لم يكن في كل ذلك إلا وزير بلاط دمشق ، وأن سيادة العنصر
العربي غيره من العناصر الأجنبية لتتفق مع مصالح الدولة الأموية وسياستها ،
لا سيما وأنها هي التي وضعت أساس تلك السياسة .

أما أنا فساأكون آخر من لا يعترف بصحة ذلك الاعتراض . ولكن
ليسمح لي القارئ أن أجيب عنه بذلك الجواب ، وهو أن زوال حكم بني
أمية قد أصبح محتوماً منذ اللحظة التي برهنت فيها الحوادث على أن النظام

الذي كان يتشبث به الأمويون لم يكن ثمرة ما يبرر بقاءه .
ويظهر أن ذلك هو ما عناه فون كريمر حين تكلم عن الخطة التي سلكها
الحجاج لقمع الثورة التي قام بها الموالي ، إذ يقول إن تلك الخطة وإن قضت
على آمال الموالي والجدد في الاسلام وطمعهم في مساواتهم بالشعب الحاكم ،
فقد كان سخط هؤلاء المضطهدين — إذا مادقنا البحث في استقصاء الأسباب
التي انتهت بسقوط الدولة الأموية — هو السبب الذي يعول عليه .
(Streifzüge, P. 24, cf. Hersch. Id., P. 334) . وسيظهر لنا مقدار صحة
هذا الرأي عند دراسة الحالة في خراسان .

الحالة في خراسان

لم يبق ببلاد خراسان عند وصول العرب اليها سوى طائفة من الولايات
الصغيرة لا تربطها حكومة مركزية تدير شئونها ، ولا سيما بعد التقلبات التي
مرت بها هي والولايات الأخرى في آسيا الصغرى ثم الحكومات التي تعاقبت
عليها وبخاصة أسرات البكتريان (Bactriennes) X وشعوب الأندوسكيث
(Indo—Scythe) وغارات الحيتيين أو الهون البيض (Hailal ou Huns)
X X (blancs) .

وكان السواد الأعظم من سكان تلك البلاد من أصل آري ، أقوياء البنية
عراض الصدور والكثيفة الشعر ، وذلك رمز القوة وشدة البأس ، مما استرعى
إعجاب الجغرافيين من العرب . ولم يكن يختلف ذلك الشعب اختلافا جوهريا
عن ذلك الجنس الذي يسميه الرحالة المحدثون باسم تاجيك (Tadjik) (١) . وقد
X بلاد آسيا القديمة ، إحدى مواطن الإيرانيين الذين يعيشون الآن
ببلاد التركستان وبلاد الفرس . وحاضرتها بكتريا — المترجمان .

X X من شعوب البرابرة القديمة . وهم الرحل من سكان شمالي شرق
أوربا وشمالي غرب آسيا — المترجمان .

(١) أنظر المقالتين اللتين كتبتهما عن Persia, Oxus في دائرة المعارف

أطلق ذلك الاسم في الأصل على العرب ("Arabe" —tadjik—tazi). غير أن علماء وصف الشعوب قد اتفقوا على أن التيجيك (les Tadjik) ، فضلاً عن بعدهم عن أن يكونوا ساميين ، فإنهم من جنس آري قد امتزج بالدم الطوراني (١) .

وكان سكان بلاد خراسان الأصليين من هؤلاء التيجيكين . وأما الطبقة التي كانت لها السيادة فكانت طبقة الدهاقين ، وهم ملاك الأرض والزراع من الفرس ، وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير وبخاصة في بلاد ماوراء النهر حيث كانوا يملكون الضياع الواسعة . أما « البخاراخودة » أو أمراء بخارى فهم في الأصل من طبقة الدهاقين (٢) . وكان الدهقان في هراة يحكم بجانب أمير أجنبي (٣) ، كما كان مركز الأشراف من كبار ملاك الأرض يختلف باختلاف الأحوال التي تحيط بهم . وكان الدهقان — على ماذهب إليه نلدة (Nöldeke) (٤) — لا يكاد يعدو أحياناً أن يكون من بسطاء الفلاحين ، كما كان في بعض الأحيان من طبقة الأشراف الذين يملكون بلاداً (رساتيق) برمتها . وكان يحكم ذلك الشعب أمراء مختلفون من الأشراف الاقطاعيين القدامى

البريطانية (Encyclopaedia Britannica) وما كتبه مسيو Specht في المجلة الآسيوية الفرنسية ، ونلدة Nöldeke في كتابه Geschichte der Perser und Araber, p.115 (n.21) , p.17 (n.5) (Journal Asiatique, 1883, t. II. p. 317 suiv.)

من سكان فارس وتركستان من الجنس الآري . وهم حول مليوني نسمة — المترجمان

(١) Khanikoff, Ethnographie de la Perse, p. 87 suiv.

Quatrefages et Hamy, Crania Ethnica.p.503.

(٢) Nerchakhi, Description de Bokhara (ed. Schefer) , p. 6 .

(٣) الطبري ٢ : ١٦٣٦

Geschichte der Perser und Araber, p. 440

(٤)

في بعض الأباطوريات الواسعة الأرجاء الذين طالما كانت تهم ألقابهم عن
أصلهم التركي أو المغولي (١). أما إبان الفتح العربي فأننا نجد من أمراء سجستان
رتبيل (Rotbīl) (٢) ، ومن أمراء سمنجان وروب (Simindjan et Roub)
(الروبخان Roubkham) (٣) ، ومن جوزجان (الجوزجان Djouzedjan) (٤) ،
ومن الخزر (khazar) (سبقرى ؟) (٥) ، ومن أمراء الختل (khottal)
(السبل) (Al — Sabal) (٦) ، ومن بدغيس (Badghis) وطخارستان
(Tokharestan) (جيغويه ، Djighoyeh ، الشذ Chādh — al ونزك
طرخان Nizak tarkhān) (٧) ، ومن مرو رود (بدام Badhām) (٨) ومن
الطالقان سهرك (Sahrak) (٩) ، ومن الفرياب Farayāb (توسك
Tousik) (١٠) ، ومن بلاد ما وراء النهر : السغد وسمرقند (ترخون

- (١) الأسماء الآتية منقولة عن تاريخ الطبري ، ويمكن اعتبارها تكملة
لما ذكره ابن خردادبه (طبعة دي غويه) ص ٢٨
(٢) الطبري ٢ : ١٠٣٦ ، وابن خردادبه ص ٢٩
(٣) شرحه ٢ : ١٢١٩
(٤) شرحه ٢ : ١٢٠٦
(٥) شرحه ٢ : ١٤٤٨
(٦) الطبري ٢ : ١٠٤٠ و ١٢٢٤ . وهو من ألقاب الشرف (عند الصينيين)
(٧) كان جيغويه ملكا . وكان يقيم بالقرب منه أحد أشراف الصين
ويلقب بلقب شذ (وبالصينية شتر Ché — tsz) . وأما نزك ترخان من
أتباع ملك تخرستان فكان يقيم في بدغيس .

(٨) الطبري ٢ : ١٢٠٦

(٩) شرحه

(١٠) شرحه

Tarkhoun (١) وغوزك (Ghawzak) (٢) ، ومن فرغانة X (إخشيد وألتان
(Ikhchidh, al - târ) (٣) ، ومن أمراء كي (ترك خاقان) (٤) ومن أمراء
كش (Wik) (٥) ، ومن شومان (فيلسنشيب ؟ أو غيسلستان) (٦) . وفي
كابل كان يقيم كابل شاه (٧) ، بينما كان يحتفظ مرازمة أمبراطورية آل
ساسان بمراکز مستقلة في مرو و مروروذ وسرخس وطوس و هراة X X .
وقوهستان ، كما كان يحكم بلخ إصبهيد (Ispehbedh) (٨) . وقد قبل معظم
أولئك الأقبال سيادة العرب دون كبير مقاومة ، كما نراهم يبادرون إلى
إعتناق الاسلام (كما فعل دهاقين العراق) ويعيشون في سلم ووئام مع
غيرهم من أشرف العرب . وكذلك أصبحوا (مع غض النظر عن الاستثناءات

(١) الطبري ٢ : ١١٤٦

(٢) شرحه ٢ : ١٢٢٩

وقد ذكرها المؤلف غزك (Ghozak) والصحيح غوزك — المترجمان
X ذكرها المؤلف فرغنه (Ferghana) ، وضبطها فرغانه بفتح الفاء
ومد الغين — المترجمان .

(٣) الطبري ٣ : ١٢٤٢ و ١٤٤٠

(٤) شرحه ٢ : ١٤٢٢

Tork Khakhân في الأصل والصحيح Tork Khakhân — المترجمان .

(٥) الطبري ٢ : ١٤٤٨

في الأصل كش Kech والصحيح كس كما في الطبري — المترجمان

(٦) الطبري ٣ : ١٢٢٧

(٧) شرحه ٢ : ١٢٠٦

كبولشاه في الأصل وضبطها كابل شاه — المترجمان .

X X في الأصل هراة بكسر الهاء والصحيح بفتحها كما ورد في معجم
البلدان لياقوت — المترجمان .

(٨) الطبري ٢ : ١٢٠٦ ، ١٢١٨

التي لا مناص منها) محل ثقة الأمراء من العرب وأصدقاء النابيين منهم. وكانوا يساعدون جيوش المسلمين ضد الأتراك من بلاد ما وراء النهر، كما كانوا يحتفون بالروساء من العرب احتفاء كبيراً، فكانوا يستقبلونهم في قصورهم ويتعلقونهم بتلك الهدايا الثمينة التي كانوا يقدمونها إليهم في عيد رأس السنة وفي احتفال المهرجان (١).

ومع ذلك فمن اليسير علينا أن ندرك أنه كان وراء مظاهر تلك الحفاوة وتلك الهدايا ما وراءها. لذلك لاندعش — بعد أن وقفنا على ما كانت عليه الإدارة العربية — من أن نرى أشرف هذه البلاد ينتفعون من تلك الفتوحات باتصالهم بالجباة وعمال الخراج وإثرائهم على حساب الرعايا. ولم يكن مجرد إلقاء القبض على الكثيرين منهم هو كل ما نعلمه عن هذه الناحية، فإن ما ذكره النرشخي في كتابه «وصف بخارى» ليبين لنا ذلك الأمر ببيان واضحاً. ولا غرو فقد أدلى إلينا بعبارة قيمة تكمل ما رواه الطبري تكميلاً لم نكن نتوقعه. فقد روى الطبري عند كلامه على حوادث سنة ١٢١ هـ أن اثنين من الدهاقين قتلًا تغشادة أمير بخارى وعامل الخراج من قبل العرب في ذلك الأقليم (٢) في حضرة نصر بن سيار نفسه دون أن يذكر لنا شيئاً عن أسباب ذلك العدوان.

وإلى القارئ ما ذكره النرشخي ننقله عن كتاب Chrestomathie persane, tome I. p. 44 cf. p. 95 suiv. del' édition (Schefer):

كان نصر بن سيار يحل تغشادة من نفسه محلاً ربيعاً. ولا غرو فقد أقطعه إحدى ضياعه ثم زوجه إحدى بناته. وقد جاء تغشادة لزيارة نصر بن سيار في فسطاطه، فلم يكده يستقر به المقام حتى حضر اثنان من الدهاقين

(١) الطبري ٢: ١١٧٥ و ١٢٢٨ (١١) و ١٤٤١ (١٠) و ١٤٤٨ (١٣) وما يليه

(٢) شرحه ٢: ١٦٩٣ وما يليها.

من أسرة تغشادة وطلبوا المثل بين يدي نصر . وكان يمت كل من هذين إلى أسرة ذات نفوذ عظيم ، وقد اعتنقا الاسلام على يد نصر بن سيار . فلما أصبحا بحضرته تظلما اليه من استبداد تغشادة ، قائلين إنه استولى على أملاكهما بالقوة . وكان عامل بخارى واصل بن عمرو حاضراً ، فطلب الدهقانان من نصر أن ينصفهما منه أيضاً بعد أن اتهماه باشتراكهما مع تغشادة في الاستيلاء على أملاك الغير ظلماً وعدواناً . هذه هي الأسباب التي حملت هذين الرجلين على هذا الانتقام القاسي ، كما كانت في الوقت نفسه السبب الذي من أجله اقتضبت تلك الوقائع من رواية الطبري .

وهل ثمة بعد ذلك ما يمنعنا من الاعتقاد بأن هذه الحال لم تقتصر على إقليم بخارى ، وأنه لو كان بين أيدينا الكثير من مثل تلك الأخبار لأمدتنا بأكثر مما رواه لنا الطبري عن حال الكثير من الولايات الاسلامية ؟ ومهما يكن من شيء فقد شاعت الأقدار أن يأتينا ذلك النور من بلاد ما وراء النهر خاصة ، ذلك النور الذي أضاء لنا الانوار عن نتائج الفتح العربي . ولا غرو فقد وقعت فيها هذه الحوادث التي أمدتنا بها تلك المصادر .

وبالرغم من أن المسلمين من العرب كانوا يعفون من جميع الضرائب ويقتسمون الغنائم ، فإن الخراسانيين لم يستطيعوا التخلص من عبء تلك الضرائب رغم اعتناقهم الاسلام ، إذ كانوا لا يزالون يدفعونها كما كان يدفعها أهل بلاد العراق .

وكانت تسمى الضريبة التي تجبى من الخراسانيين تارة بالجزية وتارة بالخراج (١) . ومن اليسير علينا أن نستنتج من ذلك أنه لم يكن في تلك البلاد سوى ضريبة واحدة كانت تدفع نقداً . يؤيد هذا ما ذكره الطبري

(١) وقد وردت هذه الاصطلاحات مختلطة بعضها ببعض . الطبري : ٢

(٢: ١٥٠٧) « خراج خراسان على رؤوس الرجال » ، ثم ما رواه اليعقوبي (طبعة هوتسما Houtsma ج ١ ص ٢٠٧) « وخراجهم على رؤوس الرجال يوجبون على كل رجل بالغ جزية » (١).

ولا يفوتنا أن نذكر أن أمراء كور تلك الولاية على اختلافها قد عقدوا معاهدات السلم مع العرب حين فتحوا بلادهم على أن يدفعوا لهم جزية سنوية معينة . وكانت تلك الجزية موزعة على الأهلىن ، يشرف على جبايتها بعض عمال الحكومة مع أحد الدهاقين أو مع غيره من حكام الولايات (٢) . وكان ينفق ما يجبي من الضرائب على تموين جيوش الاحتلال . ومن ثم لم يكن بد من أن يثير إعفاء الجدد فى الاسلام من الجزية ذلك التعارض الشديد بين هاتين المصلحتين : أولاً — مصلحة الحكومة (مسئولية الحاكم) التى لا تستطيع أن تتخلى عن دفع أرزاق الجند ، ثانياً — مصلحة أمير البلاد الذى كان يحتفظ لنفسه بما كان يزيد على الجزية من الضرائب الاستثنائية ، وكذلك كان الحال ببلاد العراق . وقد اضطرت الحكومة — لكى ترضى المرابطين من جنود العرب الذين كان يزيد عددهم على التوالى — إلى فرض الجزية على الأهلىن رغم اعتناقهم الاسلام . وهكذا كان بعض الولاة الذين من مصلحتهم ازدياد دخل البلاد لا يستطيعون أن يروا ذلك النجاح المطرد الذى كان يصادفه الاسلام من قلوب الأهلىن بدون أن تتبلبل لذلك نفوسهم ويقلق له بالهم . ولتأيد تلك الحقيقة التاريخية نذكر للقارى شيئاً عن هاتين

(١) وترجع هذه الطريقة فى جباية الخراج إلى عهد الأ كاسرة (الطبرى ١: ٢٣٧١) « وسائر السواد ذمة ، وأخذوهم بخراج كسرى على رؤوس الرجال على ما فى أيديهم من الحصة والأموال » .

(٢) Van Berchem, La Propriété territoriale et l'impôt foncier.

p. 54 suiv.

أنظر ملحق ١ للوقوف على المعلومات الخاصة بمرور .

المحاولتين اللتين كان يقصد بهما تحسين حال أولئك المحدثين في الاسلام ، ثم نخصص الفصل التالي لشرح الأسباب التي حملت على ذلك .
كان عمر بن عبد العزيز أول من أمر من خلفاء بني أمية الجراح ، عامه على بلاد خراسان ، أن يضع عمن أسلم الجزية التي كان يدفعها الكفار . ومن السهل جداً أن نتنبأ بنتائج تلك السياسة الجديدة .

وكان من أثر ذلك ازدياد اعتناق الناس للاسلام بينما نقص إيراد بيت المال نقصاً محسوساً^(١) . وقد اشترط بعض الولاة لتجاشي ذلك الخطر الختان وحفظ شيء من القرآن . على أن ذلك لم يجد نفعاً . ومن ثم كان لزاما العود إلى فرض الجزية كما كانت من قبل أو فقد ثمار ما فتحه المسلمون من البلاد .
ويظهر أن عمر بن عبد العزيز قد فطن إلى أبعاد النتائج التي عساها أن تجر إليها تلك السياسة . لذلك لم يتقهقر أمامها ، كما لم يتردد في أن يأمر المسلمين بالجلود عن بلاد ما وراء النهر^(٢) . بيد أنه يظهر لنا أن الجند لم يهتموا بأمر ذلك الجلاء ، كما كان طبعياً أن يبادر الخلفاء بعد موت عمر بفرض ضرائب أكثر فداحة لسد ذلك النقص الذي جرت سياسته . يدل على ذلك ما رواه الطبري^(٣) عن هجرة الكثيرين من السغد من بلاد ما وراء النهر في عهد من وليها بعد الجراح . وقد اشتعلت نار الحرب منذ ذلك الحين في تلك البلاد ، ولم يحتفظ المسلمون إلا بالقلاع والحصون بعد أن أجلوا السغد ، الذين طلبوا مساعدة الأتراك لهم ، عن سواد بلاد ما وراء النهر .

وأما المحاولة الثانية لتحسين حال أولئك الموالى فكانت بعد سبع سنين ، وذلك في خلافة هشام بن عبد الملك . وكان أول من فكر فيها هو أشهر الملقب بالكامل وإلى تلك البلاد ، ليضع حداً لتلك الحرب التي خربت المدن

(١) الطبري ٢ : ١٣٥٤

(٢) شرحه ٣ : ١٣٦٥

(٣) شرحه ٢ : ١٤١٨ و ١٤٣٩ وما يليها .

الجميلة الواقعة على الشاطئ المقابل لنهر سيحون . وإنا لمدينون للطبرى (٢ : ١٥٠٧ وما يليها) بما رواه لنا عن سياسة ذلك الأمير . فقد قال أشرس يوما لمن حوله : « إبعوني رجلا له ورع وفضل أوجهه إلى ما وراء النهر فيدعوهم إلى الاسلام » ، فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف مولى بني ضبة . ولما كان هذا لا يعرف الفارسية ألحق به الربيع بن عهران التميمي مترجماً له . وقد شخص أبو الصيداء إلى سمرقند ، حين أذن له أشرس برفع الجزية عمن أسلم ، ثم طلب من أصحابه أن يعينوه إذا ما أبى جباة الخراج العمل وفق سياسة الوالى الجديدة .

وكان يقيم غوزك أمير السغد في سمرقند ومعه عامل الخراج حسن بن أبي العرطة ، وكان هذا رجلا نزيهاً يخالف الكثيرين من مواطنيه في نظرتهم إلى الفتوحات الاسلامية ، كما كان لا يداخى نفسه في أن هذا الفتح لم يكن (في حقيقة الأمر) إلا تعديا ليس للدين فيه سوى نصيب ضئيل جداً (١) . وقد بلغت جهود أبي الصيداء صالح بن طريف في بادئ الأمر ما كانت ترجوه من النجاح بمعاونة ذلك العامل . فقد زاد اعتناق الناس للاسلام ، وبنيت المساجد على أثر دخولهم في هذا الدين أفواجا . بيد أن هذا النجاح قد ضايق الأمير غوزك الذى كان يرى في ذلك نقصاً في دخله هو من ناحية ثم في دخل الحكومة من ناحية أخرى . وقد أفضى بشئ من مخاوفه إلى أشرس ، فكتب هذا إلى عامل الخراج : « إن في الخراج قوة للمسلمين ، وقد بلغنى أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة وإنما دخلوا في الاسلام تعوذاً من الجزية . فانظر من اختن وأقام الفرائض وحسن إسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع عنه

(١) وهذا ما استنتجه من جوابه حين بلغه أن سبعة آلاف من الأتراك ستحل بهم الهزيمة عما قريب فقال : « ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم » (الطبرى ٢ : ١٤٨٥) . وسنرى بعد قليل أنه لم يكن هو وحده الذى كان يفكر على هذا النحو .

خراجة . وبذلك فشلت تلك الحركة التي قام بها ذلك الوالى أمام ما أقامه فى سبيلها الأمير غوزك من العقبات وما أدلى به من الحجج على فسادها وما تجره على بيت المال من الخراب . ومن ثم عزل ابن أبى العمرطة وولى مكانه هانىء بن هانىء ، ثم عين الأشعيز الفارسى مساعداً له .

وكان الغرض من تعيين هذين الرجلين إنما هو القضاء على ما قام به أبو الصيذاء من ضروب الإصلاح . وعلى ذلك لم يُجد احتجاج من أسلم من دهاقين بخارى وقولهم لأشرس « ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً؟ » ، كما لم يغن احتجاج أبى الصيذاء شيئاً . فقد كتب أشرس إلى هانىء ثم إلى العمال « خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه » . لهذا أخذت روح الفتنة تدب فى نفوس أولئك الجدد فى الاسلام بعد أن خابت آمالهم ، يعضدهم النابهنون من الجند والفقهاء عرباً وموالى . وقد أرسلت الحكومة أحد القوادى فقبض على زعماء تلك الفتنة . وهكذا لم يلبث أن أعقب إعفاء المحدثين من الجزية حركة عكسية وسياسة خراجية غاية فى الشدة . ولا غرو فقد أصبحت تجي منهم بالقوة دون أن يراعى فى ذلك حتى جانب الضعفاء منهم . ومن اليسير علينا أن نستخلص مما رواه الطبرى (٢ : ١٥٠٨ س ١ — ١٢) أن حركة أشرس لم تقتصر على السغد ، بل أن نتائجها قد ظهرت أيضاً فى بخارى . وإلى القارىء ما رواه النرشخى (Schefer, Chrestomathie persane, tome 1. p. 42 suiv. , p 58 de l' édition بحارى فى عهد ولاية أسد بن عبد الله على خراسان ^(١) وحث الناس على الدخول

(١) إذا فان هذا المؤرخ لا يوافقنا فى رأينا ، إذ نذكر أن الحوادث التى عرضنا لذكرها هنا قد وقعت فى إمارة أشرس . فقد ولى أسد بن عبد الله بلاد خراسان مرتين : الأولى من سنة ١٠٦ هـ إلى سنة ١٠٩ هـ والثانية من سنة ١١٧ هـ إلى سنة ١٢٠ هـ . وقد حل محله أشرس سنة ١٠٩ هـ . وليس بعيداً فى رأينا أنه قد عزى إليه ما حدث فى عهد من خلفه . ولم يعرض الطبرى

في الاسلام . وكان السواد الأعظم من الأهلين لا يزال على الكفر ؛ ومن ثم كانوا يدفعون جزية الرءوس . وقد أحفظ بخاراخودة تغشادة اقتناع الكثيرين منهم بصحة الاسلام واعتناقهم له . ولا غرو فقد كان لا يزال يبطن الكفر رغم إظهاره الاسلام ، فكتب إلى أسد بن عبد الله أن ببخارى رجلا يعكر صفو الأمن ويلقى بذور الفتنة ويشق عصا الطاعة ، وأن أتباعه يزعمون أنهم مسلمون وليسوا بمسلمين ، فانهم لم يسموا إلا بالسنتهم ، إذ لا تزال عقائدهم القديمة متأصلة في نفوسهم . وإنما اتخذوا هذا ذريعة لاثارة الفتن في المدينة وإقلاق بال الحكومة وإنضاب بيت المال . وكان من أثر ذلك أن كتب أسد بن عبد الله إلى نائبه مقاتل شريك بن الحارث (?) يأمره بالقبض على هؤلاء القوم ثم تقديمهم إلى تغشادة ليرى فيهم رأيه . وقد ذكر المؤرخون أن هؤلاء الجدد في الاسلام لجأوا إلى المسجد الجامع يشهدون بأعلى أصواتهم أنه « لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » (١) .

لذكر تلك المحاولة التي كان يراد بها تحويل بلاد ما وراء النهر إلى الاسلام في إمارة أسد . وأما الأخبار التي نقلها النرشخي في مختصره الذي بين أيدينا فإنه يغلب عليها الخطأ سواء فيما يتعلق بالأسماء أو التواريخ . وهالك مثلين (ص ١٦) : « فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى في عهد معاوية (وصحتها الوليد الأول) . وقد أقر قتيبة تغشادة « بخاراخودة » تلك المدينة في مركزه ثم أمر أبو مسلم بقتله بمدينة سمرقند في عهد نصر بن سيار والى خراسان ، وذلك بعد وفاة قتيبة بسنتين بعد أن ظل في الحكم زهاء اثنتين وثلاثين سنة » . وعندئذ تكون وفاة قتيبة سنة ٩٦ هـ بينما لم يظهر نفوذ أبي مسلم إلا في سنة ١٢٦ هـ . وأما سنة وفاة تغشادة بالضبط فهي سنة ١٢١ هـ (ص ٤٣) . « وفي سنة ست وخمسين ومائة (٧٧٢ م) مات أسد بن عبد الله بن مروان » . ومات أسد سنة ١٢١ هـ وكان جده يزيد .

(١) أنظر كتاب الأنساب للبلاذري (طبعة Ahlwardt) ص ٣٣٦ وما يليها ، وحمزة الاصفهاني (طبعة Gottwaldt) ص ٢٠٨ .

وقد شنتى بخاراخودة منهم أربعمائة دون أن يجرؤ أحد على أن يشفع لهم آثم استرق من بقى منهم وأرسلهم إلى أسد بن عبدالله بخراسان . على أن أحد، من هؤلاء ممن فروا من الموت لم يرتد عن الاسلام ، بل ظلوا جميعاً مؤمنين به (١) ، ثم لم يلبثوا أن عادوا إلى بخارى بعد موت تغشادة .

وقد جاء ما ذكره النرشخى فى الوقت المناسب ، فقد صحح رواية الطبرى ومحصها . ومن ثم أصبح ذا قيمة تاريخية كبيرة . ولا شك فى أن ما أمدنا به النرشخى لم يكن مصدره سوى تلك المعلومات الموجزة التى رواها لنا مؤرخو العرب . فاذا كان مؤرخ بخارى (النرشخى) قد نقل لنا شيئاً عن إدارة الأمويين ، فأنما روى لنا تلك الحوادث كما تلقاها من أفواه أولئك الجدد فى الاسلام أنفسهم وحفظها عنهم . ومما راعى أيضاً عند قراءة ما رواه هذا المؤرخ تأييده ما ذهبنا اليه من أن سياسة عمر بن عبد العزيز وأشرس إنما كانت تضر بمصلحة أشراف البلاد وتعرضها للخطر بقدر ما كانت تضر بيت المال . وإن فشل هذه السياسة التى كانت ترمى إلى إصلاح حال الموالى وتسويتهم بالعرب إنما يرجع بادىء ذى بدء إلى تلك العراقيل والعقبات التى وضعها فى سبيلها هؤلاء الأشراف . وعلى ذلك فأنما يخالف ذلك المؤرخ فيما ذهب اليه من أن الكراهة الدينية هى التى حدث بتغشادة أن يقف من هؤلاء الجدد فى الاسلام ذلك الموقف العدائى . فكل ما بأيدينا من الشواهد إنما ينم عن استبداد ذلك الأمير الذى كان — رغم اعتناقه الاسلام — يرى أن تحول رعيته إلى هذا الدين سوف يحرمه من تلك الوسيلة الفذة لاستنزاف أموالهم . على أن هناك أمراً آخر هو أدهى من

(١) وكل ما هنالك هو أن أسداً منحهم الحرية . أنظر الطبرى ٢ : ١١٦١ حيث تقرأ [سنة ١١٩ هـ] « فبعث أسد بجوارى الترك إلى دهاقين خراسان واستنفذ من كان فى أيديهم من المسلمين » . وهذا الذى ذكر قد يظل غير واضح إذ لم يذكر لنا النرشخى ما كان يعمى ببخارى فى ذلك الحين .

ذلك وأنكى ، ذلك ما رواه لنا هذا المؤرخ ومن سبقه من المؤرخين من انضمام كبار الموظفين من العرب إلى ذلك الأمير ، على الرغم مما كان في ذلك من التضحية بالدعوة إلى الاسلام والوقوف في سبيل نشره .

ومن ثم كان من البديهي أن تقوم العقبات الكثيرة في خراسان وكذا في بلاد العراق في سبيل سياسة عمر . ومن أجل ذلك فاني لا أزال أكرر هذا السؤال : ما هو الداعي إلى هذا الاستبداد المحزن ؟ لا بد أن يكون الغرض منه إنما هو توطيد احتلال قد أصبح لا مبرر لوجوده ولا سيما بعد أن تحول أهالي تلك البلاد المحتلة إلى الاسلام . ومما لا ريب فيه أن ذلك لم يكن رأي الاغلبية من العرب في صدر الاسلام . فهو لاء — كما نعلم — كانوا يدينون بتلك العقيدة ، وهي أن ما يغمونه من البلاد التي يفتحونها إنما هو ثمرة مشروعة لدفاعهم عن الاسلام دون أن يفتنوا لما قد تنتهي اليه تلك العقيدة من التعارض بينها وبين الدعوة إلى الاسلام والعمل على نشره . ومن ثم لاندعش إذا شاهدنا في الولايات الشرقية للدولة الاسلامية قيام حركة شعارها تأويل أحكام الشريعة وتفسيرها تفسيراً أقل حرجاً وضيقاً ، تلك الحركة التي كان المقصود منها مناوأة العرب والأمويين جميعاً والتي لم يرد الفاتحون من العرب والأمويين بوجه خاص أن يذعنوا لما كانت تدعو اليه من المطالب العادلة وما كانت تنشده من ضروب الاصلاح .

سياسة عمر بن عبد العزيز

نحو الموالي وأنزما .

تحدثنا بعض المصادر الموثوق بها أن الموالي الذين طردهم الحجاج (أنظر ص ١٧ ، ص ٤١ - ٤٢ من الترجمة) من البصرة والبلاد المجاورة لها اجتمعوا في بعض المعسكرات ناديين حظهم قائلين واحمداً وأحمداً ولا غرو فقد كانوا لا يعلمون أين يذهبون . ومن ثم نرى أهل البصرة ينتحلون المعاذير ليلحقوا

بهؤلاء الموالي ويشتركوا معهم في نعي ما نزل بهم من حيف وظلم^(١). كما يروى لنا مصدر آخر^(٢) أن هؤلاء الرجال من أهل البصرة كانوا من القراء أعنى من المشتغلين بدراسة التوحيد . وقد اشتركوا اشتراكا فعليا في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث وأذكوا حماس مواطنيهم بتلك الخطب الحماسية حاملين إياهم على مقاومة بني أمية وحكمهم مقاومة جديّة . وإلى القارئ ما ذكره الطبري في ذلك^(٣) : « فوالله ما أعلم قوما على بساط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم . فليكن لهم البدار . قاتلوهم ولا تأثموا من قتلهم بنية و يقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجرهم في الدين » . فتلك العبارات الثورية تبين لنا جليا أن أولئك القراء كانوا أنفسهم من هؤلاء الذين تحولوا إلى الاسلام والذين جعلتهم مناصبهم بمعزل عن أن يشاركوا مواطنيهم حظههم العاثر . ومهما يكن من الأمر فأننا نرى أن هؤلاء المضطهدين كانوا يعتمدون بعض الاعتماد على عطف تلك الطائفة المحترمة حتى عند أفراد الطبقة الحاكمة نفسها .

ولم يكن أولئك القراء وحدهم هم الذين كانوا يبغضون النظام الأموي . ففي شمال العراق خرج أحد الأشراف على بني أمية ، وهو مطرف بن المغيرة ابن شعبة الذي ثار في شمال العراق يدعو إلى « الحكم بالحق والعدل في السيرة »^(٤) . ويجد القارئ تاريخ هذه الثورة في كتاب الأستاذ فايل (Weil, Geschichte der Khalifen, vol. I. p. 422) . ولم يكد يحن الوقت

(١) البلاذري : كتاب الأنساب ص ٣٣٦ وما يليها .

(٢) الطبري ٢ : ١١٢٣

(٣) شرحه ٢ : ١٠٨٦ ، ١٠٨٧

نقل المؤلف هذه العبارة عن الطبري ٢ : ١٠٨٦ و ١١١٦ (١٤) ، والواقع أنها وردت في صفحتي ١٠٨٦ و ١٠٨٧ — المترجمان .

(٤) الطبري ٢ : ٩٨٠ الحكم بالحق والعدل في السيرة .

الذي تؤتى فيه هذه الحركة أكلها حتى ذهب مطرف ضحية لها . وعلى الرغم من فشل تلك الحركة الإصلاحية فإن الرغبة في تحقيق ما كانت ترمى إليه من الإصلاح كانت لا تزال تحفز الناس على معاودتها من حين إلى آخر . ولا غرو فقد صادفت تلك الحركة نجاحاً كبيراً على يد عمر بن عبد العزيز .

وقد أجيحف مؤرخو الغرب في الحكم على هذه الإصلاحات التي قام بها ذلك الخليفة ، والتي كان الغرض منها القضاء على ما قام في سبيل انتشار الاسلام من العقبات ، وذلك بمنحه الموالى الحقوق التي كان يستمتع بها المسلمون من العرب وحدهم وإعفاءهم من الجزية التي كان يدفعها الكفار ثم مقاسمتهم إخوانهم المسلمين نصيبهم من الاعطيات السنوية (١) .

ولا ريب في أن سياسة ذلك الخليفة لم توقظ إلا آمالاً لم تستطع الحكومة تحقيقها . فقد كانت الحال تتطلب علاجاً آخر غير تلك السياسة التي سار عليها عمر بن الخطاب . ففي العراق أنضبت الأعطيات السنوية بيت المال بعد أن تأثرت موارده تأثيراً محسوساً من جراء إلغاء الجزية في خراسان . وهكذا أعقبت تلك القوضى في الشؤون المالية بعد موت عمر بن عبد العزيز سياسة خراجية أقصى ما تكون جوراً وعسفاً .

وعلى الرغم من ذلك فينبغي أن يتورع المؤرخ عن القسوة في الحكم على تلك الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبد العزيز . ومن العدل أن أطالب الذين يشايعون الحجاج بن يوسف ضد ذلك الخليفة المصلح بالاجابة عن هذين السؤالين : (١) ألم يكن خيراً للأمويين أنفسهم مساواتهم بجميع العناصر في الحقوق ، تلك السياسية التي لا يبعد أن يكون عدم الأخذ بها هو السبب الأول في سقوط دولتهم ؟ (٢) وإذا لم تكن تلك المساواة في مصلحة الخلفاء من بني أمية ، ألم تكن من مصلحة الاسلام

Von Kremer, Culturgeschichte, vol. I, p. 174 suiv. , Miiller, (١)

Der Islam in Morgen-und abendland, vol. I. p. 438 suiv.

نفسه ؟ ليس ثمة أحد كائنا من كان يستطيع أن يشك في صحة هذه الملاحظة الثانية . فقد انتهى النظام العسكري الذي وضعه عمر بن الخطاب قبل أن يرتقى عمر بن عبد العزيز عرش الخلافة . وكان عمر بن عبد العزيز أول من فطن من خلفاء بني أمية إلى أن وقت التفرغ للإصلاحات الداخلية قد آن ، كما اقتنع بذلك عمر بن الخطاب من قبل . ومن ثم كان يحول جهده دون القيام بفتوحات جديدة ^(١) . ولم تكن غلطة عمر بن عبد العزيز سوى رجعيته ومحافظته الدينية وتمسكه الشديد بالنظام الذي سبّقه عمر بن الخطاب الذي كان يقتنى أثره لما كان يمكنه له في أعماق نفسه من الاحترام والاكبار والذي لم يكن إلا صورة صادقة منه رغم ما كانت تتطلبه الحالة من العدول عن ذلك النظام عدولا تاما . فقد كان لزاما أن تجد الحكومة أعمالا جديدة ، غير الغزو والفتح ، للمرابطين في الولايات الإسلامية من جند العرب حتى لا يكونوا عالة على بيت المال . ولا غرو فقد كانت السياسة التي سار عليها عمر بن عبد العزيز تحول دون ملكية الجند للأرض ، بينما كانت الحالة تقضي بمنحهم إياها لاستغلالها واستثمارها ، كما كانت تسخو في منح الاعطيات حتى للموالى من المسلمين في الوقت الذي كانت تتطلب فيه مالية البلاد إلغاء تلك الاعطيات حتى ما كان يمنح منها للعرب أنفسهم . وهكذا حال ذلك التصرف الذي أنضب موارد الدولة وجرد الخراب على بيت المال دون نجاح تلك السياسة التي كانت ترمي في ذاتها إلى الإصلاح ، وإعفاء الجدد في الإسلام من الجزية . ومن ثم نرى أن سياسة عمر بن عبد العزيز كانت أبعد أثرا في وهن العرش الأموي من سياسة الحجاج بن يوسف . وسوء إدارته ، فإن المال التي أثرت في النفوس لم تنطفئ جذوتها حتى أصبحت الشعوب من غير العرب تنتظر خلاصها من حكم بني أمية ، بعد أن غدت تلك السياسة الخراجية الظالمة في نظرهم

(١) أنظر ص ٢٢ (ص ٥١ من الترجمة)

عبثاً ثقيلاً لا قبل لهم باحتماله ، تلك السياسة التي فأجأهم بها الأمويون ولا سيما في خلافة هشام بن عبد الملك (١) على أثر فشل ذلك الإصلاح الذي قام به عمر بن عبد العزيز .

ثورة الحارث بن سريج

يهمنا الآن أن نتتبع تلك الحركة الإصلاحية في خراسان أكثر من غيرها في الولايات الإسلامية ، تلك الحركة التي دفع الأهلين إلى القيام بها ظلم بني أمية وسوء إدارتهم . فمن هذه البلاد خرجت تلك الصيحة التي قلبت دولتهم . ونستطيع أن نتبين مما رواه لنا المؤرخون مدى انتشار ذلك الحزب المتذمر في خراسان أكثر منه في غيرها من الولايات الإسلامية . وقد بينا قبل (ص ٢٣ و ص ٥٢ — ٥٣ من الترجمة) أن خضوع الشغد لذلك النظام الجديد للضرائب لم يتم دون أن يقوم في وجهه ويحول دون تطبيقه بعض الرجال من ذوى النفوذ والشأن . وكان على رأس تلك الحركة زعيان من الموالى هما أبو الصيداء وثابت قطننة (٢) . أما ثابت فكان ذائع الصيت محبوباً من الشعب في خراسان ، كما كان شاعراً مفلحاً ، حفظ لنا كتاب الأغاني بعض قصائده (ج ١٣ ص ٤٩ — ٦٤) . وقد انتصر انتصاراً مؤزراً في الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين والأتراك في بلاد ما وراء النهر (٣) ، وأبلى بلاء حسناً في جهاد الكفار حتى لقي حتفه في ساحة القتال . وأما قطننة فكان من خلصاء يزيد بن المهلب اليميني المشهور . وقد أسند إليه ذلك الوالى بعض المناصب الهامة (٤) ؛ ولهذا كان لا يتخرج العرب عن اعتباره مساوياً

(١) أنظر اليعقوبى ج ٢ ص ٣٧٦ لاستقصاء ما كتبه عن العراق

(٢) الطبرى ٢ : ١٥٠٩

(٣) شرحه ٢ : ١٥١٤ ومايلها .

(٤) الأغاني ج ١٣ ص ٤٩

لهم في السؤدد والشرف ويهمننا إلى حد بعيد جداً أن نعرف الشيء الكثير عن أخلاق هذا الرجل وميزاته . وقد أمر والى سمرقند بحبسهم هو وأبي الصيداء ليتفرغ للسغد ويتمكن من قمع ثورتهم . ويظهر أن سياسة ذلك الوالى قد أثمرت الثمرة المرجوة ونجحت النجاح المطلوب . على أن هناك أمراً آخر هو أهم من هذا ، فقد شغل غزو الأتراك بلاد ما وراء النهر بال الحكومة زمناً ووحّد للمرة الثانية بين أولئك المتذمرين وبين الحكومة لدفع ذلك الخطر المشترك ، ذلك الغزو الذى كان نتيجة لسوء المعاملة التى لقيها أهل هذه البلاد (١) من ناحية العرب .

وقد اشتهر فى تلك الحروب رجل من تميم يدعى الحارث بن سريج بن ورد بن سفيان بن مجاشى (٢) ، أخذ على عاتقه إتمام تلك الحركة التى قام بها ثابت وأبو الصيداء ومواصلة الثورة على بنى أمية . وكان الحارث مسلماً ورعاً زاهداً مصلحاً ، طالما حارب الأتراك فى صفوف المسلمين ثم المسلمين فى صفوف الأتراك ، أو بالأحرى حارب الحكومة احتجاجاً على ما كانت تثقل به كاهل الأهلى من الضرائب . وكان يزعم أنه المهدي الذى بعثه الله لتخليص المضطهدين والأخذ بناصر المظلومين . لذلك أشعل نار الثورة على بنى أمية لتحرير أولئك المستعبدين ورفع ذلك النير عنهم . هذا هو الحارث ابن سريج — ذلك الرجل الغريب الأطوار بلا ريب — الذى كشفت أعماله عن كثير من خبايا تلك الحركة الخراسانية وحلت ما كان فيها من أحاج وألغاز . وإلى القارىء شيئاً عن سيرة ذلك المصلح (٣) . اشترك الحارث اشتراكاً جدياً

(١) الطبرى ٢ : ١٥١٠ . قد ارتد السغد وأهل بخارى عن الاسلام وطلبوا العون من الترك .

(٢) الطبرى ٢ : ١٥١٣ . لم يذكر الطبرى إلا هذين الاسمين : حارث بن سريج . وقد ورد هذا الاسم فى مخطوط رقم ٣٣٢ (Warner) ص ٣٩٠ .

(٣) وهذه الحوادث التى عرضنا لبحثها قد وردت بكتابتى Opkomst

في محاربة الأتراك في عهد أشرس كما تقدم ، ثم غير خطته بعد ست سنوات تعاقب فيها على ولاية خراسان بعد أشرس الجنيد ثم عاصم بن عبد الله . ومن ثم نراه يخرج على بنى أمية ويسير نحو حاضرة الخلافة من تلك البلدة الصغيرة «النخذ» X . وأما أنصاره فكانوا من العرب (وينتمون إلى حزيين متنافرين من مضر واليمن) ثم من الفرس (الدهاقين) . وكان كل ما يرمى إليه الحارث هو الرجوع إلى القرآن والسنة وانتخاب حكومة ترضى عنها الأغلبية^(١) . وسرعان ما استولى الحارث على المدن الواقعة على شواطئ نهر سيحون (Oxus) . بيد أن الحاضرة استطاعت أن تصد غاراته . وقد قضت تولية أسد بن عبد الله القسري إمرة هذه البلاد بعد عاصم ووصوله إليها - في جند لم تنهك قواها الحرب - على تلك المفاوضات التي أوشكت أن تنتهي بإبرام معاهدة بين عاصم وبين الحارث الذي اضطر أمام هؤلاء الجنود إلى التخلي عما فتحه من البلاد والانسحاب إلى طخارستان ومنها إلى بلاد ماوراء النهر (١١٨ هـ) . ومنذ ذلك الحين انضم الحارث إلى الأتراك ضد العرب . وفي سنة ١٢٠ هـ ولي هشام (بن عبد الملك) نصر بن سيار بلاد خراسان . وكان نصراً أكثر الموالين للعرش الأموي كفاءة ، وبذلك استطاع أن يوطد دعائم السلم في بلاد ماوراء

der Abbasiden ص ٥١ وما يليها .

X النخذ أو أندخوذ (الطبري ٢ : ١٥٦٦) لا نخوذ كما ذكر المؤلف .

— المترجمان .

(١) وأرى انه يجب أن تكمل هذه العبارة بتقدير هذه الكلمة « من آل النبي » . وعلى ذلك تكون العبارة : وانتخاب حكومة من آل النبي ترضى عنها الأغلبية . أنظر ما كتبه كترمير في مجلة الجمعية الآسيوية الفرنسية ، أكتوبر ١٨٣٥ ص ٣٢٧ (Quatremère, Journal Asiatique, Oct. 1835, p . 327) . وقد اخترت التفسير الذي ذكرته بعد مقارنته بعبارة « من رضى الناس (المسلمون) بتوليته » وعبارة « من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التي هم فيها » . الطبري ٢ : ٤٩٩ (١٥) ، ٩٨٤ (١٦) ، ٤٨٨ .

النهر (١٢٣ هـ) كما تمكن في الوقت نفسه من حمل الخليفة على العفو عن الحارث بن سريج (١٢٦ هـ). بيد أن الحرب التي اشتعلت نازها بين القبائل العربية في سورية قد اجتاحت الأقاليم والولايات الإسلامية بعد موت الوليد الثاني وبخاصة في مرو حاضرة خراسان حيث خرجت اليمانية على نصر. وبذلك استطاع الحارث الذي ظل على تمرده وسخطه على الأمويين أن يطرد نصراً من حاضرة خراسان بمعونة هؤلاء اليمانية. بيد أن الشقاق لم يلبث أن عكر صفو ذلك الحلف بين هذين الفريقين بسبب ما كان بينهما من المصالح المتعارضة تمام التعارض. فأعلن اليمانيون الحرب على الحارث ومن معه، تلك الحرب التي لم تضع أوزارها بين الفريقين إلا بعد موته سنة ١٢٨ هـ (١). ومن اليسير أن نستخلص مما تقدم أن هذه الثورة لم تكن إلا تنمة لتلك الحركة. ولا غرو فقد لعب كل من بشر بن جرمز وقاسم الشيباني من أنصار الحارث دوراً هاماً في تلك الفتنة التي أثارها السغد (٢)، كما كان السواد الأعظم ممن اشتركوا في تلك الثورات من الدهاقين من صغار الملاك الذين كان يضطهدهم أمراء الولايات وعمال الخراج (أنظر ص ٢٠ من الكتاب وص ٤٨ من الترجمة). يضاف إلى ذلك هذا الفريق من أتباع الحارث من سكان القرى الذين أتوا مدينة ترمذ ووقفوا على أبوابها يئنون من ظلم بني مروان (من الأمويين) (٣) وعسفهم. وكانت أولى مطالبهم اختيار عمال اشتهروا بالغة والعدل. ويظهر لنا مما رواه الطبري (٢: ١٩١٨ وما يليها) أن

(١) وقد ورد اسم الحارث في المؤلفات الصينية تحت اسم Hu - lo - chan (١) ، أي حارث المروي (نسبة الى مرو حاضرة خراسان). انظر كتاب Bretschneider ص ٩ فيما يتعلق بما كتبه الصينيون عن العرب والولايات العربية. وأنا مدين بما نقلته هنا للمسيو دي غوية.

(٢) الطبري ٢: ١٨٦٨. راجع أيضاً ٢: ١٥٠٨.

(٣) الطبري ٢: ١٥٨٣.

الحكومة قد اضطرت أخيراً إلى النزول على إرادة هؤلاء وقبول مطالبهم .
فكان يُعين مندوبان ، أحدهما من قبل الحكومة والاخر من قبل الشعب ،
يوكل اليهما اختيار العمال وحشهم على معاملة دافعي الضرائب باللين والرفق .
ويظهر أن تلك الامتيازات لم يكن لها من أثر في نفوس الأهلين ؛ فان التذمر
مافتى يملأ قلوبهم حتى إن كثيراً من حاشية الوالى نفسه قد اتهموا بممالة
هؤلاء المتذمرين (١) .

ومما يكشف لنا عن ميول الحارث وميول أنصاره تسميتهم بهذا الاسم
الذى طالما عرفوا به وهو المرجئة (٢) .

وتخالف المرجئة الخوارج في تكفيرهم الخلفاء الثلاثة ، عثمان وعلياً
ومعاوية وأنصارهم ، ذاهبين إلى القول بأن كل من آمن بوحداية الله لا يمكن
الحكم عليه بالكفر وأن ذلك موكول لله وحده يوم القيامة مهما كانت
الذنوب التى اقترفها والمبادئ السياسية التى يدين بها . فهم يرجئون (القرآن
الكريم ٩ : ١٠٦) الحكم على إخوانهم فى الدين إلى الله وحده (٣) (الذى
يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) .

وكانت مسألة المسائل فى ذلك الحين هى موقف الجدد فى الاسلام . وقد
لعبت المرجئة دوراً هاماً فى التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم
من المسلمين ، حين تطور النزاع بين الأحزاب والطوائف وحلت تلك المشكلة
الاجتماعية الجديدة محل الخلاف على الامامة . وقد ذهبت المرجئة إلى القول
بانه لايجل للحكومة أن تعامل هؤلاء كما لو كانوا لا يزالون على كفرهم بعد
أن أصبحوا مسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وعلى هذا كانوا

(١) الطبرى ٢ : ١٩٢٠

(٢) شرحه ٢ : ١٥٧٥

(٣) أنظر مقالتي فى « الارزاء » فى Zeitschrift der Deutschen

Worgeländischen Gesellschaft, XLV, P. 161 suiv .

لا يتخرجون عن قتال أية حكومة تقر مثل تلك المظالم (١). ومن ثم لاندعش بعد أن وقفنا على حوادث الشدة والعسف في بلاد ما وراء النهر أن نرى هؤلاء يجرمون سفك الدماء البريئة ويجهرون بأن جميع المسلمين إخوة في الدين (٢). وصفوة القول فإن كل ما كان ينشده هؤلاء إنما هو العودة إلى مبدأ المساواة بين الشعوب الذي أقره الاسلام وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

وكان ذلك بلا ريب شعور السواد الأعظم من أتباع الحارث . على أن بعضهم قد ذهب إلى أبعد من هذا ، فضمّنوا عقيدة التوحيد معنى أخلاقياً ودينياً عميقاً ، تلك العقيدة التي يجب أن تظل — حسب زعمهم — اعترافاً قلبياً وعقيدة باطنية . وقد عُرِى إلى جهنم بن صفوان أحد رؤوس المرجئة وكاتم السر للحارث بن سريج (٣) هذه الكلمات : « إن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية (٤) (في دار الاسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ولى الله عز وجل ومن أهل الجنة) . وعلى ذلك فقد ذهب جهنم إلى القول بأن الاسلام الصحيح والإيمان الحق شيء واحد . وكان من الطبيعي أن تدفع مثل هذه

(١) الاغانى ج ١٣ ص ٥٣ و ٥٥ ، المقرئى خطط ج ٢ ص ٣٤٩ (أنظر جهنم بن صفوان) . ونرى في العراق بعض المرجئة يحاربون في صفوف يزيد ابن المهلب الذى ثار على بنى أمية . الطبرى ٢ : ١٣٤٩

(٢) الطبرى ٢ : ١٩٣١ ومايلها ، الاغانى ج ١٣ ص ٥٢ (١٩)

(٣) الطبرى ٢ : ١٩١٨ ومايلها و ١٩٢٤

(٤) ابن حزم . مخطوط ليدن ج ٢ ورقة ١ (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ

ج ٤ ص ٢٠٤) — المترجمان

العقيدة أصحابها إلى احتقار الفرائض العملية للإسلام^(١)، ووضعهم واجبات المرء نحو من يحيط به من الناس فوق أداء الفروض التي جاء بها القرآن على الوجه الأكمل . ومن هذه الناحية كان مذهب الأرجاء في خراسان أشبه شئاً بآثر عكسي أخلاق لذلك الإسلام الشكلي دين الحكومة العربية في ذلك الحين — تلك الحكومة التي أضرت على عدم المساواة بين جميع رعاياها في الدين باتباعها ذلك النظام الجائر لجمع الضرائب وجباية المكوس X X . وأما ما ينكره البعض على الحارث من مخالفته الأتراك ضد المسلمين فاني أميل إلى القول بأن ذلك كان راجعاً إلى عوامل أخرى دون حنقه على العرب وسخطه عليهم لهزمهم إياه . وأما الجدد في الإسلام من إقليمى بخارى وسمرقند وإن كانوا قد انصرفوا عن العرب (الأمويين) وخرجوا عليهم ، فليس معنى هذا أنهم قد ارتدوا عن الإسلام . يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخون عن وجود قاض مسلم بين أولئك الذين عادوا من منفاهم مع الحارث^(٢) ، مما يدلنا على أنه قد انضم إلى الأتراك الكثيرون من المسلمين غير الحارث ، وهم من غير شك من أولئك المحدثين في الإسلام من أهالى بلاد ما وراء النهر ، وكانوا يرمون بمساعدة الحارث بن سريج إلى استرداد حقوقهم الساسية ومساواتهم بالمسلمين من العرب .

(١) Zeitschrift d. D.M.G. II. p. 170.

X X لئن صح هذا فإن الدولة الأموية باتباعها هذا النظام قد بعدت البعد كله عما دعا إليه الإسلام من المساواة بين جميع المسلمين في جميع الحقوق السياسية والمدنية ، لا فرق في ذلك بين عربى وعجمى . يؤيد ذلك قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) سورة الحجرات آية ١٠ ، وقوله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات آية ١٣

— المترجمان

ويجمل بنا قبل أن نمضى فى هذا البحث أن نلقى نظرة ولو سطحية على ما أسلفنا من البحوث حتى لا تنقسم عرى ما لدينا من البراهين والحجج بين تلك الحوادث المعقدة التى أتينا على ذكرها .

لقد صورنا للقارئ — اعتماداً على ما وقفنا عليه من المعلومات — الحالة السياسية والاجتماعية لتلك الشعوب المحكومة فى عهد الاحتلال العربى وما تلا ذلك من الاضطراب ، كما رأينا كيف أصبح الأمويون بتحمسهم فى الدفاع عن ذلك النظام من أشد الناس خطراً على الدعوة الإسلامية .

وقد استطعنا بفضل ما هدانا اليه بحثنا أن نقف على أغراض تلك الحركة العكسية التى قامت فى الولايات الشرقية للدولة الإسلامية من جراء اضطهاد بنى أمية لأولئك الموالى ، تلك الحركة التى لم تلبث أن تطورت إلى حركة دينية ترمى إلى إسلام أوسع نطاقاً وأكثر عالمية وأقل حرجاً مما كان يفهمه الأمويون ، تدل على مدى عالميته تلك العبارة : « إن الإسلام لا يعرف المفاضلة بين الشعوب » .

ولم تخمد تلك الحركة بموت الحارث بن سريج (١٢٨ هـ) : فانه لم يكد يمضى على وفاته عام واحد حتى أشعل أبو مسلم نار الثورة على بنى أمية ، تلك الثورة التى قلبت عرشهم كما انتهت بزوال النفوذ العربى فى القسم الشرقى للدولة العربية .

ومن هنا نرى أن نجاح أبى مسلم لم يكن ابن ساعته ، وإنما يرجع إلى دخول عنصر جديد من المطامع القومية فى نفوس المسلمين من غير العرب ؛ ذلك العنصر هو الشيعة .

ومن ثم لم يبق أمامنا إلا أن نعى بدراسة نمو هذه الأفكار الشيعية وانتشارها .



الباب الثاني

الشيعة

— ١ —

نشأة الفرق الإسلامية

لابد للمؤرخ الذي يريد أن يقف على مدى انتشار المذاهب الإسلامية وتطورها أن يحصر بحثه في عصر عربي خاص .

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الطوائف التي نشأت بين العرب في البلاد التي فتحوها إنما كانت ترمي بآدى ذى بدء إلى غرض سياسى محض رغم ظهورها بهذا المظهر الدينى .

كانت الامامة (وهى القيادة العليا للمسلمين) أولى المسائل التى فرقت بين المسلمين ومزقتهم شيعاً وأحزاباً . أما حزب بنى أمية (ومقره بلاد الشام) الذى كان له النفوذ فى ذلك الحين فكان يدافع عن عرش الأمويين ، إذ كان يرى أن أمراء هذا البيت أحق الناس بالخلافة بعد الخلفاء الراشدين (أبى بكر وعمر وعثمان) ، وأنهم أصحاب الحق فى الأخذ بثأر عثمان والمطالبة بدمه لما كانت تربطهم به من أواصر القرابة . وكان يناوىء هذا الحزب :

١ — حزب أهل المدينة وهم أنصار النبى ، الذين كانوا لارتباطهم باليمانيين من العرب يعتبرون أن وصول بنى أمية إلى الحكم إنما هو انتصار لأعدائهم القدامى من مشركى مكة .

٢ — حزب الشيعة وهم أنصار أهل البيت المتحمسون للدفاع عن

حقوقهم في الخلافة ، ولا سيما حق علي .

٣ — حزب الخوارج وهم الجمهوريون الذين كانوا يقولون باختيار الخلفاء من بين الأئمة كفاء أنى كانت الطبقة التي ينتمون إليها ، كما كانوا يرون أيضاً عزل الخليفة منذ اللحظة التي يفقد فيها ثقة الأغلبية .

وكان الخوارج أشد هذه الأحزاب الأربعة تعصباً . وأما الأحزاب الأخرى ، فبالرغم من أن الحرب كانت لا تكاد تضع أوزارها بينهم ، فقد كان يجمعها مبدأ مشترك هو انتخاب الخليفة من قبيلة قريش . وهم وإن كانوا يعتبرون خصومهم كفاراً ، فإن ذلك لم يمنعهم من أن يعيشوا معهم في وئام تام ما دام في استطاعة الحكومة أن تتغلب وتبسط نفوذها بالجند أو بالمال (١) . وأما الخوارج فكانوا على العكس من ذلك لا يذعنون لهذا النوع من نظم الحكم ، كما كانوا يرمون أعداءهم السياسيين بالكفر ويعاملونهم معاملة الكفار . وكان شعارهم « لا حكم إلا لله » ، تلك العبارة التي لم يكن يقصد بها إلا حكم السيف .

لا يضع المؤرخون الذين تأثروا فيما كتبوه عن بني أمية بكراهة العباسيين لهم ولا شياعهم حيث وضعناهم عند كلامنا عنهم فيما تقدم . ولا غرو فقد كان هؤلاء يصورون جهاد الأحزاب لبني أمية — حين يعرضون للكلام عنه في كتبهم — بأنه جهاد ديني لا يكاد يختلف فيه موقف أنصار بني أمية عن الموقف الذي كان يقفه الكفار ضد النبي حين قام بالدعوة للإسلام . وكانوا يستندون في ذلك على سوء سيرة يزيد الأول ويزيد الثاني والوليد الثاني من الخلفاء الأمويين ، ولا سيما ما كان من هتك حرمة المدينة

(١) الطبري ٢ : ٣٤٠ (س ١٩ وما يليه) ، ٨١٠ . كانوا يقولون في الكوفة : « من أعطانا الدراهم قاتلنا معه » . يدل على ذلك هذا البيت الهجائي :

ولا في سبيل الله لاقى حمامه أبوكم ولسكن في سبيل الدراهم

المنورة في عهد يزيد الأول وإباحة الحرم المكي بعد استيلاء عبد الملك على مكة . أضيف إلى ذلك اتخاذهم المقاصير لتحجب الخليفة عن الناس ^(١) وإلقاءهم خطبة الجمعة قبل الصلاة حتى لا يتفرق الناس دون سماعها ، مخالفين في ذلك سنة الرسول وسنة خلفائه أبي بكر وعمر وعثمان ^(٢) .

على أنه يتبين لنا ما كتبه المعاصرون لبني أمية خطأ أولئك المؤرخين من أعداء الأمويين وتشويههم للحقائق . ولا غرو فقد كان السواد الأعظم من العرب يرى في حزب بني أمية حزب الدين والنظام ^(٣) ، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين كان لا يرى في الاستيلاء على المدينتين المقدستين إلا ضرورة دعا إليها موقف أهل الحجاز العدائي دون أن يرى في ذلك أي انتهاك لحرمتيهما ^(٤) . كان أنصار بني أمية يرون أنفسهم فحسب المسلمين حقاً . ومن ثم كانوا يكفرون خصومهم ويعاملونهم بنفس تلك القسوة التي كانوا يعاملون بها الكفار ^(٥) . فكان معاوية في نظر الحزب الأموي خليفة الله ، كما كان ابنه يزيد إمام المسلمين ، وعبد الملك « إمام الاسلام » و « أمين الله » و « جنة الدين » ، وهكذا ^(٦) . وأما سبهم على بن أبي طالب جهاراً ،

(١) ابن رسته (طبعة دي غوية) ص ١٩٢ (٥) ؛ المقرئى : خطط ج

١ ص ٦٠ ؛ V. Giet, L' Art arabe, p. 34

(٢) Golziher, Islamische Studien ,P . 41-49

(٣) أنظر ما نقلناه بذييل الكتاب رقم ٢

(٤) أنظر الأبيات ١٧ و ٢٠ وما يليها من قصيدة أبي صخر الهذلى .

ديوان هذيل Wellhausen ص ٩٢

(٥) الطبرى ٢ : ٤١٤ (س ١١ وما يليه) و ٤١٥ و ٤٢٥ (س ٥ وما

يليه) وبوجه خاص ٤٦٩ و ٤٧١ (س ١٥ وما يليه) .

(٦) وقد وردت هذه النعوت التي أتينا على ذكرها في البلادى (طبعة

Ahlwardt ص ١٢ و ٣٠٣ ؛ العقد الفريد ج ١ ص ١٢٢ (س ١٦ وما يليه) .

فلانكاره حق معاوية في الخلافة . وخلاصة القول فان عليا وإن كان يكنيه الكثيرون من أنصاره « أبا تراب » فان البيت الأموي لم يعدم أنصاراً يدافعون عنه ويتحمسون له وهم العثمانية (١) ثم المروانية (٢)

وقد وضعت الحرب أوزارها بين الطوائف الاسلامية في خلافة عبد الملك ابن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) الذي قضى على ثورة الخوارج في موقعة جرواء (٦٧ هـ) بعد أن هزمهم هزيمة منكرة (٦٥ هـ) بالقرب من عين الوردية، كما انتهت أيضاً تلك الثورة التي أثارها أهل الحجاز باستيلاء الأمويين على مكة وقتل عبد الله بن الزبير آخر من كانوا يمثلون حزب الانصار . وأما ثورة الخوارج فقد ظلت حتى سنة ٧٧ هـ حيث خمدت جذوتها على أثر وفاة قطري بن الفجاءة ببلاد طبرستان .

أما عصر الوليد الأول وسليمان بن عبد الملك فكان عصر انتقال وفتح الطبرى ٢ : ٧٨ و ٧٤٣ و ٨١٠ (س ٥ و ٦) ، ١١٧٦ (س ٩) . ديوان الفرزدق (طبعة Boucher) ص ٢١٩ والنص العربي ص ١١ وما يليه ؛ (١) I.I. p 381 Goldziher, الطبرى ٢ : ٣٤٠ و ٣٤٢ و ٣٥٠ ؛ Goldziher, I.I. p. 118 suiv. وقد قصر جولدتزيهر العثمانية على المتطرفين من أشياع بنى أمية ، بينما كان يطلق هذا اللفظ أيضاً على بعض الاحزاب المحايدة . انظر ابن الفقيه (طبعة دي غوية) ص ٣١٥ . « أما أهل البصرة فعثمانية يدينون بالكف يقولون كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل » . وهذا جلي ؛ فقد كان هناك كثيرون ممن كانوا لا يشايعون بنى أمية بسورية . ومع ذلك فقد كانوا لا يرضون عن قتل عثمان لأشئ سوى أنه كان مع أبي بكر وعمر ، كما كان أحد الصحابة الذين اشتهروا بالاخلاص لمحمد (صلى الله عليه وسلم) . ومن بين هؤلاء العثمانية البصرية (الذين قاتلوا في صفوف طلحة والزبير) ، كما كانوا أيضاً من الأنصار من أهل المدينة . الأغانى ج ١٥ ص ٢٧ (س ٣) .

(٢) ولم تظهر هذه التسمية إلا عند ما ولى مروان الخلافة بدمشق .

الطبرى ٢ : ٨٠٤ (س ٣) ، البلاذرى (طبعة Ahlwardt) ص ٢٢١ .

لا يكاد يمدنا بشيء عن تلك الأحزاب .

على أن الأمويين لم يستطيعوا القضاء على تلك الأحزاب واستئصال شأفتها (اللهم إلا إذا استثنينا حزب الأنصار) . فالخوارج والشيعة الذين مزق جند بني أمية أوصالهم وأفقدوهم خيرة رجالهم ، وإن لم يبق لهم من القوة ما يمكنهم من مقاومة الأمويين وإعلان الحرب عليهم جهاراً ، فإن مبادئهم ما فتئت أن تنتشر ، وذلك لملاءمتها لتلك الحالات الاجتماعية الجديدة التي نشأت في الدولة العربية في الشرق . وهكذا تطور ذلك النزاع السياسي للأحزاب العربية إلى جهاد اجتماعي ديني .

لم يصغ الأمويون — كما رأينا — إلى أية حركة من حركات الإصلاح . وأما محاولة عمر بن عبد العزيز فإنها لم تزد الأمور إلا حرجاً لما كانت تتأثر به من تحفظ ورجعية لا تتفق مع حالة الدولة الاقتصادية . ولا غرو فقد أنضبت بيت المال وأجلأت الحكومة إلى الرجوع إلى نظام الضرائب الذي وضعه الحجاج بن يوسف ، وذلك بتسهيّلها الفرص لاعتناق الإسلام ورفع الجزية عن أسلم . ومن ذلك الحين انفصلت الدعوة إلى الإسلام والعمل على نشره عن سياسة الأمويين الاقتصادية على أثر مآثر بينهما من التعارض . وإن في الثورة التي قام بها أنصار الحارث لأقوى دليل على صحة هذا القول . فقد خاض المسلمون غمار هذه الحروب التي استعرت نارها بين الطوائف وضغوا شكاتهم إلى شكاة الأعداء القدامى لبيت الأموي . وهكذا ظل النزاع على الإمامة قائماً ، ولم يزد دعاء أهل الحق والعدل إلا احتداماً وتأججاً . ففي بلاد العراق والجزيرة نصّب الخوارج أنفسهم منذ خلافة عمر بن عبد العزيز حماة للضعفاء والمضطهدين وحرباً على المستبدين والطاغين (١) . وفي إفريقية مد هؤلاء الخوارج البربر المتدمرين من حكم الأمويين

(١) الطبري ٢ : ١٦٣٤ Fragmenta, p. 41 suiv. et Ibid paenult

بالأسلحة التي استعانوا بها على قتال ولاتهم في تلك البلاد (١). كذلك ثار ببلاد اليمن عبد الله بن يحيى الخارجي الملقب بطالب الحق احتجاجا على ذلك الاستبداد الظاهر وتلك المعاملة القاسية التي كان يعامل بها ولاية بنى أمية أهل تلك البلاد (٢). وكان الخوارج في ذلك الوقت غير الخوارج الذين حاربهم الأمويون وانتصروا عليهم من قبل ؛ فقد كانوا يحاربونهم بسيف الدين ويقارعونهم بحجج الاسلام . وقد وضع الخوارج تلك القاعدة ، وهي أن مرتكب الكبيرة كافر — حين تطور النزاع بينهم وبين أعدائهم من الأمويين وانحصر بين الرضى أو عدم الرضى عن كل حكومة جائرة أيا كانت تلك الحكومة ، بعد أن كان نزاعا شخصيا محضاً ينحصر في شرعية خلافة فلان أو فلان × × وهكذا ظلت تلك القاعدة القديمة التي وضعها الخوارج — وهي تكفير المؤمن العاصي — رغم تغير موضوعها واختلافه باختلاف الأحوال التي كانوا يطبقونها عليها .

ويدلنا حال هؤلاء الخوارج — وكذلك حال المرجئة — على مدى تأثير ذلك التطور الجديد في نمو حركة هذه الطوائف وانتشارها .

وكان من أثر ذلك أن عرضت لبيت الأموي مشكلة لم يكن يحلم بها أصلا . فقد حارب الأمويون أعداءهم السياسيين بأسلحة تكاد تكون متكافئة . وما نحن نرى هؤلاء المناوئين لعرش بنى أمية يظهر من جديد

(١) الطبرى ١ : ٢٨١٥ . وقد ترجمت هذه العبارة في الملحق الثالث .

(٢) الأغاني ج ٢٠ ص ٧٩ (س ٧ ، ٨ ، ١٥) . أنظر الملحق الرابع .

× × كان موضوع هذه القاعدة موضوعا شخصيا معيناً لا يكاد يعدو شخص على ومعاوية ، ثم تطور من الحكم على الأشخاص الى الحكم على المبادئ . ومن ثم صار الخوارج أعداء أيّة حكومة جائرة ، أموية كانت أو علوية . والسرف في هذا التطور دخول غير العرب في هذه الطائفة التي غدت منذ ذلك الحين لا ترى مانعا من إسناد الخلافة الى الموالي — المترجمان .

بقوة لا قبل للأمويين بها في نفس اللحظة التي كان يعتقد فيها هؤلاء أنهم قضوا عليهم القضاء الأخير . ولا غرو فقد كانت تعوز بني أمية القوة المعنوية الضرورية لقمع تلك الثورة النفسية . وكان جواب الحكومة الوحيد على شكايات الخوارج ومطالبهم الجديدة هو إعلان الحرب عليهم بجهاراً .

وقد انهزم أولئك الثائرون الغلاة في بلاد العرب والعراق وبلاد الجزيرة بفضل ما أظهره مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية من الحزم والجد في مناجزتهم . على أن الأمويين ، وإن انتصروا على هؤلاء الخوارج في تلك المرة أيضاً ، فقد استنفد ذلك الانتصار آخر جندي من جنودهم .

ومن ذلك الحين نرى حزب الشيعة يعاود الظهور بقوة لم يستطع الأمويون مواجهتها .

وقد تفرعت الشيعة من ذلك الحزب السياسي الذي قضى عليه الأمويون بحروراء ، ثم انتشرت وقامت بحركة سياسية اجتماعية دينية واسعة النطاق ضمت إليها جميع العناصر الإسلامية المعادية للعرب وللأمويين جميعاً . هكذا كانت نشأة تلك الحركة ، وهو ما سنعرض له فيما يلي .

عقائد الشيعة

حارب الشيعة من عرب الكوفة الأمويين أول الأمر للدفاع عن حق علي في الخلافة ثم للأخذ بثأر ابنه الحسين الذي قتل بين ظهرانهم دون أن يجروا أحدهم على اغاثته .

ولم يكن إخلاص العرب من أهل الكوفة لآل البيت بريئاً من جهات كثيرة . فقد أنساهم ما كانت تغمرهم به الحكومة الأموية التي كاتوا يدينون لها بالخضوع والطاعة من الأعطيات والأرزاق ما قطعوه على أنفسهم من

العهود والمواثيق لآل على كلما دعاهم هؤلاء لمناصحتهم ، كما تركوا المختار منذ اللحظة التي منح فيها الموالي نفس الحقوق التي كانت للعرب من أهل الكوفة (أنظر ص ١٦ من الكتاب وص ٤٠ — ٤١ من الترجمة) . وفيه سر لنا حسن لقاء الكوفيين لدعاة البيت العلوي تغلب أهل الحضر من هذه البلاد وما جبلوا عليه من الشقاق والنفاق ، ثم خوفهم من قتال الخوارج الذين كانوا يذبحونهم كما تذبح الشاة ، وكراهيتهم أن يروا سوادهم في أيدي الأمويين الذين كانوا يطلقون عليه بستان قريش .

على أنه قد ظهرت منذ أيام المختار أفكار جديدة كان لها أثر كبير في نفوس الكثيرين من الشيعة .

ويظهر أن هذه الأفكار التي نشأت في مبدأ أمرها في البيئات الغير العربية إنما كانت بقية من عبادة الملوك ، تلك العبادة التي كانت مشهورة عند قدماء الفرس بعد أن خالطها بعض العقائد الأشراقية X X ، والتي لا يبعد أن

X X الأشراقية أو اللاء درية وهي مذهب من مذاهب الفلسفة الدينية ، نشأ في فجر الدين المسيحي . ويزعم أتباعه أن لهم معرفة تامة بالطبيعة وبصفات الله ، كما يعتقدون أن طريق النجاة إنما هو العلم لا الايمان .

وهذا المذهب قريب من الأفلاطونية والمانوية . أما أنصاره فهم إما أفلاطونيون حاولوا التوفيق بين الأفلاطونية وطقوس المسيحية ، وإما مسيحيون أرادوا الجمع بين المسيحية وبين العقائد التي كانت سائدة في الشرق القديم .

وقد ساعدت مناوأة رجال الكنيسة لهذه الطائفة واضطهادهم لأتباعها على ظهورها وانتشارها . ويبلغ عدد فرقها سبعين فرقة ترجع جميعها الى خمس فرق أساسية : (١) الفرقة الفاسطيفية ومن زعمائها سيمون المجوسى Simon le Magicien وقد خلط بين العقائد اليهودية التي أخذها عن التوراة بعقائد بعض الديانات القائلة بتعدد الآلهة وجمع منها قواعد مذهبه (٢) والفرقة الاشورية وهي قريبة من الزردشتية (٣) والفرقة المصرية ومن

تكون قد انتقلت اليهم عن طريق الديانة البابلية القديمة .
وكان من بين العقائد المسلم بها عند الشيعة من أهل الكوفة أن
الحكمة العالية التي أفاضها الله على محمد (صلى الله عليه وسلم) ليفصل على
أشهر زعمائها بزيليدس Basilides وفالنتين Valentin (٤) والفرقة المعتزلة
(المنشقة) (٥) ثم الفرقة الاسيوية وتعتمد في عقيدتها أكثر من غيرها من
الفرق الأخرى على كثير من نصوص الانجيل .

وأساس جميع هذه المذاهب هو القول بوجود إلهين أو مصدرين
أساسيين للوجود هما إله الخير وإله الشر . ومن ثم لا تكاد تختلف عن المانوية
في شيء اللهم إلا بقدر ما كانت تتناز به من الرقي الفكري .

ويتلخص مذهب هؤلاء الاشراقيين في أن هذا العالم الذي نعيش فيه قد
صدر عن إله غير معصوم من الخطأ ، وأن أول ما خلق منه هي النفوس الطاهرة
والأرواح الخالصة من كل شائبة . ثم تلا ذلك التجسد وهو هبوط الروح
من ملئها الأعلى ودخولها في الجسم وإختلاطها بالمادة . وقد ابتداء هذا التجسد
بدخول الأرواح في أجسام النساء . وهذا التجسد في نظرهم هو الخطيئة
الكبرى التي يجب التفكير عنها بالتوبة . ولما كانت المادة عندهم هي مصدر
الشر ، كان كل جسم في نظرهم مقبوحاً وكل لذة بدنية مردولة . ومن ثم نشأ
مقتهم للزواج وتحريمهم ملكية الأشياء وبغضهم للحياة الدنيا .

وقد استطاع أنصار هذا المذهب التوفيق بين نفوس مذهبهم وبين
مطالب الحياة المادية وتقاضى تلك الصعاب التي قد يضطرون إليها تطبيق مبادئهم
على شئون الحياة الدنيوية ، فلجأوا إلى بعض الحيل والفتاوى . من ذلك قولهم
بأن الملاذ وإن كانت مردولة فلا بأس من تناولها بقدر ما تقضى بذلك حاجة
الحياة وضرورة الوجود مادامنا نستنكرها بقلوبنا . وقد تابعهم في ذلك الكثير
من الطوائف الأخرى ، وظلوا على ذلك حتى جاء كاربورات Corporate فلم
ترقه تلك الفتاوى وماجرت اليه من فساد أخلاقي ، فحرم جميع الملاذ . ثم جاء
ابنه إبيفان Epiphane فحرم الملكية الفردية ودعا إلى الاشتراكية .

أنظر كلمة Gnostic دائرة معارف لاروس دائرة معارف كاسل

هديها في الأمور وفق إرادة الله لم تزل بموت النبي ، وإنما ورثها عنه أعقابها .
 وكان البعض يعزو اليهم علما لم يحصلوه على النحو الذي تحصل به العلوم البشرية ،
 وإنما تلقوه من لدن الحكمة الإلهية مباشرة . وهاك ما كتبه الخليفة هشام
 إلى واليه يوسف بن عمر (١) : « أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في
 حبهم أهل هذا البيت ووضعهم إياهم في غير مواضعهم لأنهم افترضوا على
 أنفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحلوه علم ما هو كائن » .
 وقد بلغ من تشيع أهل الكوفة لآل علي أن كانوا يؤمنون بكل حديث
 أيا كان ، سواء تضمن أو لم يتضمن بعض الأمور التي تتعارض مع ظاهر
 ما جاء به القرآن ما دام ذلك الحديث قد جاء على السنة الأئمة من آل علي .
 ومن ثم كان يبيع أهل الكوفة القليل من النبيذ . وإلى القارئ ما ذكره
 في ذلك صاحب العقد : « بينما كان زيد بن علي في بعض أزقة الكوفة إذ
 مر به رجل من الشيعة ، فدعاه إلى منزله وأحضر طعاما . فتسامعت به الشيعة
 فدخلوا عليه حتى غص المجلس بهم ، فأكلوا معه ثم استقى . فقليل له أي
 الشراب نسقيك يا ابن رسول الله ؟ قال أصلبه وأشدّه . فأتوه بعقيق من نبيذ
 فشرب . . . وشربوا ثم قالوا يا ابن رسول الله ! لو حدثتنا في هذا النبيذ
 بحديث رويته عن أبيك عن جدك فإن العلماء يختلفون فيه . قال نعم ! حدثني
 أبي عن جدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتركبن طبقة بني إسرائيل
 تحذو القذة بالقذة X والنعل والنعل . ألا وإن الله ابتلى بني إسرائيل بنهر
 طالوت (القرآن الكريم ٢ : آية ٢٤٩ لا ٢٥٠ كما ذكر المؤلف) أحل منه
 الغرفة والغرفتين وحرم منه الشرب . وقد ابتلاكم بهذا النبيذ أحل منه القليل
 وحرم منه الكثير . وكان أهل الكوفة يسمون النبيذ نهر طالوت (٢) . »

(١) الطبري ٢ : ١٦٨٢

القذة بالضم ريش السهم والجمع قذذ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٧

وكان طبعياً أن يعتبر الناس هؤلاء الأئمة أنفسهم المرجع الوحيد لتفسير هذا الاعتقاد وتحديد مداه بعد أن تأصل في قلوبهم الاعتقاد بعصمتهم. وإلى القارئ تلك العبارة التي أثرت عن علي (١): «أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً. ألا وإنا أهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكنا ومن قول صادق سمعنا. فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا؛ معنا راية الحق، من يتبعها لحق ومن تأخر عنها غرق».

ويتضح لنا الاعتقاد بعصمة الأئمة من لفظ «المهدي»، وهو لقب الشرف الذي كان يلقب به الأئمة من آل البيت (ومعناه الهادي إلى الطريق المستقيم) (٢).

وكان بعيداً أن تقتصر تلك العقائد التي أتينا على ذكرها على أهل العراق أو على طائفة معينة من الجدد في الاسلام؛ ولا سيما إذا علمنا أنها نشأت في الكوفة وتأثرت بالديانات السابقة للاسلام. وقد انتشرت تلك العقائد في جزء عظيم من الدولة الاسلامية بقدر ازدياد تدمير المسلمين وسخطهم ثم ضعف الدولة الأموية وانحلالها. وقد ظهر الاعتقاد بأنه ليس ثمة صلاح لهذه الأمة إلا على يد أحد الأئمة من آل البيت في جميع الولايات الاسلامية، حيث أدرك الناس أن الأمويين أصبحوا لا يعنون إلا بمصالحهم الشخصية دون مصلحة الدين الذي أخذوا على عاتقهم نشره.

وكان طبعياً أن لا تعوز الأمة الاسلامية الرجال السياسيون والزعماء المتحمسون الذين يرقبون الفرص لتركيز ميول الجماهير ويستغلون تلك الأمانى المهمة لقيادة الأمة نحو وجهة معينة، كما هو الحال في

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٦٢

(٢) الطبري ٢: ٥٤٦ (٢) و ٦٠٨ و ٣٥٠ (١٤) و ٣٥٣ (٢٠) الكامل

للمبرد (طبعة رايت Wright) ص ٧١٠؛ سنوك هرجرونية Snouck Hurgronje, der Mahdi, p. 6 (n. 7).

أوقات الشدة والتذمر حيث تفضل العتول وتبلبل النفوس وحيث لا تزال الأفكار في دور الاختمار . وهكذا ظهرت في ذلك الوقت العصيب البعثات المنظمة (الدعاة) في جميع الولايات الاسلامية يحثون الناس على اعتناق العقائد الشيعية .

ويجب علينا ، لكي ندرك مدى أثر تلك البعثات ، أن نعرض للكلام على أولئك المتطرفين من الشيعة الذين يسميهم العرب « الغالين » .

طوائف الشيعة

من اليسير تقسيم هؤلاء الغالين أو المتطرفين ، الذين كان يعتبرهم الفقهاء من العرب إحدى طوائف الشيعة ، والذين كان تقديس آل البيت جزءاً هاماً من معتقداتهم ، إلى طائفتين هما السبئية والكيسانية .

أما السبئية (أنصار عبد الله بن سبأ الذي كان يرى أحقية علي بالخلافة منذ أيام عثمان بن عفان) فكانوا يعتقدون أن جزءاً إلهياً تجسد في علي ثم في خلفائه الأئمة من بعده . وليس من الضروري - حسب زعمهم - أن يظهر ذلك الجزء (الروح) الإلهي دائماً في ذلك العالم ، بل يجوز أن يعود إلى مقره الألهي حتى يتجسد في شخص آخر . ويسمون الفترة الذي يغيب فيها ذلك الجزء « الغيبة » ، ورجوعه إلى الأرض « الرجعة » ، كما يسمون انتظار ظهور الإمام « التوقف » .

ويعتقد هؤلاء الذين يقولون بالتوقف أن علياً يجيء في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، بينما يجيز البعض الآخر انتقال ذلك الجزء الإلهي إلى أولاد علي من بعده . ومن ثم ينتظرون ظهور الامام . ويزعم هؤلاء أن ابن ملجم الخارجي لم يقتل علياً وإنما قتل الشيطان بعد أن

تشكل بشكله ، إذ كانوا لا يسمون بفناء الجزء الألهي الذي تجسد في شخص على ، أو بالأحرى كانوا لا يعتقدون بموت على (١) .

ويظهر أن عقيدة السبئية إنما بنيت على الرأي القديم القائل بتجسد الألوهية ، بخلاف ما ذهبت إليه الكيسانية التي ظهرت منذ أيام المختار حين ثار بالكوفة (٢) . وتغلو الكيسانية في اعتقادها باحاطة الأئمة بالعلوم الألهية ، فتذهب إلى أن محمداً بن الحنفية قد أحاط بالعلوم كلها ، وأن أخويه الحسن والحسين قد عهدا إليه بالأسرار كلها وبعلم التأويل والباطن . وقد انتهى اعتقاد الكيسانية بوجوب انفراد الامام بتأويل الشريعة إلى القول بضرورة طاعته ، إذ أن طاعته لم تكن إلا طاعة للقانون الألهي (وهذا ما يميزهم عن غيرهم من المعتدلين من الشيعة) . ويقول الشهرستاني « إن جميع الكيسانية يعتقدون أن الدين طاعة رجل ، وأن طاعتهم لذلك الرجل تبطل ضرورة التمسك بقواعد الاسلام » (كالصلاة والصوم والحج وهكذا) (٣) .

(١) الشهرستاني (طبعة Cureton) ص ١٣٢ وما يليها ترجمة (Haarbricker) II. 411 لا يتفق ما عزاها الشهرستاني إلى السبئية مع ما ذكره الطبري (Weil I. 173) عن عبد الله بن سبأ . من ذلك قوله إن لكل بني وصي أو وزير ، وإن الوصاية كانت لعلى باعتباره وزير محمد ، وإن محمداً سيعود إلى الأرض .

على أني لم أتردد في الأخذ بما ذكره الشهرستاني . فقد شاع مذهب تجسد الألوهية في شخص على من قبل ، سواء عزي هذا المذهب إلى ابن سبأ أو لم يعز إليه . أنظر طاهر الاصفهاني Weil, I. 259 ، Haarbricker, II. 41 والبلاذري Z. d. D. M. g. XXXVIII. p. 391 والشهرستاني ص ١٣٢ ، وابن رسته (طبعة دي غوية) ص ٢١٨ (س ٦ وما يليه) ، وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ٣٠٠ .

(٢) Van Gelder, Mokhtar, p. 82 suiv

(٣) الشهرستاني ص ١٠٩ وما يليه .

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين عقيدتي السبئية والكيسانية . فقد كانت السبئية تقول بحلول الجزء الالهى فى الامام وتجعل له نصيباً من الألوهية نفسها ، بينما تعتبره الكيسانية رمزاً للعلم الألهى . وصفوة القول أن السبئية وإن كانوا يعتبرون إمامهم شخصاً مقدساً ، فإن الكيسانية يبذلون له الطاعة باعتبارهم رجلاً رفيع المنزلة محيطاً بعلوم ما وراء الطبيعة . وتتفق الطائفتان فى القول بالرجعة ، أى رجعة الامام . إلا أن السبئية يقولون بعودة الامام من مقره السماوى ، على حين ترى الكيسانية أن الامام لا يعلم به حتى ساعة ظهوره . وقد ظهرت هذه العقيدة فى شعر الشعراء المشهورين الذين يدينون بعقيدة الكيسانية (١) . من ذلك قول كثير فى محمد بن الحنفية :

وَسَبْطٌ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَتَّبِعُهَا اللَّوَاءُ
تَغِيَّبُ لَا يُرَى عَنْهُمْ زَمَانًا بِرُضْوَى (٢) عِنْدَهُ عَسَلُ وَمَاءُ (٣)
وقد ضعف نفوذ السبئية على مر الحوادث . إلا أن مذهبهم فى التجسد ما فتى ينمو وينتشر (٤) . وسرى أن هذا المذهب قد ظهر فى شكل جديد حين تعرض للكلام على عقيدة الراوندية .

أما الكيسانية ، ومن بينهم الهاشمية ، أنصار أبى هاشم ابن محمد بن الحنفية ، فكانوا يقولون : « إن لكل ظاهر باطنا ، ولكل شخص روحا ،

(١) أنظر ما كتبه مسيو Barbier de Meynard عن لفظ « سيد » فى

Journ. asiat. 1874, II. p. 159 sniv.

(٢) هو جبل بالقرب من ينبع حيث كانت ممتلكات آل البيت .

(٣) الشهرستانى ص ١١١ والأغانى ج ٥ ص ١٨٢ الخ .

(٤) وقد اشتركوا فى الثورة التى أثارها المختار وعبد الرحمن بن الاشعث .

(ديوان الفرزدق طبعة Boucher ص ٦٣٢ . وفى النص العربى ص ٢١٠) .
ومما لا ريب فيه أن هذا الاسم كان خاصاً بهذا المذهب . فقد جرى العرف بإطلاق السبئية على جميع الغلاة من الشيعة .

ولكل تنزيل تأويلا ، ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم ، والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع في الشخص الأنساني ، وهو العلم الذي استأثر على عليه السلام به ابنه محمد بن الحنفية ، وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم . وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقاً » (١) . ولعقيدة الهاشمية أهمية كبيرة في تاريخ الشيعة . فقد ساعد مذهبها إليه من التأويل والقول بأن لكل ظاهر باطناً على تسرب الكثير من العقائد غير الاسلامية إلى الشيعة — تلك العقائد التي انتقلت اليها عن المجوسية والمناوية X

(١) الشهرستاني ص ١١٢ (طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ ج ٢ ص ٢٠١) .
X المناوية نسبة الى ماني . وقد حاولت هذه الطائفة — كما حاول القدامى من الاشراقيين — التوفيق بين المسيحية والوثنية في الشرق . وقد أخذت عقائدها وطقوسها عن التوراة وعن الفارسية القديمة Parsisme ثم البوذية . ويقول أنصار هذه الطائفة بالاثنيونية وهي العقيدة الأساسية لديانة الفرس . ومن ثم يقولون بوجود مصدرين إلهيين لهذا العالم ، أحدهما إله الخير ويرمزون له بالنور والثاني إله الشر ويرمزون له بالظلمة ، ويسمون الاول إله النور والثاني إله الظلمة ، وهو الأله الذي صدر عنه هذا العالم المادي . وقد ندد عليهم بعض شعراء المسلمين بقوله

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المناوية تكذب

وقد بلغ من احتقارهم للعادة أن كانوا يزعمون أن الشيطان قد خلق منها . وانتشرت المناوية في الشرق واسبيا في بلاد الفرس والهند ، وفي بلاد التبت والصين والتركستان حيث ظلت مزدهرة بها حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم انتقلت إلى الغرب حتى وصلت إلى جنوب إيطاليا . وقد دعا القديس أوغسطين Saint Augustin إلى هذا المذهب وعمل على نشره زهاء ثمان سنوات . وفاوَاه كل من فالنتيان Valentin سنة ٣٧٢ م ثم تيودوسيوس الاول Thedosius I. سنة ٣٨١ م مناوأة شديدة وأصدرها ضده المراسيم الشديدة .

أنظر دائرة معارف لاروس — المترجمان .

والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل ظهور الاسلام. وقد هيا النفوس إلى اعتناق الاسلام انتصار المسلمين بعد أن هدموا الكثير من العقائد القديمة . على أنه سرعان ما ظهر أثر عكسي لهذا النجاح الذي أحرزه المسلمون في نشر دينهم . فقد عصفت في تلك الولايات التي فتحها العرب عاصفة من عواصف البغض للاسلام X ولكل دين ساوى وسارت

X لم يقل أحد من المؤرخين أن أحداً ممن هدام الله إلى الاسلام وشرح صدورهم له قد ارتد عنه بعد أن دخل فيه راضياً . ولن تعوزنا الأمثلة التاريخية الكثيرة لتأييد هذا الرأي ؛ فقد كان مشركو قريش يسومون المستضعفين من المسلمين سوء العذاب ليفتنوهم عن دينهم ، فلم يزدتهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً . من ذلك ما ذكره ابن الأثير من أن مشركي قريش كانوا يخرجون عمار بن ياسر وأباه وأمه إلى الأبطح (الرمل المنبسط على وجه الأرض . وهو بين مكة ومنى — أنظر هذا اللفظ في معجم البلدان لياقوت) إذا حيت الرضاء ويعذبونهم بحرثها . فمات ياسر ، وأغلظ امرأته سمية القول لأبي جهل فطعنها بحربة فماتت . وهي أول شهيدة في الاسلام . ثم أمعن المشركون في تعذيب عمار بالحر تارة وبوضع الصخر على صدره تارة ، ثم بالتغريق تارة أخرى .

وهذا بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلف الجحى من مشركي قريش يلقيه في الرضاء على وجهه وظهره إذا حيت الشمس وقت الظهيرة ، ثم يأمر بالصخرة الكبيرة فتلقى على صدره ، ويقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى . وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يقول : أحد أحد فيقول ورقة : أحد أحد والله يا بلال . ولم يزل على هذا العذاب حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه .

أما خباب بن الأرت فقد عذبه الكفار عذاباً شديداً ، فكانوا يوثقون ظهره بالرمضاء ثم بالرثف (وهي الحجارة المحماة بالنار) ، فلم يزد ذلك إلا تمسكاً بالاسلام وإخلاصاً له . وقد هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

جنباً لجنب مع تدمير الموالى وتمردهم . ولما كان الاسلام يعاقب المرتدين عنه بالقتل لم يجرؤ أحد من هؤلاء على الارتداد عن هذا الدين جهاراً ؛ ومن ثم

وشهد معه المشاهد كلها .

ولم يقتصر تعذيب قريش المسلمين على الرجال بل تعداه إلى النساء . فقد أسلمت لبينة جارية موامل بن عدى قبل إسلام عمر بن الخطاب ؛ فكان عمر يمعن في تعذيبها حتى يمل ، ثم يدعها ويقول : إني لم أدعك إلا سائمة . ولم تزل في هذا العذاب حتى اشتراها أبو بكر وأعتقها (ابن الأثير ج ٢ ص ٣٠ — ٣٢)

وقد شهد كل من أبي سفيان وهرقل أمبراطور الروم للاسلام بتلك الشهادة التي تعتبر وثيقة تاريخية على ما لهذا الدين من أثر في النفوس وسلطان على القلوب في ذلك الحديث الذي دار بينهما . وكان أبو سفيان إذ ذاك من أئمة الكفر وزعماء المشركين ومن أعداء الرسول عليه الصلاة والسلام . أضف إلى ذلك حقه على الاسلام والمسلمين بعد أن وتروه في غزوة بدر الكبرى وقتلوا سبعين من صناديد قريش ممن كانوا يحاربون المسلمين تحت لوائه . وإلى القارئ طرفاً من هذا الحديث : « قال أبو سفيان : خرجنا في نفر من قريش تجاراً إلى الشام ووالله إنا لبغزة إذ هجم علينا صاحب شرطته (شرطة هرقل) ، فقال : أتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز . (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) ؟ قلنا : نعم ! قال : انطلقوا بنا إلى الملك . فانطلقنا معه . فلما اتهمنا إليه . . . قال : أيكم أمسُّ به رحماً ؟ قلت : أنا . . . فقال : ادنه (اقترب) . فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي ثم قال : إني سأسأله ، فإن كذب فردوا عليه . فوالله لو كذبت ما ردوا علي . ولكنني كنتُ امرأ سيداً أتكرم عن الكذب ، وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتُه أن يحفظوا ذلك على ثم يحدثوا به عني ، فلم أكذبه . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعي ما يدعي . قال : فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أمره وأقول له : أيها الملك ! ما يهلك من أمره ، إن شأنه دون ما يبلغك . فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني ثم قال : أنبئني عما أسألك عنه من

ذهب هؤلاء يتلمسون سعادتهم الروحية بعيداً عن الاسلام وعقائده . وقد وجدت العقائد البابلية القديمة والآرية وغيرها الطريق إلى نفوس هؤلاء .

شأنه . قلت : سل عما بدا لك . قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : محض ، أوسطنا نسبا . قال : فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به ؟ قلت : لا . قال : فهل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ قلت : لا . قال : فأخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرني ممن تبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ؟ (وفي رواية أخرى هل يردد أحد منهم سخطة لدينه ؟) قلت : ماتبعه رجل ففارقه . قال : هل يغدر ؟ فلم أجده شيئاً مما سألني عنه أغمره فيه غيرها . قلت : لا ! ونحن منه في هدة (يريد صلح الحديبية) ولا تأمن . غدره . قال : فوالله ما التفت إليها مني . ثم كر على الحديث فقال : سألتك كيف نسبه فيكم فزعمت أنه محض ، ومن أوسطكم نسبا ، وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسبا ، وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبه به ، فزعمت أن لا ، وسألتك هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه ، فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه فزعمت أن لا ، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء . وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك ممن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه ، فزعمت أن لا يتبعه أحد فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه (وفي رواية أخرى وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب) ، وسألتك هل يغدر ، فزعمت أن لا . فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبني على ماتحت قدمي هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك . قال فقامت من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول : إني عباد الله ! لقد أمر ابن أبي كبشة (يعني الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان يكنيه كفار قریش بأبيه من الرضاع استخفافاً به . وأبو كبشة هذا هو زوج حليلة السعدية التي أرضعت الرسول)

وهكذا نشأ من اختلاط هذه العقائد بالاسلام مذاهب جديدة طالما كانت تظهر فيها العقائد الاسلامية تغمرها الأمواج المتلاطمة من الخرافات والبدع.

أصبح ملوك بني الأصفر (يعني الروم) يهابونه في سلطانهم بالشام !
صحيح البخارى (طبعة بولاق سنة ١٣١٣ هـ) ج ١ ص ٨ ، الطبرى
(طبعة القاهرة) ج ٣ ص ٨٥ - ٨٧ ، فتح البارى (شرح البخارى) لابن
حجر العسقلانى (القاهرة سنة ١٣١٩ هـ) ج ١ ص ٢٤ - ٣٤ ، صمد القارى
(شرح البخارى للعيني) (القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ) ج ١ ص ٩١ .

وليس أدل على صحة مذهبنا إليه مما جاء في كتاب The Preaching of
Islam, P. 223 — 224 للمرحوم السيرتوماس أرنولد . فقد ذكر أن شايبا
من المسيحيين اعتنق الاسلام بسمرقند ، فشكا المسيحيون ذلك إلى أحد
رجال المغول من ذوى النفوذ ومن أكبر المشايخين للمسيحية ، ثم اتهموا
المسلمين بتحريضهم المسيحيين على الدخول فى الاسلام . فأمر ذلك المغولى
بأحضار هذا الشاب وأخذ يغريه على الارتداد عن الاسلام بالمال حيناً وبالتهديد
والوعيد حيناً آخر . ولما لم يجد ذلك تقعا فى صرف هذا الشاب عن دينه الجديد
لجأ الأمير الى وسائل الشدة ، ولم يدع نوعاً من أنواع التعذيب إلا أذاقه إياه
فلم يزد ذلك إلا إيمانا . ولما لم يعبأ بوعود ذلك المغولى وتهديده أمر به فقتل .
وهكذا استشهد هذا الشاب مؤثراً الموت على الارتداد عن الاسلام . ويذكرنا
هذا بقول الشاعر العربى :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى
وهكذا ظل الاسلام فى كل أدواره لا يدخل قلب امرئ إلا كان أحرص
عليه من حياته ، يبذل نفسه دون الارتداد عنه ويريق دمه فى سبيل الحرص عليه .
وما لنا نذهب بعيداً وقد أيد المؤلف نفسه صحة مذهبنا إليه فى غير
موضع من هذا الكتاب ، ولا سيما حين عرض للكلام عن ثورة الموالى والجند
فى الاسلام إذ يقول (ص ٣٢ من الكتاب ، ٦٦ من الترجمة) مانصه : « وأما
الجند فى الاسلام من إقليمى بخارى وسمرقند ، وإن كانوا قد انصرفوا عن
العرب (الأمويين) وخرجوا عليهم ، فليس معنى هذا أنهم ارتدوا عن

وقد تيسر للأفذاذ من ذوى العقول المرنّة التوفيق بين حياتهم الأولى ومظاهر الحياة التى تتطلبها ذلك الدين الجديد ، رغم ما لا قوة من الانقلابات الاجتماعية الخطيرة والأزمات العسكرية العنيفة . وأما العامة فقد وقفوا فى

الاسلام » ، ثم قوله (ص ٢٤ من الكتاب ، ٥٤ - ٥٥ من الترجمة) « وقد أحفظ بخارى خودة (أمير بخارى) تغشادة اقتناع الكثيرين منهم (أهل بخارى) بصحة الاسلام واعتناقهم له . ولا غرو فقد كان لا يزال يبطن الكفر رغم إظهاره الاسلام . . وقد شنع بخارى خودة منهم أربعمائة . . ثم استرق من بقى منهم وأرسلهم الى أسد بن عبد الله بخراسان . على أن أحدا من هؤلاء ممن فروا من الموت لم يرتد عن الاسلام ، بل ظلوا جميعا مؤمنين به . ولعله قد اختلط على « فان فلوتن » ، كما اختلط على الكثيرين من المستشرقين الذين كتبوا فى التاريخ الاسلامى ، بغض بعض أهل الولايات الاسلامية لبعض أمراء المسلمين لكراهتهم هؤلاء للاسلام وسخطهم عليه حتى خيل اليه أن هؤلاء قد ستموا الاسلام وملوه .

أما هؤلاء الذين ارتدوا عن الاسلام عقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فانهم لم يرتدوا عنه لبغضهم إياه وكراهتهم له ، وإنما ظنوا أن الاسلام قد انتهى بوفاة الرسول . أضف الى ذلك أنهم لم يخرجوا على عقيدة التوحيد حماد هذا الدين ، بل زعموا أن الزكاة إنما هى إتاوة يدفعونها للرسول . ومن ثم لم يجدوا مبرراً لدفعها بعد وفاته .

على أن هؤلاء لم يكونوا مسلمين حقا ، فقد كان السواد الأعظم منهم من هؤلاء الأعراب الذين مروا على النفاق . وقد نعى الله سبحانه وتعالى عليهم هذا فى غير آية من القرآن . من ذلك قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم . وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتمس من أفعالكم شيئا إن الله غفور رحيم . إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون . قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، والله بكل شئ عليم) - الحجرات آية ١٤ - ١٦ .

وسط الطريق . وهذا ما حدث في السنين الأولى للهجرة ؛ فقد لجأ الناس إلى تأويل الاسلام حسب أهوائهم ، لما كان يعوزهم من القوة المعنوية للارتداد عنه ومجاهرتهم بالخروج عليه X X . ومن ثم ابتدءوا يستنبطون

ومما يدل على أن هؤلاء لم يسموا حقاً وإنما تورطوا في الدخول في الاسلام منهم باسمهم على الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد ندد عليهم القرآن في ذلك بقوله (يمنون عليك أن أسلموا . قل لا تمنوا على إسلامكم ولكن الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) - سورة الحجرات آية ١٧ - المترجمان

X X لعل « فان فلوتن » يقصد أولئك الوصوليين الذين لم يدخلوا الاسلام عن اقتناع بصحته وإدراك لسمو مبادئه ، وإنما دخلوه لأنه دين الفاتحين ولما عساه يدره عليهم من النفع أو يدرأ عنهم من الشر . وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، إذ لا تكاد تخلو أمة من الأمم من ذلك الفريق من ضعاف النفوس ومرضى القلوب ، ولا سيما في تلك الأوقات العصيبة والانقلابات السياسية والاجتماعية العنيفة حيث يقوم دين جديد على أنقاض دين قديم وتقوم دولة فتية على أطلال دولة متداعية . ولقد منى الاسلام وابتليت الأمة العربية بتلك الطائفة التي اتخذت الاسلام جُنة لتدبير المؤامرات ضد المسلمين . ولم يكن قتل عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلؤة إلا نتيجة لتلك المؤامرة التي دبرها له الهرمزان لما كان يكنه من الحقد للعرب بعد أن ثلوا عرش الفرس ومزقوا دولتهم . كذلك اتخذ بعض اليهود والنصارى الاسلام ستاراً يكيدون من ورائه لهذا الدين الحنيف ، فأدخلوا فيه الكثير من الخرافات والأساطير التي لا تمت إلى هذا الدين الحنيف بصلة . ولولا ما قام به علماء المسلمين ، ولا سيما علماء التفسير ومصطلح الحديث لمقاومة ذلك الخطر الداهم لضاع الاسلام ولعصفت به أعاصير تلك الضلالات والبدع التي أثارها عليه هؤلاء الأعداء على الاسلام منذ القرن الأول الهجري .

منه ما يلائم ميولهم ويتمشى مع حاجاتهم على حين أنهم تركوا الكثير من الفرائض الدينية التي كانت لا تروقهم . وكانت الطريقة الفذة التي كانوا يلجأون إليها ، هي التأويل الذي وضع أساسه الأئمة من سلالة محمد (صلى الله عليه وسلم) . وهذا ما حدا بجميع الساخطين والمتذمرين من الغلاة المتطرفين إلى الانضمام إلى الشيعة في الدعوة إلى آل البيت .

وأما معاقبة الاسلام من ارتد عنه بالقتل فذلك أمر اقتضته سياسة الدولة أكثر من الحرص على اسلام هؤلاء ، إذ كان أخوف ما تخافه الدولة الإسلامية من الأبقاء على هؤلاء المرتدين أن ينقلبوا عيوناً عليها ، وبذلك يصبحون شراً مستطيراً يهدد كيانها . ولا غرو فان السياسة والدين لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر عند المسلمين :

أنظر Nicholson, Literary History of the Arabs, p. 197.

وقد بينا سياسة الاسلام حيال هؤلاء المرتدين عند الكلام عن قال أبي بكر لأهل الردة (أنظر هامش (١) صفحة ١٤ — ١٥ من الترجمة) . على أن الاسلام كان شديد الحيطه في أمر المرتدين ، فكان لا يأخذ في ذلك بالشبه ولا يحكم فيه بالظنة ، إذ كان يميل المرتد ثلاثة أيام يناقشه خلالها علماء المسلمين وفقهاؤهم فيما التبس عليه من أمر الدين وما عرض له من الشبه في صحته ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة . وإلى القارىء طائفة من أقوال الأئمة في هذا الموضوع : قال أبو حنيفة : إذا ارتد المسلم عرض عليه الاسلام وأجل ثلاثة أيام ، لأن الظاهر أنه دخلت عليه شبهة ارتد لأجلها ، فعلينا إزالة تلك الشبهة ، أو هو يحتاج إلى التفكير لنبين له الحق فلا يكون ذلك إلا بجملة ، فان استمهل كان على الامام أن يمهله ، ومدة النظر مقدرة بثلاثة أيام في الشرع كما في الخيار (خيار الشرط وخيار الرؤية في البيوع) . فلهذا يمهله ثلاثة أيام . كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسى (القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ) ج ١٠ ص ٩٨ — ١٠٠ .

ويقول بعض فقهاء المالكية مانصه : واستتيب المرتد وجوباً ولو عبداً أو امرأة ثلاثة أيام بلياليها من يوم الثبوت لا من يوم الكفر بلا جوع ولا

الهاشمية

وهنا يتساءل المرء : كيف كان موقف الأئمة من هذه المعتقدات التي بالغوا فيها وكانوا السبب في ظهورها ؟ على أن التاريخ قد كفانا مؤنة الجواب عن هذا السؤال . فقد أنكر الأئمة بادية الأمر ما نسبته اليهم الشيعة من تلك الصفات كحاطتهم بجميع العلوم والأسرار . ولا غرو فقد رمى على في النازكل من دعاه إلهاً من هؤلاء الغلاة ، ونفى عبد الله بن سبأ إلى المدائن . (١)

عطش بل يطعم ويسقى من ماله وبلا معاقبة وإن لم يتب . أنظر باب الردة وأحكامها في الشرح الكبير للدردير (طبعة بولاق سنة ١٣١٩) ج ٤ ص ٢٧٠ ، حاشية الدسوقي ج ٤ ص ٢٦٧ .

ويقول الامام الشافعي : « ويجب استتابة مرتد ذكر أو غيره لأنه كان محترماً بالاسلام ، وربما عرضت له شبهة فتزال . وقيل يعهل ثلاثة أيام » . أنظر باب الردة في حاشية البجري على شرح المنهج (طبعة بولاق سنة ١٣٠٩ هـ) . وقال الامام احمد بن حنبل : « ومن ارتد عن الاسلام من الرجال والنساء وهو بالغ عاقل ، دعى إليه ثلاثة أيام » .

أنظر كشف القناع على متن الاقناع (طبعة القاهرة سنة ١٣١٩ هـ) ج ٤ ص ١٠٠ — ١٠٥ .

X على أنه لا ينبغي أن يكفر مسلم يحتمل عمله أو قوله الكفر إلا إذا كان التكفير بقوله أو بعمله مجمعاً عليه . وقد صرح العلماء بأنه لا يكفر مسلم بقول يحتمل الكفر من تسع وتسعين جهةً ويحتمل الأيمان من وجه واحد . أنظر باب المرتد في حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين . (طبعة مصر سنة ١٢٧٢ هـ) ج ص ٢٨٣ — ٢٩٢ — المترجمان .

(١) الشهرستاني ص ١٣٢ .

وجاء محمد بن الحنفية فشارك أباه في آرائه الدينية، وتورع عن أن ينتفع ويستفيد مما أحرزه أنصاره من النجاح في الدعوة لآل البيت، كما أنكر عليهم ما كانوا ينسبونه إليه من إحاطته بعلوم ما وراء الطبيعة (١).

على أن موقف هؤلاء الأئمة السلي لم يلبث أن تغير حين بدأ العلويون يدركون مقدار ما قد يستفيدونه من هؤلاء المفتونين بهم والمتحمسين في الدعوة لهم، ولا سيما بعدما رأوه من ضعف الدولة الأموية وما دب إلى جسمها من الانحلال. وكان عمر بن عبد العزيز يمقت الهاشميين لحبهم كثيراً (٢) من الشيعة الغلاة وصديق أبي هاشم الحميم؛ وقد تكلمنا عنه في الباب الأول. وإلى القارئ حكاية ننقلها عن كتاب الأغاني عليها تصف ميول أبي هاشم ودهاءه: كان أبو هاشم يرسل العيون لينقلوا إليه أخبار كثير. فإذا ما قابله أبو هاشم قال له: فعلت كذا وكنت بمكان كذا. وقد أخبره ذات يوم بما دار بينه وبين رجل آخر من الحديث كلمة كلمة، فصاح كثير: «أنت رسول الله».

وقد بينا أنه كان هناك حزب يدعى حزب الهاشمية يقدر أنصاره أبا هاشم ويزعمون أنه أحاط بالعلوم كلها، ويرون أنه أحق بالامامة من غيره. ونستطيع أن نستخلص مما رواه لنا بعض المؤرخين أن أبا هاشم كان أول من نظم الدعوة لجذب الانصار إلى هذا الحزب (٣).

(١) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد (مخطوط Gotha) ١٧٤٨. أنظر لفظ محمد بن الحنفية: فبلغ محمداً أنهم يقولون إن عندهم شيئاً أى من العلم قال فقام فينا. فقال إنا والله ما ورثنا من رسول الله إلا ما بين هذين اللوحين. ثم قال اللهم حلا وهذه الصحيفة في ذؤابة سيفي.

(٢) ج ٨ ص ٣٤.

(٣) الطبري ٣: ٢٥٠٠، اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥٦ وما يليها، ابن خلكان

(طبعة Wiistenfeld) رقم ٥٧٩ ص ١٠٠.

وقد ظهر لنا أن هذه الدعوة — وإن كانت دينية في أصلها ونشأتها — لم توجه دعائها نحو الغلاة من الشيعة إلا لتضم إلى صفوفها الكثيرين من المعتدلين ممن لم يحملهم بغضهم لمن كان يضطهدهم من ولاية الأمويين إلى كراهة الاسلام، كما اضطرت بطبيعة الحال إلى التوفيق بين الاسلام والعقائد غير الاسلامية، تلك العقائد التي كانوا لا يكشفون عن خباياها إلا لمن يكرسونه لهذه الدعوة. على أن الدعاة من الهاشميين قد أخذوا يطلعون العامة شيئاً فشيئاً على سر الدعوة الهاشمية حتى غدا ذلك جزءاً مكملًا لنظام الدعوة الفاطمية فيما بعد. ولم يكن لتلك الدعوة سوى عيب واحد وهو أنه كان يشترط في الدعاة الاخلاص التام للامام والطاعة العمياء لأوامره. ومن ثم كان أكثر ما يخشى من ناحية هؤلاء الدعاة أن يسيئوا استعمال ما لقنوه من أسرار الدعوة وأن يخونوا الأمانة التي حملوها فيدعون لأنفسهم. كان العراق — كما لا يخفى — مهد الدعوة الهاشمية. فكان داعي الدعاة يقيم بالكوفة، على حين أن كان دعائه يطوفون البلاد المجاورة لها. وقد انفرد صاحب كتاب العيون^(١) بالقول بأن خراسان كانت مهد هذه الدعوة. ولما كان ما ذكره صاحب هذا الكتاب إنما هو مقدمة لما تلاه من تلك الحوادث التي سنأتي على ذكرها، كان من السهل أن نحكم بأن ما ذكره ذلك المؤرخ لم يكن إلا استنتاجاً خاطئاً. أضف إلى ذلك أن هناك من الأدلة ما يبين أن الدعوة الخراسانية إنما ابتدأت على يد العباسيين أولاد العباس عم النبي بعد أن استخلفهم أبو هاشم وألقى إليهم بمقاليد الدعوة^(٢). وإن تأريخ استخلاف أبي هاشم لأبناء عمه من العباسيين لأمر لا يكاد يجهله من له بعض الامام بالتاريخ الاسلامي.

(١) كتاب العيون ص ١ — ١٧ وما يليها.

Fragmenta histor. arab. p. 180

(٢) ابن الفقيه (طبعة دي غويه) ص ٣١٥. المقدسي ص ٢٩٠ وما يليها.

مات أبو هاشم سنة ٩٨ هـ بالحميمة ، وهي قرية صغيرة من قرى فلسطين على حدود الصحراء الكبرى شمال بلاد العرب ، حيث كان يعيش محمد بن عبد الله بن العباس بعد أن أقصاهم حنق عبد الملك بن مروان عن بلاط دمشق . ويقال إن أبا هاشم لما شعر بدنو أجله أوصى إلى ولد العباس بحقه في الإمامة ، وأمدهم بأسماء داعي دعائه في الكوفة ومن يليه من الدعاة ، كما سلمهم كتباً يقدمونها إلى هؤلاء الدعاة . ومهما يكن من شيء فقد رأينا الإمام محمد بن علي (العباسي) يضطلع بأعباء الدعوة بعد موت أبي هاشم^(١) . وليس من الصعب علينا أن نقف على الأسباب التي وجهت أنظار الإمام الجديد إلى بلاد خراسان . فقد امتاز أهلها عن سواهم من أهل الولايات الأخرى — التي كانت خليطاً من العرب وغيرهم (كالعراق مثلاً) — بالقوة والشجاعة ، كما ظلوا بعيدين عن كفاح الأحزاب السياسية في دمشق حاضرة الدولة الإسلامية في ذلك الحين . ولا غرو فقد كانت خراسان بلداً عذراء لم تنل منها الأهواء ولم تنقسمها الاختلافات الدينية . يدل على ذلك خطبة الإمام محمد (بن علي بن عبد الله بن العباس) تنقلها عن ابن الفقيه الجعفي : « أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده ؛ وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف تقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل^(٢) ؛ وأما الجزيرة فخرورية مارقة ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق النصاري ؛ وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، وعداوة راسخة وجهل متراكم ؛ وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بأهل خراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد

(١) أنظر العقد الفريد ٢ : ٣٥٢ ، Fragn. hist. arab. P. 181 ، ابن

قتيبة (طبعة وستنفلد) ص ١١ والعبارات التي ذكرناها قبل ص ٤٤ حاشية

(٣) (ص ٨٠ - ٨١ من الترجمة)

(٢) أنظر ص ٣٠ حاشية ٣ من هذا الكتاب

الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم يتوزعها الدغل ؛ وهم جنود لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل ، وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ، ولغات نخمة تخرج من أجواف منكرة . وبعد فاني أتفاءل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق .

على أن هناك أمراً آخر — وإن لم يدل عليه كلام الامام — قد جعل اختيار خراسان بوجه خاص اختياراً موفقاً ، ذلك أن الخراسانيين الأقوياء الأشداء قد قاسوا أسوأ صنوف الاستبداد من نير الأمويين . ولسنا بحاجة إلى تكرار مساوئ النظام الإداري في عهد الأمويين ؛ فقد تكلمنا عنه فيما تقدم . وحسبنا أن نذكر القاري بما كان من تدمير الأهليين وكرهتهم العمال الذين عرفوا بسوء السيرة ثم رغبتهم الصادقة في المطالبة بالمساواة والعدل ، تلك الرغبة التي وقفنا عليها من ثنايا الحركة التي قام بها الحارث بن سريج . وهكذا كانت خراسان أرضاً خصبة لا تنقصها سوى بذور الدعوة لآل البيت (١) .

وقد أخلص الدعاة العباسيون لتلك الدعوة وأظهروا حماسة شديدة لنشرها في الولايات الإسلامية ، فكانوا يجوبون بلاد خراسان لبثها ، وظاهر أمرهم التجارة أو الحج إلى مكة . ولا غرو فقد كان الولاة يضطهدونهم ويسومونهم العذاب قتلاً وصلباً دون أن يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة . ولما كان هؤلاء الدعاة من اليمانية ولدقحطان والمضرية من عرب الشمال ، فكانوا يجوبون المدن والقرى حيث يصورون استبداد الأمويين بأسوأ الصور ويتممونهم بأنهم لا يزالون يبطنون الكفر رغم ادعائهم الاسلام . وكانوا لا يدعون لشخص معين ، وإنما كانوا يذيعون بين الناس أنه لا خلاص لهم إلا إذا ولي أمرهم آل البيت . ومن ثم نجحت جهود هؤلاء الدعاة . وقد عرفوا كيف

(١) الطبري ٢ : ١٩٥٠ و ١٤٣٤ و ١٥٠١ والدينوري (طبعة Girgass)

يجذبون إلى صفوفهم الكثيرين من ذوى الرأى والجاه ، فكان لانضمامهم إلى الدعوة أثر عظيم فى قيام الدولة العباسية. نخص بالذكر من بين هؤلاء سليمان ابن كثير الخزاعى الذى بايع جده الرسول تحت شجرة الحديبية (١) . وليس بعيداً أن يكون أبوه قد رابط بخراسان مع المرابطين من الجنود العربية ، على حين كان يقيم هو فى سفيدنج (٢) ، وهى قرية بواحة مرو . كما لا يفوتنا أيضاً أن نشير إلى شبيب بن قحطبة الطائى الشر نخشبرى (٣) ، وكان من أنصار على ، كما كانت تربطه بابن سريج علاقة وثيقة لما كان بينه وبين زعيم المرجئة (٤) من صلة الجوار القريب . وقد أسس هذان الرجلان مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رئاسة داعى الدعوة ، ثم اتخذ كل منهم لقب « نقيب » على نحو ما كان يفعله الاسرائيليون فى مجلس شوراهم (القرآن الكريم ١٥:٤) الذى كان يتكون من اثنى عشر حوارياً ، ثم النقباء من أهل الشورى الذين انتخبهم الرسول من أهل المدينة (٥) . وهكذا تأثر العباسيون فى تنظيم دھوتهم بمجلس الحواريين عند اليهود من ناحية ، فاتخذوا اثنى عشر نقيباً ، كما تأثروا من ناحية أخرى بمجلس الشورى فى عهد الرسول ، فاتخذوا سبعين داعياً (٦) .

وهكذا سار كل ما دبره العباسيون سيراً حسناً إلى أن اتفق لهم حادث لم يكونوا ينتظرونه ، فعكرو صفوف سياستهم على ما سيأتى بيانه .

(١) أنظر هذا اللفظ فى كتاب الأنساب للسمعاني ، أنظر أيضاً Sprenger,

Das Leben und die Lehre des Muhamad, III, 245

(٢) ونصادف هذا الاسم فى الطبرى ٢ : ١٥٩٥

(٣) أنظر لفظ شر نخشير فى كتاب الأنساب للسمعاني

(٤) الطبرى ٢ : ١٩٣٢٠ (١٥)

(٥) Sprenger, vol. II. p. 532

(٦) الطبرى ٢ : ١٥٨٦ ، ١٩٨٨

الخرمىة والرأوفديتة

كانت الكوفة — التى ظهر منها الدعاة العباسيون — فى مستهل القرن الثانى للهجرة مهداً لتشيع متطرف غير إسلامى . وهكذا لم يلبث الإسلام أن أصبح خليطاً من ديانات شتى ، على أثر إتصاله بالديانات والعقائد التى كانت سائدة فى بلاد العراق قبل ظهور الإسلام (كديانة الفرس القدماء Parsees والمناوية والصابئة وغيرها) وذلك للتوفيق بين تلك الديانات المختلفة (وقد عرضنا لهذا فى صفحة ٤٣ — ص ٨٢،٧٥ من الترجمة). وكان الدعاة يقومون بنشر الدين الإسلامى بين الناس بحماسة وحمية رغم هذا التغير الذى طرأ عليه فى ذلك الحين ويدافعون عنه باخلاص وغيره . يدل على ذلك ما كان من الحكم بالاعدام على الكثيرين من الغلاة والمبتدعين منذ أيام على أبى بن طالب إلى عهد المنصور العباسى (حين أصبحت بغداد حاضرة البلاد الإسلامية) ، وذلك لجراأتهم على الابتداع فى الإسلام وإدخالهم فيه ما ليس منه . ففى الكوفة نشأ مذهب الكيسانية ؛ وكانوا يرون أن الدين طاعة رجل واحد ، وأن طاعة ذلك الرجل تعفيهم من الائتار بأوامره والانتفاء بنواهيه ، ثم الهاشمية الذين فتحوا الباب على مصراعيه لكثير من الأفكار المضطربة والعقائد المتباينة . وقد ساعدهم على ذلك ما ذهبوا اليه من القول بالتأويل . ولم يكن بد من أن يتأثر دعاة بنى هاشم ثم العباسيون الذين نشأوا فى هذه البيئة بتلك الروح غير الإسلامية . ومن ثم لم أتردد فى أن أنسب إلى دعاة أبى هاشم التشيع لعقيدة الهاشمية ، تلك العقيدة التى كانت — إذا لم أكن مخطئاً — عماد دعوتهم .

وأما الدعاة العباسيون فانا لا نعلم بالضبط كيف كانوا ينشرون دعوتهم .

فقد أمر النقباء الغلاة من الدعاة بأن لا يصرحوا باسم المدعولة (١) ، وأن يظل هذا الاسم سراً مكتوماً إلى أن تحين ساعة الخلاص من نير الأمويين ، على حين أن أخفوا عن المعتدلين منهم سر عقيدتهم . على أن هؤلاء الدعاة كانوا على الرغم من ذلك متطرفين مغالين يواجهون الموت في سبيل دعوتهم بشجاعة تذكرنا بهؤلاء الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل المذهب البابي ، تلك التضحية التي لا يمكن أن أعزوها إلا إلى ما تأصل في نفوسهم من الاقتناع الديني بصحة دعوتهم (٢) .

وإلى القارئ هذه العبارة التي نقلها الطبري عن المدائني المؤرخ المتوفى سنة ٢١٥ هـ فإنها تمدنا بأراء سديدة (٣) قال : « إن رجلاً من الراوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص ، فتكلم بالغلو ودعا بالراوندية ، فزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم الأئمة في واحد بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد (سبط العباس عم النبي) ، وأنهم آلهة واستحلوا الحرمات . فكان كل رجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويبسح لهم « الحرمات » . فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم . فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم ، فعبدوا أبا جعفر المنصور وصعدوا إلى الخضراء فألقوا أنفسهم كأنهم يطرون . (٤)

(١) الطبري ٢ : ١٩٨٨ (٣)

(٢) أنظر مارواه الطبري ٢ : ١٥٠١ وما يليها

(٣) الطبري ٣ : ٤١٨

(٤) Selecta historiae Halebi, ed. Freytag, p. 15, Theophilus, ed.

Boor, p. 430.

ولا يزال يعزى إلى طائفة النصيرية من الفرس القدرة على الطيران في الهواء

حتى اليوم ، كما يعزى مثل ذلك أيضاً إلى بعض البوذيين (Bodhistattva)

De Gobineau, Trois ans en Asie, P. 367 suiv., Zeitschr. d. D. M.

G. XLV, p. 590, n. 2.

وخرج جماعتهم على الناس بالسلاح فأقبلوا يصيحون بأبي جعفر أنت أنت
(يعنون أنت الله) .

وعقيدة الراوندية جديدة بالبحث والدوس. ويمكن الرجوع الى ما كتبه

Herbelot ، Bidliotheca Orientali, i. v. ؛

Weil , Gesch. d. Khalifen, II. 37 Suiv . ؛

Miiller, der Islam in Morgen — und Abenland, I. p. 494.

ولا سيما وأن المعلومات التي نقلناها عن المصادر التي اعتمدنا عليها ليست
وافية فيما يتعلق بعقيدة هؤلاء . وكل ما يهمنا في هذا الموضوع هو أن
المدائني قد عزا إلى الدعاة العباسيين آراء وعقائد مماثلة لعقائد الراوندية
وآرائهم ، إذ لا يشك في أن هؤلاء الذين صلبهم أسد بن عبد الله وإلى
خراسان من دعاة العباسيين كانوا من الراوندية (١) .

وليس أدل على ذلك مما ذكره بعض المؤرخين عن ثالث الدعاة واسمه
خداش (من خداش بمعنى مزق بأظافره . وإنما سمي بذلك الاسم كناية عن
تمزيقه الدين) . وكان خداش يشتغل بصناعة الخزف بالحيرة (بالقرب من
الكوفة) ؛ وكان مسيحياً ثم أسلم واشتغل بتدريس القرآن ثم انضم إلى
الدعوة العباسية ، فبعثه داعي الدعاة بالكوفة إلى خراسان حيث أخذ يثبت
الدعوة لمحمد بن علي . ولم يلبث أن انصرف عن العباسيين وأخذ يذيع عن
الامام العباسي بعض العقائد الباطلة وينشر بين الناس عقائد الخرمية ويدعو
إلى الاشتراكية مما أدى إلى قيام النفور بين الامام (العباسي) والشيعة من
أهل خراسان . وقد ظل ذلك حتى بعد موت خداش سنة ١١٨ هـ حيث أمر
أسد بن عبد الله بقطع أطرافه ثم قتله (٢) .

(١) أمر أسد بقتل بعض الدعاة العباسيين في سني ١٠٧، ١٠٨، ١١٧، ١١٨

(٢) الطبري ٢ : ١٥٨٨

وهذه الحوادث — رغم ما فيها من نقص — قد تجيز لنا بأن نعتبر خدasha أحد هؤلاء الراوندية الذين عرض لهم المدائني . على أن تلك المعلومات لا تكفي هي ولا ما ذكره المدائني لإبداء رأى قاطع عن حقيقة مذهب أولئك الدعاة العباسيين . لذلك نكتفي بذكر بعض الملاحظات العامة عن هذا المذهب .

كان السنيون لا يفهمون شيئاً عن تلك الطوائف التي كانت تحاول الوصول من وراء الشعائر الدينية إلى حكمة جميع الشرائع وسرها ، إذا كانوا يعتبرونها أرقى وأرفع من تلك الظواهر الدينية ، وذلك لبغض أهل تلك الطوائف جميع الديانات السماوية لما كانت تثقلهم به (حسب زعمهم) من الواجبات وتقرضه عليهم من الفروض .

من ذلك مثلاً ما رمى به السنيون أهل هذه الطوائف من محاولة تبرير ارتكاب المحرمات حين قال بعضهم إن أوامر القرآن ونواهيه لا قيمة لها في نظر المؤمنين الذين أدركوا أسرار الدين ورأوا أنهم في حل من الخروج عليها . ويرى بعض الباحثين أن هناك صلة بين اسم الحرمية الذي قد يكون مشتقاً من خرم اسم لمدينة بيلاد ميديا (١) — أو كلمة خرم ، ومعناها « لذيذ » . فإذا ما تكلمنا عن « خرم دينيا » Khorram — dinia فلكي نبين أن هؤلاء كانوا لا يعرفون ديناً غير الالذة . ومن هنا يتبين لنا أن هذه الطوائف وإن كانت قد جعت للنساء مكانة أرقى من المكانة التي لهن في البلاد الشرقية وأباح لهن الظهور في المجتمعات الدينية (٢) ، فلم يكن ذلك إلا بقصد الاستمتاع بظهورهن في تلك المجتمعات .

(١) Müller, der Islam im Morgen — und Abendland, I. 405 .

(٢) De Gobineau, l. I. p. 361. De Sacy, Exposition de la religion des Druses, II. 397 suiv. , Browne, A Year amongst the Persians p. 216 .

على أن ما ذهب إليه هذه الطائفة من الاستمتاع باللذة التي لا حد لها لم يكن العامل الوحيد فيما كان يكرهه أهل السنة من البغض لهذه الطوائف ، وإن كنا لا نستطيع في الوقت نفسه أن ننكر أنه كان لغلو بعض المتطرفين من أهل هذه الطوائف أثر كبير في بغض السنيين لطائفة الخرمية (١). يؤيد ما ذهبنا إليه هذه البحوث الجديدة التي قام بها مستر « براون » عن البابية X

Browne, II. p. 523

(١)

X أسس هذه الطائفة ببلاد الفرس سنة ١٨٤٤ - ١٨٤٥ م ميرزا علي محمد الشيرازي ولما يناهز الخامسة والعشرين من عمره . وكان قبل أن يؤسس هذا المذهب أحد تلاميذ السيد كاظم من أهالي مدينة رشت وزعيم طائفة الشيوخ إحدى طوائف الشيعة الغالية . وتمتاز البابية من بين طوائف الشيعة بالقول بوجود واسطة بين الامام الثاني عشر وأتباعه ، ويسمون هذه الواسطة « ركني رابع » أو « الشيعي الكامل » ، وهو أحد الأبواب الأربعة التي يتصل الامام عن طريقها بأتباعه أثناء غيبته الصغرى (٢٦٠ - ٣٢٨ هـ و ٨٧٠ - ٩٤٠ م) . لذلك سمي هذا المذهب « البابي » . ولم تكن تسميته بهذا الاسم راجعة الى « باب الله » أو « باب الدين » كما زعم بعضهم أن ميرزا علي محمد قد تلقب بهذا اللقب . على أن ميرزا هذا لم يلبث أن عدل عن هذا اللقب (باب) ولقب نفسه « نقطة » . فظل لقب باب شاغرا الى أن تلقب به أحد تلاميذه حسين محمد من أهالي مدينة بشرويه ببلاد الفرس . وفي سنة ١٨٦٣ م زعم ميرزا حسين على المقلب « بهاء الله » وأحد أتباعه صبحي عزيل زعيم البابية في ذلك الحين بأنه النبي المنتظر (من يظهره الله) ، فتبعه كثير من البابية على حين أن رفض عزيل وأتباعه القليلون الاعتراف بما ادعاه بهاء الله . ومنذ ذلك الوقت انقسمت البابية الى طائفتين : العزيلية والبهائية . وقد بذلت الحكومة الفارسية المساعي لطرده البابية من بغداد ، فغادرتها الى القسطنطينية ثم الى أدرنة . وفي سنة ١٨٦٨ م اعتقل بهاء الله وأتباعه بعكاء في سورية ، على حين أن نفي صبحي عزيل وأتباعه في جزيرة

في بلاد الفرس^(١). ولم تدخر المصادر الفارسية التي يصح الاعتماد عليها في هذا الموضوع وسعاً في كيل التهم للبابيين بنفس الكيل الذي كان المسلمون في صدر الاسلام يكيلون به تلك التهم نفسها لطائفة الخرمية. ويزعم أصحاب هذه المصادر أن جميع البابيين كانوا لا يتقيدون بالشريعة الاسلامية ولا يدينون بها، وأن كل شيء مشترك بينهم سواء في ذلك الثروة أو النساء، حتى تبسط مملكة « باب » سلطانها على العالم أجمع وتسن قوانين جديدة لتنظيم الحياة الروحية والزمنية^(٢). وقد نشرت جريدة طهران اليومية الكثير من المقالات في كفر البابيين وإلحادهم واتجاههم نحو الاشتراكية، تلك الاشتراكية التي لم تكن إلا مظهراً جديداً للاشتراكية التي كانت سائدة في أيام مزدك^(٣).

قبرص، فظل بها حتى مات سنة ١٩٠٨. وأما بهاء الله فقد مات بعكاء سنة ١٨٩٢، خلفه ابنه عباس افندي المقلب بأبي البهاء.

وقد دب الانقسام بين طائفة البهائية على إثر قيام محمد علي أحد أبناء بهاء الله الاربعة وادعائه الزعامة بعد أبيه. على أن عباس افندي لم يلبث أن انتصر على أخيه واستقل بالامر دونه. وقد انتشرت البهائية في أمريكا على يد ابراهيم جورج خير الله الذي بدأ يدعو لمحمد علي البهائي في مدينة شيكاغو. ولا يزال هناك فريق كبير يدين بالمذهب البهائي في أمريكا الى اليوم. ويرجع ذلك الى مقام به دعاة البهائية، وعلى رأسهم ميرزا أبو الفضل، لبث تعاليم هذا المذهب ودعوتهم الى عباس افندي.

أنظر دائرة المعارف البريطانية ثم ما كتبه كل من

De Gobineau, Religion et Philosophie dans l'Asie centrale (Paris, 1900), Browne, The New History of the Bab (Cambridge, 1893)

— المترجمان

(١) "The Babis of Persia", Journal of the Royal Asiatic Society, xxi, p. 881 suiv. and "a Traveller, 'sNarrative written to illustrate the edisode of the Báb."

Mirza Casim Beg, Le Journ. asiat. 1866 t. I. P. 482. (٢)

(٣) لمعرفة مزدك والمزدكية أنظر Noldeke

بيد أنه ليس ثمة ذكر مطلقاً لذلك الغلو الذي نحن بصددده في كتب البابيين التي محصها مستر « براون » تمحيصاً تاماً ، والتي تعد دراسة ممتعة ولا سيما فيما يتعلق بالنتائج التي وصل إليها . وإذا كان انصراف هؤلاء عن الاشتراكية يعتبر تحدياً لها ، فمن البعيد جداً أن يحتم زعماء هذا الحزب على أتباعهم التمسك بتلك الاشتراكية باعتبارها قاعدة لا يمكن الخروج عليها . أضف إلى ذلك أنه لم يرد شيء مطلقاً عن تلك الاشتراكية في كتبهم . لذلك لا يجمل بنا أن نأخذ بكل ما يمدنا به المؤرخون من العرب على علاقته عن طوائف الخرمية التي أتينا على ذكرها . وأما تلك النزعة التي كان يرميهم بها أهل السنة ، وهي استحلال المحرمات ، فنشؤها هذه الحالة النفسية المماثلة لتلك الحالة التي كانت مهيمنة وقتئذ على بعض الناس كجهنم بن صفوان (أنظر ص ٣١ وما يليها ص ٦٥ من الترجمة) ، الذي لم يدخر أهل السنة وسعاً في رميه بنفس تلك التهم (١) . على أن تلك النزعة لم تكن أكثر من كراهة للتمسك بالشعار الدينية — ذلك التمسك الذي طالما كان يتخذ ذريعة لاضطهاد الشعوب الأجنبية — ثم بغض لا ظلم واحتقار لجمع الثروات بوسائل دنيئة . أما نظرية التجسد التي جمع الراوندية بينها وبين عقائدهم غير الإسلامية فقد حاولوا بها الخلط بين عقيدة السبئية (أنظر ص ٤٠ من الكتاب ، ص ٨٩ — ٩٠ من الترجمة) ومذهب الكيسانية الذي يقول أتباعه باستمرار النبوة . لذلك لا يبعد أن يكون خدش الخرمي أول من دعا لذلك المذهب الذي طالما كان يبشر به الباطنية (أنصار مذهب وحدة الوجود) ثم المصلحون من الفرس ، وهو مذهب تجسد الحكمة الألهية في شخص من الأشخاص . ومن ثم لم تقتصر النبوة عندهم على تلك الفترة القصيرة من الوحي ، وإنما هي — حسب زعمهم — في نظرهم حكمة خالدة لا يزال يشع نورها على الأرض ، سواء ظهرت في شخص معين أو ظلت مختبئة في مقرها الألهي .

انتقال الدعوة العباسية

من العراق إلى خراسان

وليس بعيداً أن يكون خدّاش قد دعا لنفسه بعد أن خرج على الدعوة العباسية وتخلص من قيودها ، وزعم أنه يحيط بالأسرار الألهية كما فعل غيره من الدعاة ، ثم أقام نفسه زعيماً بعد أن كان داعياً لحسب يأتمر بأوامر رئيسه (١). وهكذا تحقق الخطر الذي تنبأنا به من قبل ، وهو أن يسى الدعاة استعمال ما علموه من أسرار الدعوة وأن يخونوا الأمانة التي حملوها فيدعون لأنفسهم جهاراً . وقد بينا أثر ذلك فيما سبق . وقد استطاع خدّاش أن يضم إليه بعض النقباء . ومن بينهم أحد أولاد سليمان بن كثير (٢) — ثم انقطعت الصلة بين الخراسانيين وداعى الدعاة في العراق وظلت على ذلك حتى موت خدّاش . على أن الدعوة العباسية لم تنحدر رغم ما كان يحدث بها من الأخطار ، كما لم يكن للعقائد الشيعية الغالية — كالتي كان يدعو إليها خدّاش — أثر كبير في نجاح تلك الدعوة . فإن هذه العقائد لم تستطع أن تؤثر إلا في بعض الدعاة ممن كانوا يعطفون عليها ويميلون إليها . وهذه العقائد ، وإن استطاعت وقتاً ما أن تفتن الجمهور بالوعود الخلابية والسعادة الأبدية ، فإن عجزها عن أن تقنع العامة ثم دعوتها إلى مذهب الباطنية وقولها بوحدة الوجود قد ردتّها على أعقابها ورجع بها إلى ذلك الحمول الذي نشأت فيه .

وكان الخراسانيون الذين يختلفون اختلافاً كبيراً عن أهل بلاد فارس الغربية (وهم أهل ميديا والعراق وبلاد الفرس نفسها) أقل نزوعاً إلى حياة

(١) أنظر سيرة بعض أشياعه في الذيل السادس من هذا الكتاب

Opkomst der abbasiden , p. 40, n. 4.

(٢)

الفكر والتأمل . ولا يزال منهم حتى اليوم عدد كبير من المسلمين المتحمسين لمذهب أهل السنة . أما كراهتهم للأمويين فانما كانت لحكمهم الظالم ونيرهم الذي لا يحتمل . كذلك لم يكن ميلهم إلى أهل البيت إلا رغبة فيما كانوا ينتظرونه على أيديهم من الحكم بالحق والعدل في السيرة . لذلك كانوا لا يفضلون إماما على آخر ، حتى إنهم قد رحبوا بالعباسيين وأخلصوا في خدمتهم حين علموا آخر الأمر أن الخلافة لهم دون غيرهم من أهل البيت . وكان هؤلاء الدعاة الذين أوفدهم العباسيون من الكوفة لجذب أهل هذه البلاد إلى دعوتهم خطراً شديداً عليهم ، غير أنه لم يكن بد من استخدامهم أول الأمر . ومن ثم كان لزاما على العباسيين أن يتلمسوا غيرهم ممن هم أكثر صلاحية وآمن جانبا ، ولا سيما بعد أن فرغوا من وضع أساس الدعوة لهم في البلاد الإسلامية .

وقد ظفر العباسيون بهؤلاء من بين النقباء الذين كانوا يمثلون الحزب الخراساني وعلى رأسهم سليمان بن كثير . لذلك وجب علينا أن نعنى بوجه خاص بدراسة ذلك الحزب الخراساني . ويظهر لنا أنه كان ثمة فرق كبير بين هؤلاء النقباء وبين الدعاة من أهل العراق ، كما نرى في الوقت نفسه أن عقيدة هؤلاء النقباء — وقد نشأوا في خراسان وأقاموا على مقربة من مرو — لم تختلف في شيء عن عقيدة السواد الأعظم من مواطنيهم ، وأن الدعاة من أهل العراق إنما كانوا يأتونهم من الناحية السياسية لا الدينية . فقد قال أحد الثوار من أهل اليمن للحارث بن سريج إنه لا يريد العمل إلا بكتاب الله . فصاح قحطبة أحد النقباء : « لو كان صادقا لأمددته ألف عنان » (١) . وليس ثمة غلو أو إغراق في تلك الكلمات . فقد صدرت من مسلم يرى في كتاب الله المثل الأعلى للعدالة والحق . وكان أشياع الحارث بن سريج دون غيرهم يعرفون كيف يصبرون حتى تحين الفرصة ، كما أدركوا منذ اللحظة

الأولى أنه لا مناص لطرده الأمويين من جيش على تمام الاستعداد للقتال في أي لحظة. لذلك انضموا إلى هؤلاء الدعاة ودخلوا في الدعوة العباسية طائعين. وقد اتبع بعض النقباء خدasha حين جهر بالدعوة إلى مذهب الخرمية في الوقت الذي ثار فيه السواد الأعظم منهم على هذا المذهب . ومنذ ذلك الحين ابتداء هؤلاء يفهمون سياسة العباسيين وأنهم قد اتخذوا بدعوتهم . فقد أدركوا أن هذه الدعوة لم تقم في الواقع إلا على البدع والعقائد التي لا تمت إلى الدين بأية صلة ، حتى إنهم لم يطمئنوا إلى احتجاج الامام على مذهب الخرمية حين أرسل اليهم داعي الدعاة من بلاد العراق « ليعلمهم أن خدasha حمل شيعته على غير منهاجه » . ولم يضمهم الامام (محمد بن علي) إلى صفوفه إلا بعد أن « بعث اليهم بعض مضببة بعضها بالحديد وبعضها بالشبه » . فقدم بها بكير وجميع النقباء والشيعه ، ودفع إلى كل رجل منهم عصا ، فعلموا أنهم مخالفون لسيرته فرجعوا وتابوا » (١) .

وقد روى لنا بعض المؤرخين (٢) خبر زيارة سليمان بن كثير للامام سنة ١٢٠ هـ بعد سنتين من وفاة خدasha . على أن أحداً من هؤلاء لم يذكر لنا شيئاً عن نتيجة تلك الزيارة ، اللهم إلا بعض عبارات عامة لا قيمة لها . وليس من الصعب علينا أن نتنبأ بأثر تلك الزيارة ، فقد ساد على إثرها السلم بين الخراسانيين وزعيم العباسيين .

ومنذ ذلك الحين لم نعد نسمع شيئاً عن الدعاة الذين كانوا يوفدون من العراق ، ولا سيما بعد أن اضطلع سليمان بن كثير (٣) بأعباء الدعوة ببلاد خراسان .

(١) الطبري ٢ : ١٩٤٠ .

(٢) Fragmenta hist. arab. p. 182 .

(٣) أنظر كتاب المقفى الكبير للمقرئ في المكتبة الاهلية بباريس ورقة ٦٥

والذيل السادس من هذا الكتاب . Qualremère, Journal asiatique, 1835, II. 336.

وهكذا نجح الشيعة وحدهم من بين جميع الأحزاب المعادية لبني أمية في تقويض عرش الأمويين بفضل تلك الحركة التي قاموا بها لبث العقائد الشيعية بين المسلمين .

على أن الكوفة لم تعد تصلح لأن تكون مركزاً لتلك الحركة ، فقد كان أهلها خليطاً من عناصر مختلفة عرفوا بالتقلب في الميول والأهواء . أما أهل خراسان وإن كانوا أقل غلواً فقد كانوا أكثر حماسة للدعوة لآل البيت . وقد جدّ دعاة بني العباس في ضم الخراسانيين الذين عركتهم الحرب إلى الدعوة العباسية في الوقت الذي احتدم فيه النزاع في غير طائل بين المتطرفين من الشيعة وبين الخوارج في بلاد العراق وميديا . ولم يبق أمامنا إلا أن نبحث عن ذلك الدافع الذي حمل هؤلاء على الخروج على بني أمية في الوقت الذي كان يزعم فيه الأمويون أنهم قد انتصروا على جميع أعدائهم .

لم يكن ذلك الدافع سوى عقيدة هؤلاء بالمهدي المنتظر .



الباب الثالث

الاسرائيليات ×

— ١ —

التنبؤ ببعض الأشخاص والحوادث المعينة

يجب أن لا يعزب عنا حين ندرس التاريخ الاسلامي بوجه خاص والشرق بوجه عام ، مبلغ تأثير الروح الشرقية بكل ماله علاقة بالتنبؤ وكشف حجب

× الاسرائيليات (Croyances Messianiques) نسبة الى Messie . وهي مشتقة من اللاتينية Messias ، والسريانية Meshiha بمعنى ممسوح ، ومن العبرية Mesha بمعنى المسح . والمراد به المسح بالزيت المقدس ، وهو رمز لتتويج الملوك عند الاسرائيليين . ومعنى هذه الكلمة المحرر أو المخلص الذي بشر به الانبياء بنى اسرائيل والذي عبده المسيحيون وألقوا اليه بالمودة في شخص المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . وقد تمسك الناس بهذه العقيدة منذ هبوط آدم عليه الصلاة والسلام . ويطلق الفرنجة كلمة Messie على كل شخص مصلح يتطلع اليه الناس وينتظرون ظهوره . وقد أطلقت التوراة هذه الكلمة قبل ظهور عيسى بن مريم إطلاقين مختلفين ، فأطلقتها بالمعنى العام على الملوك والانبياء وكل من يبعثه الله برسالة من عنده ، على حين أن أطلقتها بالمعنى الخاص على الرسول الذي يبعثه الله لتكفير خطايا البشر وإتقاذ بنى اسرائيل وتخليص العالم مما نزل به من الظلم والاضطهاد . وهكذا كان شعب الله المختار أول من دان بهذه العقيدة ، كما لا يزال ينتظر ظهور ذلك المخلص الى اليوم . وقد ظل القرون الطويلة يحدوه ذلك الامل الذي كان يشجعه على التمسك بأهدابه تنبؤات الكثيرين من أنبياء

الغيب عن المستقبل — قل ذلك التأثر أو أكثر — ذلك التأثر الذى يهمنى أن نتتبع آثاره وإن كان من الصعب علينا تحديد مداه .

بنى إسرائيل الذين ظلوا عشرين قرناً يبشرون بهذا المهدى ويتنبئون بذلك المخلص الذى ينتظره جميع الشعوب والأمم .

ويرى بنو إسرائيل أن فكرة المسيح قديمة درجت مع الإنسان منذ أيامه الأولى . ولا غرو فانهم يزعمون أن الله قد بشرهم به ووعدهم إياه غداة اليوم الذى هبط فيه آدم من الجنة بعد أن غررت به الحية ووسوست إليه أن يأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها (سفر التكوين إصحاح ٣ آية ١٤ ، ١٥) . ويقول أنبياء بنى إسرائيل إن ذلك « المخلص » سيخرج من نسل إبراهيم بن اسحاق ابن يعقوب من قبيلة هوذا (سفر التكوين إصحاح ١٢ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧) وإنه سينتصر على قومه رغم بغضهم له وكراهتهم إياه ، وأنه سيشرع لهم من الدين ما لم تأت به الشريعة الموسوية ، وأنه يولد من امرأة عذراء ببيت لحم .

هذه هى عقيدة المسيح كما يدين بها الاسرائيليون : على أننا اذا دققنا البحث وجدنا أن تلك العقيدة كانت منتشرة بين جميع الشعوب والأمم . فقد ظهرت فى خرافة تيفون Typhon وهوروس Horus عند قدماء المصريين ، كما نجدها أيضا فى مذرا Mithra إحدى القصص الفارسية ، ثم فى كتب الصينيين القديمة ، وكذا فى عقائد الهنود ولا سيما مايتعلق منها بتناسخ براهما . ولا تزال آثار تلك العقيدة باقية الى اليوم بين أهالى شبه جزيرة اسكنديناوة وبين الوطنيين من بلاد المكسيك . ويقول فولتير « يرى الهنود والصينيون أن المسيح سيخرج من المغرب على حين أن يرى الغربيون أنه سيخرج من المشرق » .

ويطلق علماء المسلمين كلمة إسريليات على جميع العقائد غير الاسلامية ، ولا سيما تلك العقائد والاساطير التى دسها اليهود والنصارى فى الدين الاسلامى منذ القرن الاول الهجرى .

أنظر لفظ Messie فى دائرة معارف لاروس ودائرة المعارف الفرنسية ،

وقد أفرد ابن خلدون في « مقدماته » فصلين لدراسة هذا الموضوع
يعتبران من أهم فصول هذا الكتاب ^(١) . ويكاد ابن خلدون أن يكون
المؤرخ الشرقى الوحيد الذى أدرك أهمية هذا النوع من التنبؤ فى تاريخ
الشرق ، كما كان أول من نعى عليه وشهر ببطلانه . وأما نحن معشر الغربيين
فقد استرعت عقيدة المهدي — والمهدي المنتظر بوجه خاص — أنظار
المستشرقين منا ، لما كان لها من الأثر فى سياسة الشرق حتى اليوم . ولا
تزال بحوث مسيو دار مستيتر (M. Darmesteter) وسنوكت هر جرنيه
(Snouck Hurgronje) عن نظرية المهدي ذات أهمية تاريخية كبيرة ^(٢) .
وقد بين لنا مسيو دى غويه (De Goeje) فى كتابه Mémoire sur les
Carmathes du Bahraïn, etc. مقدار ما كان لتلك التنبؤات من الأثر فى
مجرى الحوادث فى القرن العاشر الهجرى (وبخاصة ما كان يقوم منها على بعض
قواعد التنجيم ^(٣)) ، على حين لم يُعن غيره من المؤرخين بكشف هذه الناحية
من نواحى التاريخ الإسلامى . وليس يحضرنى فى هذا الموضوع سوى هذه
المعلومات القليلة التى خلفها لنا كل من مسيو دى ساسى (De Sacy)

ولفظ Messiah فى دائرة المعارف البريطانية ، ثم ما كتبه

Drummond, The Jewish Messiah, Kuenen, Religion of Israel, chap.
xii. Eilersheim, Life and Times of Jesus the Messiah, 2nd ed.
vol. I. pp. 160 - 179, vol. II. p. 434 seq.

— المترجمان .

Notices et Extraits, Tom. xvii, p. 142 — 201, trad — (١)
uction (ibid . xx) p. 158 - 237 .

(٢) أنظر كتاب Le Mahdi depuis les origines de l' Islam jusqu'à nous jours, Pasis, 1885
(المهدي منذ ظهور الإسلام حتى اليوم)
للأستاذ جيمس رادمستيتر (James Darmesteter) وكتاب Der Mahdi
للأستاذ سنوكت هر جرنيه Snouck Hurgronje فى Separata — tabdruck
Von der Revue coloniale Internationale, 1886
De Goeje, Mémoire sur les Carmathes du Bahraïn et les (٣)
Fatimides, p. 115 suiv .

وكترمير (Quatremère) وقايل (Weil) ودوزي (Dozy) . وقد أفردت في كتابي الذي كتبتة عن اعتلاء العباسيين عرش الخلافة فصلاً خاصاً لتلك التنبؤات التي كان يؤمن بها الناس والتي تأصلت في نفوسهم ولا سيما في عهد بني أمية (١) . وقد مكنتني مقام به العلماء من البحوث من الاحاطة بما كان لتلك التنبؤات من الأثر في سياسة الدولة الاسلامية في ذلك الحين . ويرجع كل ما ذكرته إلى تلك الطريقتين المختلفتين اللتين كانت تعالج بهما الأمور المستقبلية . ولم تكن هذه التنبؤات سوى تكهنات لا يكاد يعرف واضعها ، كما كانت تتعلق ب وفاة بعض الأشخاص من ذوى المكانة والشهرة أو ببعض الحوادث الهامة . وإلى القارىء بعض الأمثلة من تلك التنبؤات : كان المختار زعيم الشيعة يزعم أنه هو « ذلك الرجل من ثقيف الذي يفتح عليه بالمدار X فتح عظيم » . على أن تلك النبوءة قد صدقت في الحجاج بن يوسف من نفس قبيلة ثقيف . فقد انتصر على أحد الثائرين ، وهو عبد الرحمن بن الأشعث (٢) . كذلك أبي الحسين بن علي أن يذكي نار الثورة في بلاد الحجاز ، وذلك لما أخبره به أبوه من « أن بها كبشاً يستحل حرمتها » ، وقال : لا أريد أن أكون ذلك الكبش (٣) . وقد ذكر الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي حين مات زيد بن علي هذه النبوءة وهي أن شاة ستذبح بالعراق (٤) . وهاك نبوءة ثالثة وردت في بعض الأحاديث عن الرسول طالما كان يتحدث بها الناس « والله إنك الأزيق قيس المذبوح

Opkomst der abbasiden, p. 132 suiv.

(١)

X مكان بين واسط والبصرة — أنظر معجم البلدان لياقوت

(٢) الطبرى ٢ : ٧٤٨

(٣) شرحه ٣ : ٢٧٦

(٤) شرحه ٢ : ٨٤٦

فيها كما تذبح الشاة » (١) . وقد تنبأ بعض المتنبيين للحارث بن سريج أنه سيموت تحت زيتونة أو شجرة غيراء (٢) . وقد تحققت تلك النبوءة وجاءت كفلق الصبح . ومهر الأصبغ بن عبد العزيز أحد أمراء بني أمية في هذا النوع من التكهن بالغيب وكشف الأمور المستقبلية (٣) ، كما حسدت ابنته دحية نفس ذلك العلم . ولما رأى الأصبغ الشج في وجه أخيه قال : « الله أكبر ! هذا أشج بن مروان الذي يملك » .

ومما تجب ملاحظته أن هذه التنبؤات كانت متشابهة كما أن واضعها إما من اليهود أو المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام (٤) . وقد تنبأ أحد اليهود (رأس الجالوت) بموت الحسين (بن علي) بالقرب من كربلاء (٥) ، كما تنبأ تبيع ابن امرأة كعب الأحمري وكان أبوه يهودياً بموت عمرو بن سعيد (٦) .

وكان بجانب هذه التنبؤات المتفرقة كتب للتكهن والتنبؤ بالغيب . على أن هذه الكتب لم تكن معروفة عند العرب في بادئ الأمر ، وإنما وصلت إليهم عن طريق اليهود والمسيحيين الذين كان يحتفظ بها أنبياءهم من زمن بعيد . ومن بين هذه الكتب ما كان يعزوه مؤلفه إلى بعض الأنبياء لتحوز شيئاً من ثقة الناس بها ، كما كان منها ما يحتوى على طائفة من الألغاز والأحاجي وما إلى ذلك من الكتب التي لم تكن إلا رموزاً غامضة وإشارات مبهمه .

(١) الطبرى ٣ : ١٦٤

(٢) شرحه ٢ : ١٩٣٤

(٣) كان عالماً بخبر ما يكون . ابن قتيبة — كتاب المعارف ص ١٨٤

(Wiiselenfeld , Regeister geneal. Tabel)

(٤) الطبرى ١ : ٢٤٠٣ و (٥) ٢٤١٠ (٢ وما يليه)

(٥) شرحه ٢ : ٢٨٧

(٦) شرحه ٢ : ٧٨٦

وقد وصلت تلك التكهّنات إلى العرب على أيدي القسيسين والرهبان والقبط واليهود وغيرهم ممن أخذوا على عاتقهم إذاعتها بين المسلمين .

وقد بنى الحجاج بن يوسف مدينة واسط على شاطئ نهر دجلة ، بعد أن ظل مدة طويلة يتخير مكاناً ملائماً لبنائها ، حين رأى راهباً قد أخذ بيده بعض التراب وألقى به إلى النهر في ذلك المكان . وقد قرأ ذلك الراهب في كتبه أنه سيقام في ذلك المكان الذي تبول فيه دابته مسجد يعبد فيه الله . وتقام الشعائر حتى تقوم الساعة ^(١) . ونجد في هذه الكتب وما شاكلها أوصاف الأشخاص دون أسمائها أو أسماء الأشخاص دون أوصافها ^(٢) . وطالما رجع الخلفاء إلى تلك الكتب ليقفوا منها على مدة خلافتهم . من ذلك ما أخبر أحد اليهود يزيد بن عبد الملك أنه سيظل في الخلافة أربعين سنة ، فقال رجل من اليهود : « كذب لعنه الله ! إنما رأى أنه يملك أربعين قصبة ، والقصبة شهر فجعل الشهر سنة ^(٣) » .

وتسمى هذه المؤلفات بالكتب أو الكتب القديمة ^(٤) . وهناك كتاب قديم يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري ، وهو كتاب دانيال ، ويشتمل على بعض التنبؤات ذكر فيها عمر باسم الدردوق الأشج ^(٥) . وقد ذاعت كتب دانيال أو التنبؤات الدانيالية (إذا صح هذا التعبير) بعد ذلك كثرة عظيمة . ومن هذه الكتب نسخ عديدة بمكتبة المتحف البريطاني ومكتبات فينا وجوته (Gotha) والأسكوريال Escorial . على أنه ليس من بين تلك الكتب ما يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري .

(١) الطبرى ٢ : ١١٢٦

(٢) شرحه ٢ : ١١٣٨

(٣) شرحه ٢ : ١٤٦٤

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٤٧ . الطبرى ٣ : ٢٥

(٥) ابن قتيبة ص ١٨٤ . دردوق كلمة من أصل أرمني .

وقد سارت كتب دانيال في الديوع والانتشار بين الناس جنباً لجنب مع كتب الجفر التي اشتق اسمها من كتاب للنبؤات كُتب على جلد بعير (جفر) . ويعزى ذلك الكتاب إلى آل البيت وبخاصة إلى علي ثم إلى حفيده جعفر بن محمد الصادق (١) .

وأما كتب الملاحم ، وهي أشعار تتضمن بعض التنبؤات عن الحوادث المستقبلية ، فيرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجري . وقد اضطرب الأمر في خراسان اضطراباً شديداً بعد وفاة زيد بن علي (في خلافة هشام بن عبد الملك) . « ولما قتل زيد تحركت الشيعة بخراسان ... وظهر الدعاة ورؤيت المنامات وتدورست كتب الملاحم » (٢) . وكلمة ملحمة معناها في الأصل معركة أو موقعة (٣) (وبالعبرية ملحمة) . وقد لاحظت في بعض العبارات التي وقفت عليها أنها تستعمل كناية عن حادثة خطيرة لا مناص من وقوعها، (٤) كما شاع استعمالها أيضاً في الحوادث المستقبلية ثم في العقائد التي يُتنبأ فيها عن خبر ما سيكون . وكانت الطريقة الأكثر شيوعاً في كتب الملاحم هي الرمز للأشخاص بحرف واحد . من ذلك « ق » سيقتل « م » بمعاونة « ج » ، ثم يأتي « ش » فينتصر انتصاراً حاسماً وهكذا . وفي عهد آخر الخلفاء الأمويين (مروان بن محمد) كانت تجري على الألسن تلك النبوءة : « ع » بن « ع » بن « ع » بن « ع » .

(١) مقدمة ابن خلدون . ترجمة De Slane ص ٢١٤ وما يليها .

ومما نشك فيه كثيراً إطلاق اسم الحيوان على اسم جلد ، ولا يبعد أن تكون كلمة (جفر) من أصل أجنبي (قبطي أو يوناني) . ويغلب على الظن أنها من أصل يوناني .

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ٣٩٢

(٣) الطبري ١ : ٢٦٥١ (٤) ٣٦ : ٢١٣٢

(٤) ملحمة كتبت على . الطبري ٢ : ٦٠٧ (٨) ، وابن هشام (طبعة

وستنفلد) ص ٨١٦ (١٥) ، واليعقوبي ج ٢ ص ٢١٥ ، 561 Fragn. hist. arab.

« ع » سيقتل « م » بن « م » بن « م » . وقد أول الناس هذا باسم الخليفة الأموي مروان بن محمد بن مروان وعبد الله بن علي بن عبد الله العباسي^(١) .

— ٢ —

التنبؤ بمصير العالم

لم يبق أمامنا — بعد أن عرضنا في الفصل المتقدم لتلك التنبؤات المتعلقة بأشخاص أو حوادث معينة — إلا أن نتكلم عن طائفة أخرى من التنبؤات لم تكن أقل أثراً من سابقتها ، وهي التنبؤ بمصير العالم ونهايته . ترجع هذه التنبؤات إلى أصل يهودي أو مسيحي ، إلا أنها لم تلبث أن صبغت بالصبغة العربية في القرن الأول الهجري . وقد شاع هذا النوع من التنبؤ في الأمة الإسلامية عن طريق كتب التنبؤات أو عن طريق الأحاديث التي وضعها اليهود والمسيحيون أو التي لا يخلو إسنادها من بعض اليهود أو المسيحيين ممن دخلوا الاسلام . وترجع شهرة كل من وهب بن منبه وتميم الداري وكعب الأحمار وتخليد التاريخ لأسماهم إلى هذا النوع من الرجم بالغيب . وقد روى لنا المقرئ إحدى الملح عن كعب ، نستطيع أن نتبين منها المصادر التي كانوا يستمدون منها هذه المعلومات ، كما تبين لنا أيضاً احتقار بعض الناس لهذا النوع من التكهن وسخريتهم به . فقد سافر كعب مع محمد بن أبي حذيفة X في سفينة واحدة ، فسأله ابن أبي حذيفة ساخراً « هل هذا السفر مذكور عندكم في التوراة ؟ » : ولكن كعباً لم يعي جواباً عن هذا السؤال وأجاب : « إني أجد عندنا في التوراة أن شاباً أشعر

(١) De Sacy, Chrestomathie arabe (2 me éd.) tome II. p. 298
suiv. , Journ. asiat. , 1860, p. 134 , Dozy, Supplément, s.v.

الطبري ٢ : ١٩٠٣ ، ٣ : ٢٥ ، المسعودي ج ٦ ص ١٠٨ .

X في الأصل محمد بن حذيفة . والصحيح محمد بن أبي حذيفة — المترجمان »

يضرب حتى يموت كما يموت الحمار ، وأخاف أن لا يكون أنت » (١) .
وتنبؤ القرآن بمصير العالم مشهور ؛ وأظهر ما يكون هذا في تنبؤ
بقرب الساعة (يوم الحساب) . وقد عرف هذا النوع من التنبؤ عند
المسيحيين قبل ظهور الاسلام . على أنه لم يرد في القرآن شيء عن رجعة
المسيح أو ظهور المهدي وكذا المسيح (الدجال) ولا عن تلك الاضطرابات
والفتن التي تسبق قيام الساعة ، وإنما ورد هذا في كتب السنة ؛ ثم لم يلبث
هذا النوع من التنبؤ والرجم بالغيب x ان أصبح جزءاً من العقائد
الاسلامية ولا سيما في عهد بني أمية . ولم تقف هذه التنبؤات عند هذا
الحد ؛ فقد شغلت الأذهان بقدر ما شغل التنبؤ بقيام الساعة أفكار الصحابة
في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويطلق العرب كلمة الهرج على تلك الفتن التي يطلق عليها اللاهوت الرباني .
كلمة مَشِيخْ (Kheblé-ham-Machiakh) . وتدل هذه الكلمة عادة على
الضجة والاضطراب . وقد وردت في السنة بمعنى القتل ، وهو نفس المعنى
الذي يدل عليه ذلك اللفظ في اللغة العبرية « هرج » (hereg) . فاذا جاء
(١) أنظر لفظ محمد بن أبي حذيفة في كتاب المقفى الكبير للمقرئ
(مخطوط ليدن) .

لم نستطع الرجوع إلى الأصل ؛ ولذلك لم نجد بدا من ترجمة هذه العبارة
عن النص الفرنسي .

x لم يكن ما جاء به القرآن الكريم في هذا من قبيل التكهن أو الرجم
بالغيب كما ذهب إليه « فان فلوتن » ، وإنما هو قول كتاب كريم لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه نزل به الروح الامين (جبريل عليه السلام) على
قلب النبي صلى الله عليه وسلم . قال تعالى (إنه لقول رسول كريم . وما هو
بقول شاعر قليل ماتؤمنون ، ولا بقول كاهن قليل ماتذكرون . تنزيل من
رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا
منه الوتين) . سورة الحاقة اية ٤٠ — ٤٦ . — المترجمان

لفظ الهرج في حديث من الأحاديث فعناه القتل كما هو عند الأثويين (أو الحبش^(١)) . ومن البديهي أن كلمة هرج مأخوذة عن العبرية دون الأثوية ، إذ ليس في الأثوية هذا المصدر « ه . ر . ج » .

ويمكننا أن نقف على مقدار ما كان للتنبؤ بالهرج من الأثر من قول الزبير (حين أبي أهل البصرة أن ينضموا إليه ضد علي بن أبي طالب) : « إن هذه للفتنة التي كنا نحدث عنها »^(٢) : على أن هناك من الأدلة ما هو أوضح مما تقدم . فمن بين الأحاديث التي رواها البخاري وأبو داود وغيرها من المحدثين في كتاب الفتن حديث نوه فيه الرسول بأولئك الذين سيلتزمون الحيدة في تلك الحروب الداخلية التي سوف تضطرم نارها . من ذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٣) : « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . من تشرف لها تستشرفه . فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذبه . وهاك حديثاً آخر من هذا النوع^(٤) : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف X الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » .

وقد ورد هذا الحديث بروايات مختلفة في كتاب الطبقات لابن سعد^(٥) . من ذلك قوله : « قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة ، فهرب منه وجوه

(١) صحيح البخاري (طبعة مصر سنة ١٣٠٤ هـ) ج ٤ ص ١٥٩ .

(٢) ابن الاثير ج ٣ ص ١٧٨ .

(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٦٠ .

(٤) أبو داود (طبعة مصر سنة ١٢٨٠ هـ) ج ٢ ص ١٣٣ (س ٢٣) ،

والبخاري ج ٤ ص ١٦١ ، ج ٢ ص ١٩٩ .

X جمع شعفة وهي قمة الجبل .

(٥) كتاب الطبقات . مخطوطات جوتة (Gotha) رقم ١٩٤٨ ورقة ١٠٨

وما يليها . وقد ذكرت النص في الذيل الخامس .

أهل الكوفة . فقدموا علينا البصرة وفيهم موسى بن طلحة بن عبيد الله (أحد أصحاب الرسول) . وكان الناس يرونه في زمانه هو المهدي . قال (خالد ابن سمير) فعشيتهم ناس من الناس وغشيتهم فيمن غشيه ، فاذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام طويل الحزن والكآبة ، إلى أن قال يوماً : « والله لأن أكون أعلم أنها فتنة لها انقضاء أحب إلى من أن يكون لي كذا وكذا وأعظم الخطر . فقال رجل من القوم : يا أبا محمد ! ما الذي ترهب وأشد أن تكون فتنة ؟ قال : أرهب الهرج . قال : وما الهرج ؟ قال الذي كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّثون ، القتل بين يدي الساعة لا يستقر الناس على إمام حتى تقوم الساعة عليهم . وهو كذلك وأيم الله لئن كان هذا لوددت أني على رأس جبل لا أسمع لكم صوتاً ولا أرى لكم داعياً حتى يأتيني داعي أبي .
أما المسيح الدجال Antichrist الذي يسميه العرب الدجال (أنظر البخاري ج ٤ ص ٧٦) فهو من أصل آرامي .

(daggolai mechikhé Hexapl. Dan. X1v, 20 mechikhé daggolé Mat. XX1v. 24)

ولم ينص القرآن على ذلك الدجال ولم يعينه . إلا أنه قد ورد في السنة اسم لرجل يهودي من أهل المدينة ، هو صاف بن ضائد أو ابن الصياد ، صرح النبي بأنه هو الدجال . ومن ثم نبذه المسلمون ، فلم يكلمه ولم يخالطه أحد^(١) . وقد سمي المتوكل الليثي^(٢) أحد الشعراء المعاصرين المختار بالدجال

(١) Sprenger, Das Leben und die Lehre des Muhammad , III . 92, n.31.

تاج العروس ج ٢ ص ٤٠٢ ، أبو داود ج ٢ ص ١٤٠ ، الترمذي ج ٢ ص ٩٣ وما يليها ، صحيح مسلم (طبعة القاهرة سنة ١٢٩٠ هـ) ج ٢ ص ٣٧٧ وما يليها ، صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٥٦٥ ، ٢٥٦٦ ، الاغانى ج ١٩ ص ٢٥ . ويثمين مما ذكره الطبري (١ : ٢٥٦٥ - ٢٥٦٦) وصاحب الاغانى (ج ١٩ ص ٢٥) أنه كان شيخاً تاريخياً .

(٢) الطبري ٢ : ٦٨٦ ، أبو داود ج ٢ ص ١٤٠ .

في إحدى قصائده، وأخبر أحد اليهود من أهالي سورية عمر بن الخطاب بأن الدجال سيخرج من قبيلة بنيامين وأن العرب سيقبّلونه على باب الدّ (١). ولما وصل المسلمون إلى مدينة نهاوند صاح الرهبان والقسس على الأسوار: «يامعشر العرب ! لاتعدّوا فانه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال». وقد دخل العرب المدينة بمعارضة صاف بن ضائد الذي كان يقاتل في صفوف المسلمين وكانوا يسمونه الدجال (٢). ولما اختفى صاف في موقعة الحرة (٦٣ هـ)، ذلك الاختفاء الذي لا يزال الناس يعتبرونه سرّاً غامضاً، تلمس العرب خلفاً له. ولما كان الدجال أعور العين اليمنى، كان لا عور من هذا النوع حظ كبير في ذلك المضمار (٣). وكان ابراهيم بن عبد الله بن مطيع أعور العين اليمنى. وقد أراد يوماً أن يمزح في حضرة هشام بن عبد الملك مع أمير الكوفة، فقال هذا: «مولاي ! لولا ما أخاف من غضبه عليك وعلى وعلى المسلمين لأجبتة. قال: وما تخاف من غضبه؟ قال: بلغني أن الدجال يخرج من غضبة يغضبها» (٤).

ولما كان ما ذكرته كافياً للتدليل على انتشار تلك العقيدة، لم أرد أن أثقل على القارئ بذكر جميع القصص والملح التي كانت شائعة عن الدجال في القرن الأول الهجري. على أنني لا أجِدُ بداً من أن أضيف تلك النبوءة إلى ما تقدم. فقد قابل محمد بن اسحاق (١٥١ هـ) أنس بن مالك وعليه عمامة سوداء، ومن ورائه جمع من الصبية يصيحون: «هذا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يلتقي الدجال» (٥).

(١) الطبري ١: ٢٤٠٣.

(٢) الطبري ١: ٢٥٦٥.

(٣) الأغاني ج ٨ ص ٣٥، زهر الآداب (بهاش العقد) ج ١ ص ٣٢٠.

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٩. أنظر صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٧٤ وما يليها.

(٥) ابن خلكان (طبعة وستنفلد) رقم ٦٢٣ ص ٨.

رجعة عيسى بن مريم وظهور الدجال

من المحتمل جداً أن النبوءة برجعة عيسى بن مريم قد شاعت وانتشرت بين المسلمين في نفس الوقت الذي انتشر فيه التنبؤ بظهور الدجال (١) ، ولو أن هذا لم يرد إلا في السنة النبوية فحسب. ولو جاز لنا أن نعتمد على القصص والملح التاريخية في التدليل على صحة هذه النظرية لاستطعنا أن نحكم بأن نفوس المسلمين في الصدر الأول للإسلام كانت أقل اعتقاداً برجعة المسيح منها بظهور الدجال .

ولئن صح هذا الاستنتاج كان ذلك راجعاً إلى ما امتازت به العقلية العربية التي استطاعت أن تصف من كان يطلق عليهم اسم « المسيح » بصفة المسيح المخلص وأن تسند اليهم ما يقوم به المسيح نفسه (من الهداية) . وإلى القارى تلك العبارة التي وجهها رسول من قبل أمير خراسان إلى زعيم اليمانيين من العرب : « أيها الأعور ! لعلك أنت ذلك الأعور الذي ستهلك على يديه مضر » . من هذا يتبين لنا أن الأمر كان يتعلق بنبوءة تؤول إلى هلاك قبيلة مضر على يد رجل أعور ، تلك النبوءة التي ليست إلا انصباً لقصة الدجال بالصبغة العربية ثم تطبيقها تطبيقاً دقيقاً على الشؤون السياسية العربية في ذلك الحين . لهذا كانوا يمثلون الدجال برجل أعور .

كذلك كان الحال فيما يختص برجعة المسيح عيسى بن مريم . فقد تنبأ الناس بأن « السفيناني » هو المسيح ، ذلك المخلص الذي كان ينتظره أشباع بني أُمّية وأنصارهم . وليس بعيداً أن يكون خالد بن يزيد بن معاوية قد ابتدع

(١) أبو داود ج ٢ ص ١٣٨ وما يليها ، الترمذي ج ٢ ص ٣٦ .

نبوءة السفيناني هذه ، على ما جاء في كتاب الأغاني (١) ، ليحفظ التوازن بين بطون البيت الأموي ، وليلين من شكيمة الأسرة الحاكمة ، أسرة بني مروان (من سلالة حرب ابن عم أبي سفيان) . وقد ظهر أحد أولاد سفيان من سلالة خالد هذا (وزعم أنه السفيناني المنتظر) وانضم اليه كثير من الأنصار والأشياع في آخر خلافة بني أمية . وقد وقفنا على تلك المحاولات العقيمة التي قام بها كثير من « بني سفيان » (٢) من حين إلى حين .

أما اليمانيون فقد عقدوا كل آمالهم على القحطاني (المنتظر) ، وهو أحد الأمراء من سلالة قحطان (٣) . وذكر المسعودي أن عبد الرحمن بن الأشعث ادعى أنه ذلك القحطاني المنتظر (٤) . وقد أطلقت بنت ستم في إحدى قصائدها على الأشعث هذا اسم « المنصور عبد الرحمن » (٥) . وهكذا كان المنصور هو المسيح المنتظر الذي كان ينتظره عرب الجنوب ليعيد الملك فيهم (٦) .

(١) ج ١ ص ٨٨

(٢) أبو الحسن ج ١ ص ٢٤٦ ، الطبري ٣ : ٥٣ (س ١٤) ، ٨٣٠ ،

Freytag Historiae Selecta , Snouck Hurgronje, II. p. 11
Holebi, p. 12 suiv.

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٦٧ (شرح)

(٤) كتاب التنبية والاشراف للمسعودي (طبعة دي غوية) ص ٣١٤ .
« خلع عبد الملك باصطخر فارس ، وخلعه الناس جميعا ، وسمى بنفسه ناصر المؤمنين . وذكر أنه القحطاني الذي ينتظره اليمانية ، وأنه يعيد الملك فيها . فقبل انما القحطاني على ثلاثة أحرف . فقال اسمي عبد ، وأما الرحمان (كذا) فليس من اسمي » .

(٥) كتاب الانساب للبلاذري (طبعة Ahlwardt) ص ٣٣٤ .

(٦) D.H. Müller, Die Burgen und Schlösser Süd-Arabiens , I p. 75 suiv.

وقد ألف المؤرخ أبو مخنف كتابا في السنة عنوانه يا حيرا أو موت عبد الرحمن ابن الأشعث به الكثير من المعلومات عن هذا الموضوع (كتاب الفهرست طبعة Flügel ص ٩٣ .

وبينما كان اليمانيون ينتظرون القحطاني كان المضريون يعتقدون بالتميمي الذي لم تقف إلا على اسمه فقط وينتظرون ظهوره . وهناك أيضاً بعض النبوءات بكلي منتظر ، وهو زعيم يزعمون أنه سيخرج من بني كلب إحدى القبائل اليمانية .

وأما المسيح (المخلص) عند الشيعة فهو معروف مشهور . وكان يلقب بالمهدي ، ذلك اللقب الذي كان في بادئ الأمر أحد ألقاب الشرف ، فلم يلبث أن أصبح رمزاً لذلك المنقذ المنتظر من آل البيت « الذي سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » .

ومن الجلي أن الاعتقاد بظهور المهدي وانتظاره لم يقتصر بادئ الأمر على آل البيت وحدهم ، بل بدأ ذلك الاعتقاد يذاع وينتشر بين المسلمين على حسب ازدياد نفوذ الشيعة وانتشاره (١) .

وقد انتشرت فكرة المهدي المنتظر لدى أهل السنة حتى بحث ذكر غيره من المهديين ممن كان يتنبأ بهم مثل السفينائي والقحطاني وغيرها . ولا شك أن التنبؤ بهؤلاء وانتظارهم لم يتلاش تماماً من نفوس المسلمين ، وإنما صار هؤلاء بالنسبة إلى المهدي المنتظر كالرجال بالنسبة إلى عيسى بن مريم . لذلك كان من المعقول أن يظهر عليهم ذلك المهدي ويهزمهم هزيمة حاسمة وينتصر عليهم انتصاراً مبيناً .

عقيدة المهدي وأثرها في سقوط الدولة الاموية

كان البون شاسعاً بين تلك السعادة التي كان ينشدها الناس على يد المهدي

(١) ذكر بعض المؤرخين أن الناس كانوا يلقبون كلا من موسى بن طلحة وعمر بن عبد العزيز بالمهدي . أنظر الذيل الخامس .

المنتظر وتلك الآلام التي كانوا يعانونها في ذلك الحين حيث الحروب الأهلية التي أذكى ناراها انقسام خلفاء بني أمية على أنفسهم ، والتي كانت تلهب ناراها تلك الأحن والأحقاد القديمة بين مضر وقحطان ؛ تلك الحروب التي خربت بلاد الشام حيث اندلع لهيبها أول الأمر ، ثم تطاير شظاياها إلى غيرها من الولايات الإسلامية .

وقد ساد الاضطراب في كل أنحاء الدولة الأموية واستولى على العرب ثانية الميل إلى الحرب والكفاح ، فرفع الشيعة والخوارج رءوسهم . وظلت الحاميات السورية وحدها على ولائها للعرش الأموي ، على حين أن كان المرابطون من الجنود الغربية يشايعون أعداء الحكومة ، حتى كادت تلك الفتن تأتي على ذلك التراث الذي خلفه النبي (صلى الله عليه وسلم) وتودي بذلك الإصلاح الذي قام به كل من أبي بكر وعمر . وهكذا كان ذلك العصر عصراً محزناً ملاً قلوب التقاة من المسلمين تشاؤماً بالمستقبل . وقد وصف لنا هذه الحالة السيئة الجارث بن عبد الله الجعدي الشاعر في هذه الأبيات :

أبيتُ أرى النجوم مرتفقاً^(١) إذا استقلت تجرى أوائلها
من فتنة أصبحت مجللة^(٢) قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن بالشام كل شجاء^(٣) شاغلها
فالناس منهم في لون مظلمة دهاء ملتجة^(٤) غياطلها^(٥)
يمسى السفية الذي يعنف بال جهل سواء فيها وعاقلها

(١) المرتفق الواقف الثابت . والمراد منها السهر .

(٢) مجللة : شاملة . وما بعدها يفسرها .

(٣) شجاء : حزنه وطربه .

(٤) ، (٥) . الملتجة من العيون الشديدة السواد . والغيطلة (بفتح الغين والطاء) الظلمة المتراكمة .

والناس في كربة يكاد لها تنبذ أولادها حواملها
 يغدون منها في كل مبهمة عمياء تمنى (١) لهم غوائلها
 لا ينظر الناس في عواقبها إلا التي لا يبين قائلها
 كغوة البكر (٢) أو كصيحة جُد لي طرقت حولها قوايلها
 فجاء فينا أزرى (٣) بوجهتها فيها خطوب حمر زلازلها (٤)
 كذلك تصف لنا هذه الأبيات التي نظمها عباس بن الوليد خرج الدولة
 الأموية وما وصل إليه الخلفاء الأمويون من يأس وقنوط :
 إني أعيدكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
 إن البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
 لا تلحمن (٥) ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا
 لا تبقرن بأيديكم بطونكم فتم لاحسرة تغنى ولا يجزع (٦)
 وهكذا نرى إلى أي حد تطور الرأي العام نحو الأمويين . ولقد صدق
 أبو العباس حين قال لبني أمية : « إن البرية قد ملت سياستكم » .
 ولا غرو فقد بدأ عامة الناس يدركون أنه ليس ثمة صلاح من وراء
 ذلك النظام الفاسد الذي سببه الخلفاء الأمويون ، وأن بقاء ذلك النظام
 لا معنى له سوى ضياع الإسلام .

هل كان الناس يعتقدون إزاء تلك الحالة السيئة بقرب ظهور المهدي
 (المخلص) ؟ كل ذلك ممكن ؛ بل من المحتمل جداً أن هذا الأمل كان العزاء

(١) تمنى بمعنى تقدر .

(٢) البكر ولد الناقة .

(٣) بمعنى عاب

(٤) الطبري ٢ : ١٨٥٧

(٥) لا تطعموا

(٦) شرحه ٢ : ١٧٨٨

الوحيد للتقاة من المسلمين (أهل السنة) . ومع ذلك فلا ندهش إذا رأينا نبوءة أخرى تشغل الأذهان في ذلك الحين ، فقد كان لزاماً هدم تلك الأطلال البالية لكي يقوم صرح السعادة على أساس متين . لذلك كان من الضروري ظهور رجل يهدم كل قديم ويأتي عليه ليعبد السبيل لذلك المهدي المنتظر . وهكذا ظهرت بجانب تلك النبوءات القديمة نبوءة أخرى هي نبوءة الرجل ذي الأعلام السود الذي يخرج من المشرق ويزيل عرش بني أمية (أنظر الكامل للمبرد ص ٥٨٥ والطبري ٢ : ١٩٢٩ وما يليها) .

وقد يتساءل الإنسان عن سبب وجود هذه الأعلام السوداء . وقد كان البياض شعار الأمويين إلى ذلك الحين ، فاتخذ العباسيون السواد شعاراً لهم حداً على الشهداء من آل البيت الذين ذهبوا ضحية استبداد الحكومة الأموية وقسوتها ^(١) . على أنه لا يبعد أن يكون الأمويون قد اتخذوا البياض شعاراً لهم بعد أن قامت الدولة العباسية ، وبعد أن اتخذ الخلفاء العباسيون السواد شعاراً لهم ^(٢) . وأما أن السواد كان شعاراً للحزن

(١) أنظر ما كتبه : Hamaker , Réflexions critiques pour servir de réponse aux éclaircissements de M. de Hammer, Leide , 1829, p. 8 suiv, De Sacy , Chrestomathie arabe, 2 é ed. I. 48 Suiv. II. 261 suiv. , Weil , Geschichte der Khalifen, II. 216, n 3 , Opkomst der Abbasiden, p. 137 suiv. للوقوف على هذه الألوان التي اتخذت شعاراً لأسباب سياسية

(٢) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٤٤ (النسخة العربية) ٥١ (الترجمة) . وقد اقتبس مسيو فون كريم عبارة عن الأغاني (ج ٦ ص ١٤١) مؤداها أن الخليفة الوليد كان يصلي في « ثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة » وأن الأمويين كان شعارهم البياض . وبالرغم من أن البياض هو رمز النظافة — على ما يظهر — فلدينا من النصوص التاريخية ما يدل على أن الأمويين لم يقتصروا على الثياب البيض . فقد كانت العمامة السوداء شعارهم الرسمي .

والحداد فقد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة إلى الملابس السوداء (الملابس الرسمية في عهد العباسيين) ، لا سيما وأن الروايات التاريخية تؤيد ذلك (١). أما الألوية السود فلم تكن يوماً ما إشارة للحداد . فقد اتخذ الحارث بن سريج اللواء الأسود شعاراً له حين ثار على بني أمية سنة ١١٦ هـ ، وكذا بهلول الخارجي سنة ١١٩ هـ ، ثم أبو حمزة الخارجي أيضاً سنة ١٢٨ هـ (٢) . على أن أحداً من هؤلاء لم يكن في حداد على أحد من آل البيت . ونستطيع أن نتبين السر الحقيقي في اتخاذ اللواء الأسود من قصيدة الكميت الشاعر التي وجهها إلى الحارث بن سريج في سنة ١١٧ هـ ، والتي نكتفي منها بهذا البيت :
وإلا فادفعوا الرايات سوداً على أهل الضلالة والتعدي

(الطبري ٢ : ١٥٧٤) X

ومن هنا يتبين لنا أن هناك علاقة بين الألوية السود ومحاربة الضلالة (والمراد بها هنا الضلالة على حسب ما في القرآن) . والعدوان (والمراد به الخروج على القانون الإلهي) . وهذا يبين لنا معنى هذه المسألة التي أشار إليها هامكر (Hamaker) وهي أن الألوية المذكورة تمثل لواء الرسول الذي كان يحمله في حروبه مع الكفار ذلك اللواء الذي اتفقت جميع المصادر التي اعتمدنا عليها أنه كان أسود (٣) .

الطبري ٢ : ٢٥٨ (س ١٦) العقد الفريد ج ١ ص ٤٢ ، الأغاني ج ١٩ ص ٦٠ ،
الطبري ١ : ٢١٤٨ .

(١) دي ساسي . ج ١ ص ٥١ نقلًا عن الدينوري (طبعة Girgass)
ص ٣٤٠ ، الطبري ٢ : ١٩٧٢ ، ٣ : ٥٠٦ ، الأنساب للبلاذري Z. d. D.
M. G. XXXVIII , 394

(٢) الطبري ٢ : ١٥٧٠ و ١٦٢٤ و ١٩٨١ ، ابن الأثير ج ٥ ص ٢٨٥

X الصحيح ٢ : ١٥٧٥ — المترجمان

(٣) Mouradja d' Ohsson, Tableau de l' Empire ottoman, I. 260 suiv.
كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١١٩ ، وفتوح البلدان للبلاذري

ولهذا كان الخوارج ينشرون الألوية السود في حروبهم مع الأمويين كما كان يفعل ابن سريج ، فقد كانوا جميعاً يحاربون الضلالة والجور قبل كل شيء . وكان هذا اللواء الأسود يذكرهم بعهد الرسول ، ذلك العهد الذي كانوا يعتبرونه المثل الأعلى للكمال .

ومن ثم كان لزاماً على من يبشر بالمهدي الامام الحق ، أو بعبرة أدق الامام الذي يزول على يديه سلطان بني أمية ، أن يتخذ تلك الألوية السود شعاراً له . وفي سنة ١٢٨ هـ ادعى الحارث بن سريج أنه ذلك المهدي المنتظر (١) . على أن دعوته هذه لم تضاد شيئاً من النجاح . فقد ظلت الحكومة ، أو بالأحرى العرب اليمانية ، صاحبة النصر والظفر . بيد أن ذلك الأمل الذي كان الحارث أول من بعثه في النفوس لم يخب بعد ، كما كان العامل الوحيد الذي جذب إلى الدعوة العباسية جميع هؤلاء الذين كانوا يشاطرون الحارث ميوله وآراءه السياسية . وليس بعيداً أن يكون الحارث بن سريج قد اعتمد في دعوته هذه على هذا الحديث المشهور الذي رواه أبو داود « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حرّاث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطى أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وجب على كل نصره » . ولم يلبث هذا الحديث أن أصبح نبوءة من تلك النبوءات التي وردت في كتب التكهن (٢) .

ص ١١٢ ، اليعقوبي (طبعة Houtsma) ج ٢ ص ١٥١ ، الدينوري (طبعة Giegan) ص ١٨٦ وكتاب الوفا (Cod . Leide) ورقة ١٤٤ وما يليها . هذا هو اللواء الاسود الذي كان يحمله هذين (Hothain) لعلي بن أبي طالب في موقعة صفين . الكامل للمبرد ص ٤٣٦ ، والعقد الفريد ج ٣ ص ١٢٣ ، ٢٨٧ .

(١) الطبري ٢ : ١٩١٩

(٢) كتاب السنن لأبي داود ج ٢ ص ١٣٥ ومقدمة ابن خلدون . الجزء

الثاني . ترجمة ص ١٦٧ ، الدر المنظم (Cod . Leide, 1252) ورقة ١٣٢ .

قيام الدولة العباسية

وفي الخامس عشر من شهر رمضان سنة ١٢٩هـ نشر أبو مسلم الخراساني ، الذي تولى أمر الدعوة العباسية بعد سليمان بن كثير ، اللواء الأسود على ربوع سفيدنج ، وهي قرية صغيرة من ضواحي مرو . وقد كتب على هذا اللواء تلك الآية من القرآن (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) — سورة الحج آية ٣٩ .

وقد ضم أبو مسلم إلى لقبه « صاحب الألوية السوداء » أمراً آخر ليس بأقل أهمية من ذلك ، وهو شرف الانتساب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

ولم تكن الحال في خراسان لتساعد على انتشار الثورة بمثل تلك السرعة . نعم ! كان الموالي من سكان القرى يفقدون من كل جانب وراء الدعاة العباسيين ، كما نار المسوودة في جميع أنحاء بلاد خراسان : في نسا وبلخ وهراة ومرو وروذ ، وفي الجملة في كل ناحية قامت فيها الدعوة لبني العباس . ولكن بعد الشقة بين هذه النواحي قد حال دون توحيد وجهة التأثير . على أن هناك سبباً آخر ، وهو أن العرب — حتى من خرج منهم على الحكومة الأموية وشق عصا طاعتها — قد أبوا أن يشتركوا أول الأمر مع أولئك الموالي ممن لا نسب لهم . ولا غرو فقد كانوا يعتبرونهم أعداء ألداء للإسلام ، كما كان يقول عنهم نصر بن سيار إنهم أموات في نظر العرب احتقاراً وسخرية بهم . وترجع قوة المسوودة إلى حماسهم الشديد وإخلاصهم للدعوة لآل البيت إذ كانوا يعتبرونها رمز أمانهم السياسية . وكان صفوة جند أبي مسلم من الكفئية أو أهل الكف ، وهم الذين كانوا يأخذون أرزاقهم من القمح

بالكفة (الحفنة) . وهناك تفسير آخر لكلمة الكفة ؛ ذلك أنهم بايعوا على أن لا يأخذوا مالا وأن تؤخذ أموالهم إن احتيج إليها يبتغون الجنة مقابل هذا الكف (١) (ويبدولى هذا التفسير الأخير خيراً من التفسير الأول) . كذلك أقسموا أن لا يطلبوا فدية أو رهينة بدون إذن من رؤسائهم . وقد ذهبوا في طاعة رؤسائهم إلى أبعد من ذلك . فكانوا لا يقتلون الأعداء الذين يظفرون بهم في ميدان القتال إلا باذنهم (٢) .

أما العرب فكانت تعوزهم العاطفة الوطنية . وقد حاولوا غير مرة أن يتحدوا ضد هذا العدو المشترك لولا أن حال أبو مسلم بدسائسه دون ذلك . ولاغرو فقد كان كل لا يعنيه سوى مصلحته الخاصة أو بالأحرى مصلحة قبيلته . وأما الإخلاص للعرش الأموي فلم يعن به أحد ، حتى إن اليمانية من أهل مرو — إذا صح لنا أن نأخذ بما ذكره اليعقوبى — قد انضموا إلى الشيعة (٣) واعتنقوا مبادئهم . ولم يبق على ولائه للبيت الأموي في ذلك العصر الممتليء بالأنانية والحياة والغدر إلا نصر بن سيار . وقد ألح بدون جدوى في طلب المدد من الخليفة . ولاغرو فقد كان مروان الثانى فى حاجة شديدة إلى آخر جندى من جنوده . ولذلك رد عليه الخليفة بقوله : « احفظ ناحيتك بمجهدك » ، فدهش نصر وقال : « أأيقاظ أمية أم نيام؟ » X .

(١) وقد ساهم الطبرى (٢ : ١٩٥٧) (٤) ٣ : ٨٤٨ (١٥) الكفلية . والصحيح الكفية . وكذلك كتب المقرئى فى مخطوطه المقتنى الكبير (المكتبة الأهلية بباريس ورقة ١٨٠ ب) عبارة شائقة أتيت على ذكرها فى الذيل السادس .

(٢) الطبرى ٢ : ١٩٨٩

(٣) اليعقوبى (طبعة Houtsma) ج ٢ ص ٣٩٩ (س ١٦ وما يليه) ٤٠٨٤ X ذكر الطبرى (٢ : ١٩٤١ — ١٩٤٩) والمسمودى (مروج الذهب طبعة القاهرة ج ٢ ص ١٤٤) أن قول نصر بن سيار : « أأيقاظ أمية أم نيام »

وقد عرف أبو مسلم ، بما أوتيته من الخندق والمهارة الحربية ، كيف يستفيد من ذلك الانقسام الذي ساد في هذه البلاد . فبذر بذور الشقاق بين جنود بني أمية ، كما استطاع أن يربط بجنده سبعة أشهر بظاهر مدينة مرو ، استمال خلالها البغائيين وضمهم إلى صفوفه . وبذلك تمكن من الاستيلاء على خراسان دون أن يعرض جيشه الصغير للهزيمة . ولم يكد يتم له النفوذ في هذه البلاد حتى عمل على التخلص من شيوخ القبائل الذين كانوا ينازعونه السيادة فقتلهم عن آخرهم .

عندئذ عمت الثورة وانتهت بزوال الدولة الأموية . وإلى القارىء ما ذكره أبو حنيفة الدينورى ، عليه يتبين منه حال الأمة العربية في ذلك الحين (١) قال : « وانجفل الناس على أبي مسلم : من هراة وجوشنج ومرو والروذ والطالقان ومرو ونسا وأبيورد وطوس وسرخس وبلخ والصغانيان وطخارستان وختلان وكش ونسف ، فتوافوا جميعاً مسودى الثياب . وقد سودوا أنصاف الخشب التي كانت معهم وسموها كافر كوبات (٢) . وأقبلوا فرسانا وحمارة يسوقون حميرهم ويزجرونها هراً مروان ، يسمونها لمروان بن محمد . وكانوا زهاء مائة ألف رجل » .

ولن نعرض هنا لوصف تلك الدولة الأموية في ساعات احتضارها ، ولا

كان قبل أن يصل إليه كتاب الخليفة الأموى يأمره فيه بأن يحفظ ناحيته بجهده — المترجمان .

(١) الدينورى ص ٣٦٠

(٢) أنظر الاغانى (ج ٥ ص ١٢٣) في معنى كلمة كافر (incredule) : وقد قال أبو مسلم لمستهل بن الكميت : « أبوك الذى كفر بعد إسلامه » ، فقد استهل الكميت بعض قصائده بالاشادة بذكر الهاشميين ، ثم لم يلبث أن أقاض فى مدح بني أمية . فلكمة كافر كوبات إنما كان يطلقها المسلمون على أنصار بني أمية . أنظر « كافر كوبات » عند الترك فى Biblioth. Yeog. IV. 278

لتلك الانتصارات المتتالية للجيش الخراسانية . وقد ندهش لتلك الهزائم التي أنزلتها تلك الجيوش يأمر القواد الأمويين ، لو لم نعلم أن مقاومة تلك الأمة المحتضرة لم تصدر عن وطنية صادقة أو قوة معنوية صحيحة أثارها اليأس في قلوبهم في ساعتهـم الاخيرة ، ولا عن أية عاطفة قوامها الشعور بوجود نظام ثابت . فضلا عن أن الظفر الذي أحرزته الجيوش العباسية - ذلك الظفر الذي لم يكن إلا قضاء من الله باستئصال شأفة أولئك الأمويين وزوال دولتهم - قد أضعف ما كان لديهم من الاستماتة في الدفاع عن دولتهم (١) .

هذه هي حال بني أمية في ذلك الحين وما كان يستولي على نفوسهم من يأس وقنوط . وأما غيرهم من أهل الولايات الإسلامية الأخرى فكانوا على العكس من ذلك . فقد انبعث في نفوسهم الأمل بانثاق جحر المساواة والعدل ، ولا سيما في تلك الولايات التي كان الولاة والعمال يستغلونها لأنفسهم ، مدفوعين بعوامل الشراهة والجشع مستعنيين في ذلك بما تطرق إلى نظم الإدارة من خلل وفساد . وهكذا فتنت تلك الأمنية الجميلة هؤلاء الدهماء من الفرس الذين لم يعرفوا من الاسلام حتي ذلك الحين سوى دفع الجزية وجباية الضرائب على اختلاف أنواعها . وهكذا « اتقل دين المجوسية عن الدهاقين وأسلموا أيام أبي مسلم » (٢) .

على أن ذلك الأمل كان أشد ما يكون في نفوس الخرمية (وهم المتطرفون من دعاة مذهب توحيد الآراء في الفلسفة) . ولا غرو فقد تعقب الولاة الأمويون أصحاب هذه العقيدة دون أن يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة . ومن ثم كان يعتقد هؤلاء أن لا خلاص لهم إلا بزوال الدولة الأموية . لذلك

Fragmenta Hist. arab. p. 211

(١)

(٢) أنظر ما كتبه فون روزن (Von Rosen) عن أبي طاهر في

Memoires de la Société russe d'archéologie III, l. p. 146-162 (tiré à part p. 10 n. 1)

لأندهش إذا رأيناهم يبادرون إلى الانضمام إلى أبي مسلم والانضمام تحت لواء ذلك الرجل الشديد الذي لا تعرف ملاذ الحياة إلى نفسه سبيلاً . فقد كان الشخص الوحيد الذي صادق عنده هؤلاء البائسون عطفاً على مذهبهم . وكان الكثيرون منهم يعتبرونه وحده الإمام الحق (١) . بل ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا فزعموا أنه « أشيدر بامي » (Ochederbami) أو « أشيدرما » (Ochederma) أحد أعقاب زردشت الذي ينتظر المجوس ظهوره كما ينتظر المسيحون ظهور المهدي (٢) ، حتى إن تلك الطوائف لم تعتقد بموت أبي مسلم بل كانوا ينتظرون رجوعه ليلاً الأرض عدلاً ، على حين أن حول بعض أشياعه الإمامة إلى ابنته فاطمة (٣) . وقد فر رجل يدعى أبا إسحاق التبرك إلى بلاد ما وراء النهر بعد موت أبي مسلم ونصب نفسه داعياً له وزعم أن « مولاه » (أبا مسلم) اختفى بمدينة الري ، ثم زعم أنه نبي أرسله زردشت وأنه لا يزال حياً . ولا يزالون ينتظرون عودته إلى اليوم لينشردن زردشت ويرفع لوائه (٤)

— ٦ —

خاتمة

وبعد عام من فتح مدينة مرو (١٣ ربيع الأول سنة ١٣٢) استهل أبو العباس عبد الله المهدي (٥) أول خلفاء بني العباس خلافته بخطبة ألقاها بجامع الكوفة .

(١) الشهرستاني ص ١١٤ .

(٢) شرحه

(٣) المسعودي (طبعة دي غويو) ج ٦ ص ١٨٦ .

(٤) الفهرست ص ٣٤٤ .

(٥) كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٣٣٨ .

وقد نوه في هذه الخطبة بتلك الآمال التي بعثها في النفوس اعتلاء تلك الأسرة الجديدة عرش الخلافة . وسنبين في الفصل الأخير من هذا الكتاب إلى أي حد تحققت هذه الآمال وصحت تلك الأحلام .

ولا يفوتنا أن نذكر أولاً أن ذلك المثل الأعلى للعدالة والمساواة قد ظل وهماً للأوهام ، حتى إن حاجة الشرقيين اليوم إلى مهدي يملأ الأرض عدلاً لم تكن أقل منها في عهد بني أمية .

ولم يكن جور النظام العباسي وعسفه منذ قيام الدولة العباسية بأقل من النظام الأموي المختل حفزاً للنفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة ذلك النظام الجديد وجوره . وتذكرنا شراة المنصور والرشيد والمأمون وجشعهم وجور أولاد علي بن عيسى وعيبتهم بأموال المسلمين بزمان الحجاج وهشام ويوسف بن عمر الثقفي . ولدينا البراهين الكثيرة على فجاعة الناس في هذا العرش الجديد ومقدار انخداعهم به . من ذلك قول شريك الذي ثار ببخاري في خلافة أبي العباس السفاح (١) : « ما على هذا اتبعنا آل محمد : على أن نسفك الدماء ونعمل بغير الحق » . كذلك الاضطرابات المستمرة في الجزء الشرقي للدولة العباسية (كخروج المقتنع) وثورات الخوارج المتوالية ، وخروج يوسف البرم الذي لم يكن غرضه سوى « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . أضف إلى ذلك خروج رافع بن الليث لسوء سياسة علي بن عيسى . كل ذلك يبين لنا أن ما كان يشكو منه المسلمون من الجور والعسف لم يزل على ما كان عليه في عهد بني أمية الأول . وهكذا لم يكن أبو العطاء الشاعر وحده الذي نعى على ذلك النظام إذ يقول :

يأليت جور بني مروان عاد لنا يأليت عدل بني العباس في النار (٢)

(١) الطبري ٣ : ٧٤

(٢) الأغاني ج ١٦ ص ٨٤

وأما أشياع العلويين الذين كانوا يطعمون في إسناد الخلافة إلى آل علي فقد خابت آمالهم خيبة كبيرة . ولا غرو فإن العلويين لم يلقوا من الاضطهاد مثل ما لقوا في عهد الأولين من خلفاء بني العباس .

وقد قال الحسن بن الحسن بن علي يوما لابن أخيه محمد بن عبد الله بن الحسن : « لم تبكى على بنى أمية وأنت تريد بنى العباس ما تريد ؟ » فقال : « والله يا عم لقد كنا نقيمنا على بنى أمية ما نقيمنا . فما بنو العباس إلا أقل خوفا لله منهم ، وإن الحجة على بنى العباس لا واجب منها عليهم . ولقد كان للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر (المنصور) » (١) .

على أن هذا لن يحملنا على الجور في الحكم على ذلك النظام الجديد . فإن الخلافة العباسية ، وإن كانت تعوزها تلك الصفات التي نعى عليهم محمد ابن عبد الله العلوي حرمانهم منها ، فقد أنجبت الكثيرين من الخلفاء الذين أثاروا إعجاب التاريخ بما فطروا عليه من النظام وحب العلم كالمَنصور والمأمون . وليس هذا كل ما كانت تمتاز به الدولة العباسية . فإن اعتلاء العباسيين عرش الخلافة ، وإن لم يحقق ذلك المثل الأعلى للعدل والمساواة الذي كان ينشده الناس ، فليس معنى هذا أن الحال قد ظلت كما كانت عليه أيام بنى أمية . نعم ! كان لا يزال هناك الشيء الكثير من الظلم والجور . ولكن لم يكن قوامه ذلك التنافر الشديد بين طبقات الأمة المختلفة ، الذي كان عماد النظام الإداري القديم في عهد بنى أمية . فلم نعد نرى طبقة المحاربين ذات الامتيازات الكثيرة في ناحية ، ثم طبقة الزراع المضطهدين في ناحية أخرى . وبذلك أصبح الدين — دون الجنس — المرجع الوحيد في تحديد العلاقات بين الحكومة والرعية ثم بين أفراد الشعب ، بعد أن فقد الاختلاف في الجنس بين طبقات الأمة المختلفة من العرب وغيرهم من الشعوب الحكومية أهميته . وكانت الحكومة لا تدخر وسعا في القضاء على الجيوش

العربية أو إقصائها عن البلاد إذا ما أبت النزول عن امتيازاتها القديمة التي كانت لها في عهد بني أمية . (١) وقد ساعد امتزاج العناصر المتباينة على ظهور نظم جديدة (كما كان الحال في العراق مثلاً) . فقد خلج محل النظام الذي سنده عمرو بن الخطاب ، ذلك النظام الذي يقضى بإعفاء العرب من دفع الجزية باعتبارهم حماة الاسلام ، نظام جديد لا يفرق بين العرب والأعرس في خدمة الحكومة ويفرض للجميع على السواء مرتبات معينة ، على الرغم من بقاء ذلك النظام القديم وعدم الثأته صراحة .

ومنذ ذلك الحين أصبح الحراسانيون من الأيرانيين أو النصف إيرانيين أشد الناس ولاءً لذلك العرش الجديد . كذلك رفع الموالي المضطهدون الذين كانوا السبب في سقوط الدولة الأموية رؤوسهم وأسندت اليهم المناصب الهامة في قصر الخليفة وفي الجيش والمالية ، كما أسندت اليهم إمارات الولايات الإسلامية . حتى حسدهم العرب وقد أصبحوا أقل شأنًا منهم (٢) . أما الحروب التي كانت تستعر نازها بين القبائل والتي كانت إحدى الأدواء المتأصلة في نفوس العرب ، فقد خبت جذوتها منذ ذلك الوقت وأخذت تنكش شيئًا فشيئًا حتى انحصرت في البلاد العربية الأصلية (مثل سورية وشبه جزيرة العرب) . وهكذا لم يصادف اندماج الجنس الحاكم بالأجناس المحكومة في سبيله أية عقبة ، ذلك الاندماج الذي بدأ منذ خلافة بني أمية ولم يحل دون

(١) اليعقوبي كتاب البلدان (طبعة دي غورية) ص ٢٨٥ (س٦ وما يليه)

(٢) الأغاني ج ١٨ ص ١٤٨ ، ج ١٢ ص ١٧٦ . قصيدة هجائية ترجمها

قون كريم Von Kremer في كتابه Streifziige, p. 31 suiv. وقد قرأ

الاستاذ قون كريم لفظ « تبنانين » في البيت الأول خطأ وصحتها تبنانين

(جمع تبنان) اللباس الخاص بالموالي . أنظر الأغاني ج ١٥ ص ٢١ والجواليقي

(طبعة سخاو Sachau) ص ٦٧ .

إتمامه سوى أولئك العرب الخالص لما كانوا يستمتعون به من حقوق
وامتيازات خاصة .

وقد ساعد قيام تلك الحكومة الجديدة على ظهور تلك النهضة الفكرية
التي تناولت جميع العالم الأسلامى ، والتي لم تلبث أن فاضت على الانسانية
كافة دون أن تقتصر على الدولة الإسلامية في الشرق .

تذييل

— ١ —

الشئون المالية في خراسان وإصلاحات نصر بن سيار

(أنظر ص ٢١) (ص ٥٠ من الترجمة)

من الصعب جداً أن يقف المؤرخ على رأى صحيح فيما يتعلق بالضرائب بخراسان في عهد العرب . وقد ذكرنا قبل أن الجزية أو خراج الجزية (وهى الضريبة التى كان يدفعها الكفار) كانت جزءاً من تلك الضريبة التى كان يدفعها أهل خراسان للعرب ليكشفوا عن قتلهم . من ذلك ما فعله مهويه سرزبان مرو . فقد أبرم مع على بن أبى طالب معاهدة تعهد فيها بأن يدفع له الدهاقين والأسوار والدهسلار (ثلاث طبقات من أصحاب الضياع) الجزية (البلاذرى - فتوح البلدان ص ٤٠٨ وما يليها) . كذلك لم يكف العرب عن قتال أهل هراة إلا بعد أن تعهد لهم أميرها بأن يدفع اليهم الجزية « وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلاً بينهم » .

على أنه كان هناك فى عهد نصر بن سيار (٧٢٠ — ٧٣٠ م) خراج آخر غير الجزية وغير ذلك المقدار الذى نص عليه فى معاهدة الصلح . يتبين ذلك من الخطبة التى ألقاها نصر بن سيار يوم الجمعة بالمسجد بعد أن عاد من غزواته بمواحي بلخ وبلاد ماوراء النهر والى تنقلها بنصها عن الطبرى (٢: ١٦٨٨): « ألا إن بهرامسيس كان مانح المجوس يمنحهم ويدفع عنهم ويحمل أثقالهم على المسلمين . ألا إن إشبدة بن جريجور كان مانح النصارى . ألا إن عقيبة اليهودى كان مانح اليهود يفعل ذلك . ألا إني مانح المسلمين أمنحهم وأدفع

عنهم وأحمل أثقالهم على المشركين . ألا إنه لا يقبل منى إلا توفى الخراج على ما كتب ورفع . وقد استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبي الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم . فأيا رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه في خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ذلك الى منصور بن عمر ، يحوله عن المسلم الى المشرك .

ولم يكد يمضى على ذلك أسبوع واحد حتى وفد على نصر بن سيار ثلاثون ألف مسلم ممن كانوا يدفعون الجزية وثمانون ألف رجل من الكفار ممن أعفوا منها ، فضرب نصر الجزية على الكفار وأعفى منها المسلمين . ثم كتب نصر قائمة للخراج وفق هذا النظام الجديد ، « ثم وظف الوظيفة التي جرى عليها الصلح » . وقد بلغ خراج مرو في عهد الأمويين مائة ألف درهم سوى ما كانت تغله عليهم ضريبة الأرض .

ويتضح لنا من تلك العبارة أنه كان بمرو ضريبة عقارية (الخراج) بجانب ضريبة الرءوس (الجزية) ، وهي جزء من تلك الضريبة التي نص عليها في عهد الصلح . ولا غرو فقد فرق نصر (بكلمة أو) بين المسلمين الذين ضربت عليهم الجزية وغيرهم ممن فرض عليهم الخراج .

ويمكن تفسير هذا إذا اعتبرنا أن الجزية (ضريبة الرءوس) التي كان يدفعها الكفار قد تحولت إلى خراج (ضريبة عقارية) على إثر تحول هؤلاء إلى الاسلام . على أن هناك أمراً آخر من الغرابة بمكان ، وهو إعفاء ثمانين ألف من الكفار من الجزية التي كانت الحكومة لا تألو جهداً في جبايتها منهم . ويمكن تعليل هذا بأن الكثيرين من غير المسلمين قد استطاعوا — بمعاونة أشياعهم في الدين — أن يتحولوا عن جزية الرءوس إلى ضريبة أخرى عقارية (خراج) ، هذه الضريبة التي كانت — بلا ريب — أخف احتمالاً من الجزية . على أن هناك فرضاً آخر لتعليل ذلك ، وهو أن الأرض التي تركها بعض الموالي (المسلمون من غير العرب) فراراً من ظلم بني أمية

قد منحت إلى غيرهم ممن آثروا البقاء على أن يدفعوا الخراج عنها .
 ويُفسر لنا اعتناق الكثيرين للإسلام تقصّ خراج مرو الذي بلغ
 ٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم على إثر الفلح الذي أبرمه خاتم بن نعمان (على ما رواه
 البلاذري ص ٤٠٥ والطبري ١ : ٢٨٨٨) أو ١٠٠٠٠٠٠٠ درهم ٣٠٠٠٠٠٠
 جريب من القمح والشعير أو ١٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم ١٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم
 غيرها من المؤرخين) .

الأمويون يمثلون الجماعة الإسلامية

(أنظر ص ٣٥) (ص ٧٠ من الترجمة)

يقول الشهرستاني (ص ١٠٣ س ٤ أومايلية) : « والذين اغتزلوا إلى جانب
 فلم يكونوا منع على رضى الله عنه في حروبه ولا مع خصومه وقالوا لا ندخل
 في غمار الفتنة من الصحابة : عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن
 مسلمة الأنصاري وأسامة بن يزيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم . وقال قيس بن أبي حازم كنت منع على في جميع أحواله وحروبه
 حتى قال يوم صفين : انفروا إلى بقية الأحزاب انهروا إلى من يقول كذب
 الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله فعرفت إيش كان يعتقد في
 الجماعة فاعتزلت عنه » .

يقول حمزة الأصفهاني (طبعة Gollwalld) ص ٢٤٧ ومايلها : « وصورهم
 (يريد صور الأمويون العلويين) عند اغتنام حرب الشام بصورة الخوارج
 على أئمة العدل وقرروا عندهم أنهم شقوا العصا وأخرجوا أيديهم من الجماعة
 وحاولوا انزع الإمامة من إمام وليعهد إمام (لعلها ولي عهد) طامعين في أن
 يعصبوه على حق مؤروث جعله من تقدمه أولى به منهم حتى مأل عليهم

أولئك الأعتام باللعن والافتراء وقالوا لهم تباً لكم من مغشز مفارقين للسنّة والجماعة غاصين خليقة الله ثم غبروا قريبا من مائة سنة يحذرون الناس نأجيتهم يتغصونهم إلى النفوس ويتهون عن ملابتهم والاختلاط بهم حتى أتاج الله لهم متير الظلمة أبا مسلم صاحب الدولة فظهر منهم البلاد ونجى منهم العباد .
ويتبين لنا من مقارنته هذه العبارة بالتي قبلها أن رأى حمزة في الآمين وعواظقه المعتدلة نحوهم واعتباره إياهم ممثلين لجماعة المسلمين ، إنما يرجع إلى عاطفة وطنية طبيعية ، وأن الكثيرين من المسلمين في القرن الأول الهجري كانوا يشاطرون قيس بن أبي حازم رأيه في هؤلاء الأمويين . أنظر ما ذكره صاحب الأغاني (ج ٦ ص ١٤١) في أول الدليل الثالث ، ثم الدليل الخامس (فيما يتعلق بموسى بن طلحة) .

— ٣ —

أسباب ثورة أهل إفريقية

الطبرى ١ : ٢٨١٥

(أنظر ص ١١ ، ٣٧) (ص ٣٢ — ٣٣ ، ٧٢ — ٧٣ من الترجمة)
كان أهل إفريقية أكثر الولايات الإسلامية طاعة وخضوعا لبني أمية حتى خلافة هشام (بن عبد الملك) ، حيث أقدس بينهم بعض الدعاة (١) الذين وفدوا عليهم من العراق ودفعوهم إلى الثورة ، فقتلوا أواصر الصلة التي كانت تربطهم بدار الخلافة ، ولا يزالون على ذلك إلى اليوم X .

(١) يحتمل أن يكون هؤلاء من الخوارج . أنظر أبا الحسن (طبعة Juynboll

ج ١ ص ٣١٩ ، ٣٢٦)

X ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٩٤ أى قبل إعلان الجمهورية التركية وزوال الخلافة سنة ١٩٢٣ .

والى القارى سبب هذا الاتصال :

طالما كان يرد هؤلاء البربر على الداعين الى الفتنة من دعاة العباسيين بقولهم : « إنا لا نخالف الأئمة بما تجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم . فقالوا لهم إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك . فقالوا لهم لا نقبل ذلك حتى نبورهم (?) . فخرج ميسرة فى بضعة عشر إنسانا حتى يقدم على هشام فطلبوا الأذن فصعب عليهم . فأتوا الأبرش فقالوا أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فاذا أصاب قتلهم دوننا وقال هم أحق به ، فقلنا هو أخلص لجهادنا لأننا لا نأخذ منه شيئا ، إن كان لنا فهم منه فى حل ، وإن لم يكن لنا لم نرده . وقالوا إذا حاصرنا مدينة قال تقدموا وأخر جنده ، فقلنا تقدموا فانه ازدياد فى الجهاد ومثلكم كفى اخوانه ، فوفيناهم بأنفسنا وكفيناكم .

« ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها عن السخال يطلبون الفراء البيض لأمر المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة فى جلد ، فقلنا ما أيسر هذا لأمر المؤمنين ، فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك .

« ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا ، فقلنا هذا ليس فى كتاب ولا سنة ، ونحن مسلمون . فأحببنا أن نعلم أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا . قال : (الأبرش) تفعل . فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم كتبوا أسماءهم فى رقاع ورفعوها الى الوزراء وقالوا هذه أسماؤنا وأنسابنا ، فان سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه .

ثم كان وجههم الى إفريقية ، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على إفريقية ، وبلغ هشامما الخبر وسأل عن النفر ، فرفعت إليه أسماؤهم ، فاذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا . »

Cf. Dozy , Histoire des Musulmans d' Espagne, I. - 34 suiv.



الخوارج في عهد الأخيرين من خلفاء بني أمية

(أنظر ص ٣٧) (ص ٧٢ ، ٧٣ من الترجمة)

والى القارىء طرفاً من هذه الخطبة التى خطبها فى مسجد المدينة ،
أبو حمزة الخارجى من بلاد اليمن علّاه يتبين منها ميول هؤلاء المنشقين
ووجهة نظرهم .

(الطبرى ٢ : ٢٠٠ ، والأغانى ج ٢٠ ص ١٠٤ ، والعقد الفريد ج ٢ ص ١٩٠)
« أتعلمون يا أهل المدينة أننا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا
بطراً ، ولا عبثاً ولا لهواً ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا ثأراً
قديم نيل منا . ولكننا رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وعنف القائل
بالحق ، وقتل القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً
يدعو الى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعى الله . (ومن لا يجب داعى
الله فليس بمعجز فى الأرض) . (القرآن الكريم سورة ٢٦ آية ٣١) .

« فأقبلنا معه قبائل شتى ، النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم
يتعاورون لحافاً واحداً ، قليلون مستضعفون فى الأرض . فأنا الله وآيدنا
بنصره ، وأصبحنا والله بنعمته إخواناً .

« ثم لقينا رجالكم بقديد ، فدعوناهم الى طاعة الرحمن وحكم القرآن ،
ودعونا الى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان . فشتان لعمر الله ما بين
الغى والرشد . ثم أقبلوا يهرعون يزفون ، قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه ،
وغلت بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب
بكل مهند ذى رونق . فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب .

منه المبطلون

« يا أهل المدينة ! من زعم أن الله تعالى كلف نفساً فوق طاقتها أو سأل عما لم يؤت بها ، فهو لله عدو ولنا حرب . يا أهل المدينة ! أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوي على حبه للضعيف ، فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذ جميعها لنفسه مكابراً محارباً لربه . ما تقولون فيمن عاونه على فعله ؟ »

« يا أيها أهل المدينة ! بلغني أنكم تلتقصون أصحابي : قلتهم هم شباب أحداث وأعراب خفاة . ويلكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أحداثاً شباباً ، شباباً والله مكتهلون في شبابهم ، غضية عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم . قد باعوا الله عز وجل أنفيساً بموت بأنفس لا تموت . فقد خلطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم ؟ »

« ولنايت أيضاً بما نقله صاحب الأغاني (ج ٢٠ ص ١٠٦) عن الخلفاء الراشدين ثم الأمويين :

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب وبين له فيه ما يأتي ويذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم وقد أدى الذي عليه ، لم يدعكم من أمركم في شبهة . ثم قام من بعده أبو بكر ، فأخذ بسنته وقاتل أهل الردة ، وشمر في أمر الله حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ومغفرته ! ثم ولي بعده عمر ، فأخذ بسنة صاحبيه وجند الأجناد ومصر الأمصار وحيي النبي فيقسمه بين أهله ، وشمر عن ساقه وحسب عن ذراعه وضرب في الحمر ثمانين . وقام في شهر رمضان ، وغزا العدو في بلادهم ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ! ثم ولي من بعده عثمان بن عفان ، فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه ، ثم

أحدث أحداثاً ، أبطل آخرتها أولها ، واضطرب حبل الدين بعدها ،
فطلبها كل امرئ لنفسه ، وأسر كل رجل منهم سريرة أباها الله عنه ،
حتى مضوا على ذلك .

« ثم ولي علي بن أبي طالب ، فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً
ومضى . ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابن لعينه ، وحلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤلف طليق .
فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، وبغى دينه
عوجاً ودغلاً ، وعمل بما يشتهي حتى مضى لسبيله ، فعل الله به وفعل ! ثم ولي
بعده ابنه يزيد الجور ويزيد الصقور ويزيد الفهود ويزيد الصيود ويزيد
القروء ، خالف القرآن واتبع الكهان ونادم القرد وعمل بما يشتهي ، حتى
مضى على ذلك ، لعنه الله وفعل به وفعل ! ثم ولي مروان بن الحكم طريد
لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وابن لعينه ، فالعنوه وألعنوا آباءه .
« ثم تداولها بنو مروان بعده أهل بيت اللعنة ، طردوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وآله ، وقوم من اللقطاء ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا
التابعين باحسان . فأكلوا مال الله أكلاً ، ولعبوا بدين الله لعباً ، واتخذوا
عباد الله عبيداً ، ويورث ذلك الأكر منكم الأصغر . فيا لها أمة ما أضعفها
وأضعفها ، والحمد لله رب العالمين !

« ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى ، قد نبذوه
وراء ظهورهم ، لعنهم الله فالعنوهم كما يستحقون . وقد ولي منهم عمر بن
عبد العزيز ، فبلغ ولم يكد ، وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله ،
ولم يذكره بخير ولا شر . ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه
غير مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ولم يؤانس رشده ،
وقد قال الله عز وجل (فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) (القرآن
الكريم سورة ٢ آية ٥) ، فأمر أمة محمد في أحكامها ودمائها أعظم من ذلك

كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيما . . . يشرب الحرام ويأكل الحرام ويلبس الحرام ، يلبس بردين قد حيكتا له وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقل ، قد أخذت من غير حلها وصرفت في غير وجهها بعد أن ضربت فيها الأبخار وحلقت فيها الأشعار ، واستحل ما لم يحل بعد صالح ولا لني مرسل .

« ثم يجلس حجابة عن يمينه وسلامة عن شماله تغنيانه بمزامر الشيطان ، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصاً بعينها ، حتى إذا أخذت مأخذها فيه ، وغالطت روحه ولحمه ودمه ، وغلبت سورتها على عقله ، مزق حليته ثم التفت إليهما فقال : أتأذن لي أن أطير ؟ نعم ! فطار إلى النار إلى لعنة الله حيث لا يدرك الله . »

المهديون من غير آل البيت

(أنظر ص ٥٩ ، ٦٢) (ص ١١٦ ، ١٢١ من الترجمة)

روى ابن سعد حديثاً جاء فيه أن موسى بن طلحة هو المهدي المنتظر . وقد أشرنا إليه عند كلامنا على الهرج . وإلى القارئ نص هذا الحديث نقلاً عن ابن سعد (الطبقات God. Goth. 1748 f. 1082 suiv.) :
(عن) « خالد بن سمير قال : قدم المختار بن أبي عبيد الكوفة ، فهرب منه وجوه أهل الكوفة . فقدموا علينا هؤلاء البصرة وفيهم موسى بن طلحة ابن عبيد الله ، وكان الناس يرونه في زمانه هو المهدي . قال فغشيه ناس من الناس ، وغشيته فيمن غشيه ، فاذا شيخ طويل السكوت قليل الكلام طويل الحزن والكآبة إلى أن قال يوماً : والله لأن أكون أعلم أنها فتنة لها اتقضاء أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا وأعظم الخطر . فقال رجل من القوم :

يا أبا محمد ! ما الذى ترهب وأشد أن تكون فتنة ؟ قال : أرهب الهرج .
 قال وما الهرج ؟ قال : الذى كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يحدثون : القتل بين يدي الساعة لا يستقر الناس على إمام حتى تقوم الساعة
 عليهم . وهو كذلك وأيم الله ، إن كان هذا لوددت أنى على رأس جبل
 لا أسمع لكم صوتاً ولا أرى لكم داعياً حتى يأتينى داعى أبى . قال : ثم
 سكت ، ثم قال : يرحم الله عبد الله بن عمر أو أبا عبد الرحمن ، إنما سماه وإما
 كناه . إني لأحسب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عهد إليه
 لم يفتن ولم يتغير . والله ما استقر به قریش فى فتنها الأولى . فقلت فى نفسى
 إن هذا ليزرى على أبيه فى مقتله قالوا وتحول موسى بن طلحة إلى الكوفة
 ونزلها وهلك بها »

وقد ذكر ابن حجر (ج ٣ ص ٩٩٠ ، ٩٩٦) أن موسى بن طلحة هو
 المهدي . كذلك ورد حديث الهرج فى « الفائق » للزمخشري .
 وقد جاء فى تلك الأحاديث التى ننقلها عن ابن سعد أن عمر بن عبدالعزيز
 هو ذلك الرجل الذى سيملاً الأرض عدلاً .

(عن) « جويرة بن أسماء عن نافع قال عمر بن الخطاب : ليت من ذوالشين
 من ولدى الذى يملأها عدلاً ؟ . (عن) نافع عن ابن عمر قال : كنت أسمع
 ابن عمر كثيراً يقول : ليت بشغرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة
 يملأ الأرض عدلاً ؟ قال ابن عمر : إنا كنا نتحدث أن هذا الأمر لا ينقضى
 حتى يلى هذه الأمة رجل من ولد عمر يسير فيها بسيرة عمر بوجهه شامة .
 قال فكنا نقول هو بلال بن عبد الله بن عمر وكانت بوجهه شامة . قال حتى
 جاء الله بعمر بن عبد العزيز وأمه أم عامر بنت عامر أم عمر بن الخطاب . قال
 يزيد ضربته دابة من دواب أبيه فشجته . قال : فجعل أبوه يمسح الدم ويقول
 سعدت إن كنت أشج بنى أمية . وأخبرنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفى
 قال يا عبد الجبار بن أبى معن ! قال : سمعت سعيد بن المسيب وسأله رجل فقال :

يا أبا محمد ! من المهدي ؟ فقال له سعيد أدخلك دار مروان ؟ قال : لا . قال فأذن عمر بن عبد العزيز للناس فانطلق الرجل حتى دخل دار مروان فرأى الأمير والناس مجتمعون . ثم رجع إلى سعيد بن المسيب وقال : يا أبا محمد ! دخلت دار مروان فلم أرا أحداً أقول هذا المهدي . فقال سعيد بن المسيب وأنا أسمع : هل رأيت الأشجج عمر بن عبد العزيز القاعد على السرير ؟ قال نعم اقال فهو المهدي . (عن) مسلمة بن عبد العزيز قال : سمعتُ العرزمي يقول : سمعتُ محمد بن علي يقول النبي ما زال منا والمهدي من بني عبد شمس ولا نعلمه إلا عمر بن عبد العزيز . قال وهذا في خلافة عمر بن عبد العزيز . أخبرنا مسلم بن إبراهيم قال : حدثني أبو بكر بن الفضل بن المؤتمر العكي قال : حدثني أبو يعقوب مولى لهند بنت أسماء قال : قلت لمحمد بن علي إن الناس يزعمون أن فيكم مهدياً ، فقال إن ذاك كذاك ولكنه من بيت عبد شمس . قال كأنه عنى عمر بن عبد العزيز .

أنظر الطبري (٢ : ١٣٦٢ س ١٢ وما يليه واليعقوبي طبعة Houtsma ج ٢ ص ٣٦٩ س ٢) .

سليمان بن كثير والكفيت

كتاب المقفي الكبير للمقرئ مخطوط ، المكتبة الأهلية بباريس ، ورقة ٨٠ ب .

وكان سليمان بن كثير الخزاعي من النقباء . فلما قدم أبو جعفر أخو أبي العباس على أبي مسلم قال له : إنا كنا نحب تمام أمركم وقد تم بحمد الله ونعمته ، فاذا شئتم قلبناها عليه . وكان محمد بن سليمان بن كثير خدasha فكره تسليم أبيه الأمر إلى أبي مسلم . فلما ظهر أبو مسلم وغلب على الأمر قتل محمد ثم

أتى سليمان الكفّية وهم الذين بايعوا على أن لا يأخذوا مالا وأن تؤخذ أموالهم إن احتيج إليها ، ويدخلون الجنة . ويقال إنهم أعطوا كفّاً من الحنطة فسموا الكفّية . وقال لهم : حفرنا نهراً بأيدينا لبناء غيرنا فأجرى فيه الماء ، يبنى أبا مسلم . فبلغ قوله أبا مسلم ، فاستوحش منه وشهد عليه أبو تراب الداعية ومحمد بن علوان المروروذى وغيرهما في وجهه بأنه أخذ عنقود عنب وقال اللهم سود وجه أبا مسلم كما سودت هذا العنقود واسق دمه . وشهدوا أن ابنه كان خداشياً وأنه بال على كتاب الأمام . فقال أبو مسلم لبعضهم : خذ به وألحقه بخوارزم . وكذلك كان يقول لمن أراد قتله ، فقتل سليمان ابن كثير .

ولم ترد هذه المعلومات الشائكة المفصلة وتلك النبذ الجزئية الصغيرة في كتب الكثيرين من مؤرخى العرب . وقد انفرد المقرئى بذكر بعض شذرات منها فى كتابه « النزاع والتناصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم » (طبعة Voss ص ٥٣) . ومما يؤسف له أن المقرئى لم يشر الى أى مصدر من المصادر التى نقل عنها تلك المعلومات . وليس بعيداً أن يكون المؤرخون المعاصرون للدولة العباسية قد حذفوا من كتبهم كل ما عساه أن يغض من شأن هذه الدولة ، من تلك النبذ والاخبار التى لم يعد يخشى المؤرخون المعاصرون للمقرئى فى ذكرها جانب العباسيين .

﴿ انتهى ﴾



فهرس الكتاب

١ — الفهرس العربى

الراوندية (٩٨) قتله خدasha داعى الخرمية	١
الاسرائيليات ١٠٧ - ١٣٥	ابراهيم بن عبد الله بن مطيع (١١٨)
آسيا الصغرى ٤٤	ابراهيم بن محمد (بن على العباسى) ٩٧
الاشراقية - أنظار اللاءدرية	أبيورد ١٢٩
أشرس - والى بلاد ما وراء النهر ٥١ ، ٦٢ ، ٥٥ ، ٥٣ ، ٥٢	الأتراك ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٦١
ابن الأشعث بن عبد الرحمن ٤٣ ، ٤٢	أتومفا ١٣ (اعتناق أهلها الاسلام)
(خروجه على بنى أمية) ٨١ ، ٥٧ ، ١٢٠ ، ١٠٩	ابن الأثير ٣٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١٦
الأصبغ - عبد العزيز ١١١	أجتاى (المغولى) ٩
إصهيد ٤٧	الأحزاب ١٨
اصطخر ٢٥ ، ١٢٠	أدرقة ١٠٠
الأغانى - كتاب ٤٧ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٩١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ،	إرتس - نهر ١٣
١٢٤ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٢	أرنولد - الاستاذ المرحوم السير ٨ ، ١٠ ، ١٣ ، ٨٦
إفريقيه ١٣ ، ١٣٩ ، ١٤٠ (أسباب ثورتهم)	أزبك خان - زعيم القبيلة الذهبية ١٠
الأفلاطونية ٧٥	الاستخراج (أو التكشيف) ٣٢
الأ كاسرة - أنظر آل ساسان	ابن اسحق ١١٨
	أسد بن عبد الله - والى خراسان ٣٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٨٧ ، ٩٧ (قتله)

الامام — الأمامية ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٨	بخارا خوده ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٨٧
(عصمة الأئمة) ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٠	البخارى ١١٦ ، ١١٧
(الامام الثانى عشر) ١٠٣ ، ١٣٨ ، ١٤٧	بخارى ٩ ، ١٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤
انتشار الاسلام ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٦	٥٥ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٨٦ ، ١٣٢ (ثورة شريك)
انتشار الاسلام فى أوروبا ١٠ — ١٤	بدر ٨٤
انتشار المسيحية والاسلام ٦ ، ١٤	بذغيس ٤٦
الأنجيل ١٢	أبو براء ١٧
أنس بن مالك ١١٨	براون ١٠٢
الانساب للبلاذرى ٥٤ ، ٥٧ ، ١٢٠ ، ١٢٥	البربر ٧٢
الأنساب للسمعاني ٩٥	بركة خان المغولى ٩
آندا (حفيد كويلاى المغولى) ٩	بشرويه (بلاد الفرس) ١٠٠
إندوسكيث ٤٤	البصرة ٥٦ ، ٥٧ ، ٧١ ، ٩٣ ، ١١٦ ،
أهل الكتاب (اليهود والنصارى)	١١٧ ، ١٤٤
٨ ، ٧	بغداد ٨ ، ٩٦ ، ١٠٠
أوب — نهر ١١٣	البكتريان ٤٤
الأوس ٦	بكر — قبيلة ١٨
إيطاليا ١١	بكير بن ماهان ١٠٥
إيلياء ٧ ، ٢٠ ، ٣٥	البلاذرى ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ،
	٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٢٧ ،
	٧٠ ، ٧١ ، ٨٠ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ،
	١٣٨
البابية ٩٧ ، ١٠٠ — ١٠١ (تاريخهم) ١٠٢	بلخ ٤٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٦
بازان — عامل كسرى على اليمن ٦ ، ٧	بلال مؤذن الرسول ٨٣
الباطنية ١٠٢ ، ١٠٣	بلال بن عبد الله بن عمر ١٤٥
البحرى (كتاب شرح المنهج) ٩٠	

ب

الترمذى ١١٧، ١١٩	البلدان لليعقوبى ١٣٤
تغشادة - أمير بخارى ٤٨، ٤٩، ٥٤	البلغار ١١
٨٧، ٥٥	بنيامين (بطريق القبط) ٢٠
تكودار احمد - خان المغول ببلاد	أبو البهاء ١٠١
الفرس ١٠، ٩	البهائية ١٠٠
تميم الدارى ١١٤	بهاول الخارجى ١٢٥
التنبؤ بالأشخاص والحوادث المعينة	البوذية - البوذيين ٨، ٩، ٨٢، ٨٣، ٩٧
١٠٧ - ١١٤ (بمسير العالم) ١١٩ - ١١٤	بيت المال ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥
التنبؤ برجعة عيسى ١١٩	٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٩، ٥٠، ٥٣
التنبؤ والاشراف للمسمودى ١٢٠، ١٣٠	٥٤، ٥٥، ٥٨، ٥٩
ثيودوسيس ٨٢	بئر معونه ١٧
التوراة ٧٥، ٨٢، ١٠٧	البيزنطية - الدولة ٧، ١٠
التوقف ٧٩	
ث	ت
ثابت قطنة - ثورته فى خراسان ٦٠ - ٦١	تانبوت - ولاية ٩
ج	التأويل ٨٨
جذيمة ١٥	التبت ٨٢
الجراح - والى بلاد ما وراء النهر ٥١	تبلسك ١٢
جرجان ٢٣	تببيع - ابن امرأة كعب الأخبار ١١١
جزيرة العرب - أنظر بلاد العرب	التتار - أو المغول - انتشار الاسلام
الجزية - أنظر الخراج	بينهم ٨ - ١٤، ٨٦
جعفر الصادق ١١٣	تجيك ٤٤، ٤٥
بلاد الجزيرة ٢٩، ٧٢، ٧٤، ٩٣	التركستان ١٢، ٤٤، ٤٥، ٨٢
	ترمد ٦٣

الحره - موقعة ١١٨	جنگيز خان ٨
حروراء ٧١ ، ٧٤ ، ٩٣	الجنيد - والى خراسان ٦٢
حزب - أحزاب ٦٨ (حزب أهل	أبو جهل ٨٣
جهم بن صفوان - أحد رؤوس المرجئة السنة) .	
١٠٤ (الحزب الخراساني)	٦٥ (رأيه في الأيمان) ١٠٨
حزب بنى أمية ٦٩ ، ٧٠	جوزجان ٤٦
حزب الخوارج ٦٨	جو شنخ ١٢٩
حزب الشيعة ٦٨	جولد تزيهر ٣٧ ، ٣٨
الحسين بن الحسن بن على ١٣٣	جيغويه ٤٦
الحسن بن على ٨٠	
الحسين بن على ٨٠ ، ١١١	ح
ابن عبد الحكم ٢٧	الحارث بن سريج ٦٠-٦٧ (ثورته في
حليمة السعدية - أم الرسول من	خراسان) ٧٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١١١
الرضاع ٨٥	١٢٦ ، ١٢٥
حمزة الاصفهاني ١٣٨ ، ٥٤	الحارث بن عبيد الله الجعدي الشاعر ١٢٢
أبو حمزة الخارجي ١٢٥ ، ١٤٠	حبابه - مغنية يزيد بن عبد الملك ١٤٤
الحميمة ٩٣	الحبش - الاحباش ١١٦
ابن حنبل - الامام ٩٠	الحجاج بن يوسف الثقفي ٢٥ ، ٢٨ ، ٤١
ابن الحنفية - محمد ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ،	٤٣ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ١٠٩
٩١ (انكاره ما نسب اليه من احاطته	١١٢ ، ١٣٢
بعلوم ما وراء الطبيعة)	الحجاز ٧١ ، ٨٤ ، ١٠٩
أبو حنيفة - الامام ٩٨	ابن حجر العسقلاني ٨٦ - ١٤٥
أبو حنيفة الدينوري ١٢٩	الحديبية - صلح ١٨ ، ٨٥ ، ٩٥ (شجرة
الحيثيون ٤٤	الحديبية) .

الحيرة ٩٨

خ

- ابن خرداذبة ٤٢
الخرمية ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ (اشتقاق الاسم) ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٣٠
خزاعة - قبيلة ١٨
الخزر ٤٦
الخزرج ٦
الخطط للمقريزي ٦٥ ، ٧٠
الخليفة ٣١ ، ٧٤ ، ٧٩
ابن خلدون ١٠٩ ، ١٢٤
الخلفاء الراشدون ٧ (معاملتهم لأهل الذمة) ٦٨ ، ١٤٢
ابن خلكان ٩١ ، ١١٨
الخوارج ١٤ (حزبهم) ٦٩ ، ٧١
(قضاء عبد الملك على ثورتهم) ٧٢ ،
٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٢
١٣٩ ، ١٤٠ - ١٤٤ (في آخر الدولة الأموية) ،
خوارزم ١٤٧
خوذةستان ٣٠
- خالد بن عبد الله القسري - والي العراق ٣٢
خالد بن الوليد ٦ ، ١٥ ، ١٦
خالد بن يزيد بن معاوية ١١٩
الختل ٤٦
ختلان ٤٦
خداش (داعي الخرمية) ٩٨ - ٩٩ ،
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥
الخراج ١٥ ، ٢٠ ، ٢٦ - ٣٤ ، ٣٥ ،
٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ٧٣ (تطور النزاع بين الأمويين والموالي) ١٣٠ ، ١٣٦ ،
١٣٧ - ١٣٨ (مرو)
الخراج - كتاب أبي يوسف ٣٩ ، ٣٢
(نظام الأمويين في جبايته) ٣٤ ، ١٢٥
خراسان ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٤ -
٥٦ (الحالة في) ٥٨ ، ٦٠ - ٦٧ (ثورة الحارث بن سريج) ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ -
٩٤ (وصف ابن الفقيه الجعفي لأهله)
٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١١٨
١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ -
١٣٨ (الشؤون المالية واصلاحيات نصير ابن سيار) .
- دار الاستخراج - النظر الاستخراج
دار الندوة ١٦
أبو داود (كتاب السنن) ١١٦ ، ١١٧

د

١٢٦، ١١٩	
الدجال ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩ -	ذ
١٢١ (ظهوره)	أبو ذر الغفاري ٢٢
دجله ١١٢	أهل الذمة ٣٧
دحية بنت الأصبح بن عبد العزيز	ر
الأموي ١١١	
الدردير - صاحب كتاب الشرح	رأس الجالوت اليهودي ١١١
الكبير ٩٠	رافع بن الليث ١٣٢ (خروجه على
الدعاة الاسلامية للمرحوم السير	العباسيين)،
توماس أرنولد ٨	الراوندية ٨١، ٩٦، ٩٧ - ٩٨
الدعوة - الدعاة ٧٩، ٩٢ (الدعوة	(عقيدتهم وعبادتهم أبا جعفر)، ٩٩، ١٠٢
الهاشمية في العراق) ٩٣، ٩٤ (اضطهاد	رُبَيْل - أمير سجستان ٢٥، ٤٦
ولاية خراسان للدعاة) ٩٤ - ٩٥ (أثر	الردة ٥، ٨٤، ٨٧ - ٩٠
الدعاة العباسيين) ٩٦، ٩٧، ٩٨،	الرجعة ٧٩
١٠٣ - ١٠٥ (انتقال الدعوة العباسية	بنو الرجيع - سرية ١٧
إلى خراسان) ١٢٧، ١٣٩	رستاق - رستاق ٣٠، ٢٥
دمشق ٢١، ٢٣، ٧١، ٩٣	ابن رسته ٧٠، ٨٠
دينار - أمير نهاوند ٢٦	الرشيد ١٣٢
الدينوري ٩٤، ١٢٥، ١٢٩	رضوى - جبل ٨١
دهقان - دهاقين ٣١، ٣٤، ٣٦، ٣٨	الرسول - انظر محمد صلى الله عليه وسلم
٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٥، ٦٢	روب ٤٦
٦٣، ١٣٠، ١٣٦	الروسيا ١١٩، ١٢٠
الديوان ٣٨	الروم، الرومان - بلاد ١٤، ١٩، ٣٠
ديوان الفرزدق ٧١، ٨١	٨٦، ٢١

سعد بن أبي وقاص ١٣٨.٦	رومة ٢٢
سعيد بن عثمان ٢٣	الري ١٣١
سعيد بن المسيب ١٤٥، ١٤٦	
السعد ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٦٠، ٦١	ز
السفاح ١٣١، ١٣٢، ١٤٦	الزبير بن العوام ٦، ٧١، ١١٦
أبو سفيان ٨٤ - ٨٦ (حديثه مع	زردشت ١٥، ٧٥، ١٣٠
هرقل) ٩٣، ١٢٠	الزنجشري (الفائق) ١٤٥
سفيذنج ٩٥، ١٢٧	زناو - زناير ٣٤
سلامة - مغنية يزيد بن عبد الملك ١٤٤	زهر الآداب ١١٨
بنو سليم ١٧	زياد بن غنم - والي الجزيرة في عهد عمر
سليمان بن عبد الملك ٢٣، ٧١	ابن الخطاب ٢٩
سليمان بن كثير ٩٥، ١٠٣، ١٠٤	زيد بن علي ١١٣
١٠٥، ١٤٦	س
السمعاني (صاحب كتاب الأنساب) ٩٥	آل ساسان ٤٧، ٥٠، ٦٣
سمرقند ٢٣، ٢٤ (شكواها من معاملة	ابن سبأ - السبئية ٧٩ - ٨٠ (عقيدتهم)
العرب) ٤٦، ٥٢، ٥٤، ٦١، ٦٦، ٨٦	٨١ (الفرق بين عقيدة السبئية
سمنجان ٤٦	والكيسانية) ٨١، ١٠٢
سميه أم عمار بن ياسر ٨٣	السبل ٤٦
السنن لأبي داود ١٢٦	سجستان ٤٦
بنت سهم ١٢٠	سرخس ٤٧، ١٢٩
السواد ١٩، ٢١، ٢٦، ٣٩، ٤٢	سرية - سرايا ١٦
٥٠، ٧٥، ١٢٢ - ١٢٧، ١٢٩	سرية بني الرجيع ١٧
سورية ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٥	ابن سعد صاحب الطبقات ٢٨، ٩١
٣٩، ٦٢، ٦٨، ٧١، ٩٣، ١٠٠	١١٦، ١٤٤

صحيح البخارى ١٢٠، ١١٦، ٨٦
صحيح مسلم ١١٨، ١١٧
أبو صخر الهذلى الشاعر ٧٠
صفين ١٣٨، ١٢٦
صليب - صلبان ٦٥، ٨، ٧
أبو الصيداء - والى بلاد ما وراء النهر
١١٨، ١١٧، ٦١، ٦٠، ٥٣، ٥٢
الصين - الصينيون ١٠٨، ٨٢، ٤٦، ٨

ض

الضحاك بن عبد الرحمن - والى بلاد
الجزيرة فى عهد عبد الملك ٢٩
الضريبة - الضرائب ٤٣، ٤٢، ٢١
٤٩، ٥٠، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٦
١٣٧، ١٣٦، ١٣٠
الضريبة العقارية ١٣٧، ٢٠

ط

الطالقان ٤٦، ١٢٩
طالوت - نهر ٧٧
الطائف ٦
طبرستان ٧١، ٢٣
الطبرى ٢٣، ٢٢، ١٩، ١٧، ١٥، ٧
٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٦، ٢٥، ٢٤

١٣٨، ١٣٤، ١٢٢، ١١٨
سينيريا ١٣، ١٤
سيحون - نهر ٦٢، ٥٢
سيمون المجوسى ٧٥

ش

الشافعى - الامام ٩٠
الشام : بلاد - أنظر سورية
شبيب بن على - أحد أنصار على ٩٥
شريك (ثورته ببخارى) ١٣٢
شمس الدين السرخسى (صاحب كتاب
المبسوط) ٨٩
الشهرستانى ١٣٨، ١٣١، ٩٠، ٨١، ٨٠
الشورى - أهل ٩٥
شيرويه - كبرى فارس ٧
الشيعة ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٧٤ - ٧٩
(عقائدهم) ٧٩ - ٨٩ (طوائفهم الغالية)
٩٠ - ٩٥ (الشيعة الهاشمية) ١٠٠، ١٥٠
١٢٨، ١٢٢

ص

الصابئة ٩٦
صاف بن صائد - أنظر أبا الصيداء
صبح الاعشى للقلقشندي ٩

عبد الرحمن بن عوف ٦	٤١، ٣٩، ٣٨، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٢
عبد الله بن الزبير ٧١	٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٢
عبد الله بن سعد بن سرح ٢٦	٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٥٥، ٥٣
عبد الله بن العباس ٩٣، ١١٤	٨٠، ٧٨، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩
عبد الله بن عمر ١٣٨، ١٤٥	١٠٢، ٩٨، ٩٧، ٩٥، ٩٤، ٩١، ٨٦
عبد الله بن يحيى الخارجي ببلاد اليمن ٧٣	١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦
عبد الملك بن مروان ٣٩، ٣٢، ٤١	١٤٦، ١٢٠، ١٣٦، ١٣٢، ١٢٨، ١٢٦
٧٠ (في نظر الحزب الأموي) ٧١، ١٢٣، ٩٣	الطبقات الكبير لابن سعد ٩١، ١١٦، ١٢٩، ٦٢، ٤٦، ٢٣ طخارستان
عبيد الله بن زياد والى العراق ٣١	طلحة بن عبيد الله ٧١، ١١٧
عثمان بن عفان ٦، ٢٥ (مقارنة عهده	طهران ١٠١
بعده عمر) ٢٧ (خراج مصر في عهده)	طوس ٤٧، ١٢٩
٦٤، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٩، ١٤٢ العثمانية	
٧١ (العثمانية البصرية) ٧١	ع
العراق ١٨، ٢٤، ٣٩ (الضرائب	ابن عابدين (صاحب حاشية رد المحتار
الاستثنائية) ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣	على الدر المختار) ٩٠
٤٧، ٥٠، ٥٦، ٥٧، ٧٢، ٧٤، ٩٣	عاصم بن عبد الله - والى خراسان ٦٢
١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٢	حاصر بن الطفيل ١٧
١٣٤، ١٣٩	العباس بن عبد المطلب عم النبي ٩٢، ٩٧، ٩٣
العرب - بلاد ٦، ٩، ١٤ (موقفهم	العباسيون ٨ (خلافتهم) ٦٩، ٩٥
حيال الرسول) ١٦ - ١٩، ٢٠، ٢١	(تنظيم دعوتهم) ١٢٧ - ١٣١
٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٣٧، ٣٨، ٤٠	(قيام دولتهم) ١٣٣، ١٤٠
٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٦٠، ٦١	عباس بن الوليد الشاعر ١٢٣
٦٣، ٦٦، ٧٢، ٨٨، ٩٣، ١٢٢ -	

الغيبة ٧٩ ، ١٠٠ (الغيبة الصغرى) الفي ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢

ق

ف

القادسية ٢٥	فارس - بلاد ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٨
قانسوه - ولاية ٩	٣٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٢ ، ٧٥ - (عقائد
القبط ٢٠ ، ٢٧ ، ١١٢	الفرس القديمة) ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٧ ،
القبيلة الذهبية ٩	١٠٠ - ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢٠
ابن قتيبة ١١١ ، ١١٢	الفارسية ٨٢
قتيبة بن مسلم ٢٣ ، ٥٤ ، ٩٣	فالتيان ٨٢
القرغيز - في آسيا الوسطى ١٢ (تموهم	فتح الباري (شرح البخاري) لابن
إلى الاسلام).	حجر العسقلاني ٨٦
القرم ١١	فتوح البلدان للبلاذري ٢٣ ، ٣٨ ،
بنو قريظة ١٨	١٢٥ ، ١٣٦
قريش ١٦ ، ١٨ ، ٨٣ - ٨٤ (اضطهاد	الفرزدق ٧١
المستضعفين من المسلمين) ١٠٦	الفرس ٣١ ، ٧٥ ، ٨٢ (ديانتهم)
قزان ١٣	١٠٢ ، ١٣٠
القضاء ٢٠	فرغاة ٤٦
قطري بن الفجاءه الخارجي ٧١ (وفاته	الغرياب ٤٦
بطبرستان) ٧٧	ابن الفقيه ٧١ ، ٩٢ ، ٩٣
قحطان - قحطاني ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢	فلاديمير - ملك روسيا ١١
قحطبة - أحد النقباء ١٠٤	الفلجا - نهر ١١
القستطنطينية ١٠٠	فلسطين ٩٣
قلاوون - سلطان الماليك في مصر ٩ ، ١٠	الفهرست - لابن النديم ١٢٠ ، ١٣١
القلقشندي ٩	فون كريم ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٤

- قوهستان ٤٧
قيس بن أبي حازم ١٣٨ ، ١٣٩
- الكوفة ١٢ ، ٤٠ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥
٧٧ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٥ ،
١١٦ ، ١١٨ ، ١٤٤
- الكيسانية ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ (عقيدتهم) ٨١
(الفرق بين عقيدتي السبئية والكيسانية)،
٩٦ (مذهبهم) ١٠٢
- كابل ٤٧
كاترين الثانية — ملكة روسيا ١٢
الكامل للبرد ٧٨ ، ١٢٤ ، ١٢٦
ابن أبي كبشة — أبو الرسول من
الرضاع ٨٥
كتاب البابا يوحنا الثاني إلى أزبك
خان ١١ .
كتاب الرسول إلى كسرى ٦
كثير عزة ٨١ ، ٩١
كربلاء ١١١
الكرد — الأكراد ٢٨
كش ١٢٩
كعب الأحبار ١١٤
كرغز — والى بلاد فارس ٩
الكفّية — وأهل الكف ١٢٧ — ١٢٨ ،
١٤٦ ، ١٤٧
كلب — إحدى قبائل اليمن ١٢١
الكميت الشاعر ١٢٥
كنيسة — كنائس ٧ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٧٥
الكنيسة الاثوذكسية ١٢
- ل
اللاءدرية (أو الأشرافية) ٧٥ — ٧٦
(مذهبهم) ٨٢ ،
اللات ٨٣
- م
المأمون العباسي ١٣٢ ، ١٣٣
المانوية (الثنوية) ٧٥ ، ٨٢ ، ٩٦
ماوراء النهر ٢٣ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ،
٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ١٢٦ ، ١٣١
المبرد — صاحب الكامل ١٢٤ ، ١٢٦
المثلة ٣٤
المجوسية ٨٢ ، ١٣٦
أبو المحاسن ١٢٠ ، ١٣٩
محمد رسول الله ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ،
١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٧

١٢٩ ، ١٢٧ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٢٢٩	٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢
مزرك — المزكية ١٠٢	٩٥ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٥
المسعودي ٢٢ ، ٢٥ ، ١٢٠ ، ١٢٨	١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥
أبو مسلم الخراساني ٥٤ ، ٦٧ ، ١٢٧ ،	محمد بن أبي حنيفة ١١٤ ، ١١٥
١٢٨ ، ١٢٩ (تفرقه بين جند الأمويين)	محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ (عقيدة الفرس	الزكية) ١٣٣
فيه) ١٤٦ ، ١٤٧	محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ٩٣
المسيح الدجال ١١٥ ، ١١٧	٩٨ ، ١٠٥
المسيحية — المسيحيون ٨٥ ، ٩٤ ، ١٠٠	محمد بن مسلمة ١٣٨
١١ ، ١٤ ، ٦٥ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣٦	المختار بن أبي عبيد ٤٠ ، ٤١ ، ٧٥
مصر ٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧	٨١ ، ٨٤
(خراجها في عهد عمرو بن العاص) ،	المرجئة ٦٤ (عقائدهم) ، ٦٥ (في
٢٨ (في نظر الخلفاء الأمويين)	خراسان) ٦٦ ، ٧٣ ، ٩٥
المضرية ٦٢ ، ٩٤ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢	أبو مخنف — المؤرخ ١٢٠
مطرف بن المغيرة بن شعبة ٥٧ — ٥٨	المدينة المنورة ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٦ ، ١٧
(ثورته في بلاد العراق) .	١٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٧
المعارف لابن قتيبة ٨٠ ، ١١١	١٤١ ، ١٤٢
المعاون ١٩ (شرح اللفظ)	مرو ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٢٧
معاوية بن أبي سفيان ٢٧ (كتابته إلى	١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٨
واليه على مصر) ٣٠ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٤	مروان بن الحكم الأموي ٤٠ ، ٧١
٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ١٤٣	٩٣ ، ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٤٦
معجم البلدان لياقوت ٨٣ ، ١٠٩	مروان بن محمد الأموي ١١٣ ، ١١٤
المغول — أنظر التتار	١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٤١
المقاسمة — نظام ٣٠	المروانية ٧١

المهرجان ٤٨ ، ٣٠	المقتدر العباسي ١١
المهلب بن أبي صفرة ٢٤	المقدسي ٩٢
الموالي ٣٥ — ٣٨ (حالتهم الاجتماعية)	مقدمة ابن خلدون ١٠٩ ، ١١٣ ،
٣٧ — ٤٤ (حالتهم السياسية) ٥١ ، ٥٥	١٢٤ ، ١٢٦
٥٦ — ٦٠ (حالتهم في عهد عمر بن	المقرئ ٢٧ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ١٠٥ ،
عبد العزيز) ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٦	١١٢ ، ١٢٨
١٠٩ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣٢ — ١٣٥	المقفي الكبير للمقرئ ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٢٨
(علاقتهم بالعرب)	المقنع ١٣٢ (خروجه على العباسيين)
موسى بن خازم ٢٤	المقوقس ٢٠ ، ٧
موسى بن طلحة بن عبيد الله ١١٧ ،	مكة المكرمة ١٥ ، ١٨ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١
١٢١ (تلقينه بالمهدى) ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥	٨٣ ، ٩٣ ، ٩٤
المولوية ١٢ ، ١٣	ابن ملجم ٧٩
ميديا ١٩ ، ٣٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦	ملحمة — ملاحم ١١٢ ، ١١٣
ميرزا محمد علي الشيرازي (مؤسس	المنذر بن عمرو ١٧
البابية) ١٠٠	المنصور العباسي ٩٦ ، ٩٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
	١٤٦
ن	منصور بن عمر بن أبي الخرقاء (عامل
	الخراج في عهد نصر بن سيار) ١٣٧
نجد ١٧	منى ٨٣
النرسخي صاحب كتاب وصف بخاري	المهدي المنتظر ٦١ ، ٨٢ (شرح اللفظ)
٤٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥	١٠٩ ، ١١٤ ، ١٢١ (تعريف الاسم)
نزك طرخان ٤٦	١٢١ — ١٢٦ (عقيدة المهدي وأثرها
نسا ١٢٧ ، ١٢٩	في سقوط الأمويين) ١٢٣ ، ١٢٦ ،
نسف ١٢٩	١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٤ — ١٤٦ (المهديون
النصاري — أنظر المسيحيين	من غير آل البيت) .

نصر بن سيار - وإلى خراسان ٤٨ ، هند بنت أسماء ١٤٦	٤٩ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
و	١٣٦ ، ١٣٨ (اصلاحاته)
واسط ١١٢	النصيرية ٩٧
الوثنية - الوثنيون ١٢ ، ١٣ ، ٨٢	بنو النصير ١٦
وردان - وإلى مصر في عهد معاوية ٢٧	نقيب - نقيب ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،
ورقة بن نوفل ٨٣	فلدكه ٤٥
وصف بخارى للنرخي ٤٨	نهاوند - موقعة ١١٨
الوليد بن عبد الملك ٤١ ، ٤٣ ، ٥٤ ،	النيروز ٣٠
١٢٤ ، ٧١ .	هـ
وهب بن منبه ١١٤	الهاشمية (أنصار أبي هاشم بن محمد بن
ي	الحنفية) ٨١ ، ٨٢ (عقيدتهم) ٩٠ ، ٩١ ،
ياسر - أبو عمار ٨٣	٩٢ (العراق مهد دعوتهم)
ياقوت الحموي ١٠٩	هذيل - ديوان ٧
يثرب ١٦	هراة ٤٥ ، ٤٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ،
اليرموك ٢٥	الهرج ١١٥ (إطلاق اللفظ) ١١٦ ، ١١٧ ،
يزيد بن عبد الملك ٦٩ ، ١١٢ ، ١٤٥ ،	١٤٥
يزيد بن معاوية ٧٩ (إباحة الحرم	هرقل ٧ ، ٨٤ - ٨٦ (حديثه مع
المكي) ٧٠ ، ١٤٣ ،	أبي سفيان)
يزيد بن المهلب ٢٤ (ثروته) ٢٥ ،	الهرمزان ٨٨
٤٢ ، ٦٠ ، ٦٥	ابن هشام ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١١٣ ،
اليعقوبي ٢٢ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ،	هشام بن عبد الملك ٥١ ، ٦٠ ، ٦٢ ،
٣٩ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٩١ ، ١١٣ ،	٧٧ ، ١١٨ ،
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٤٦	الهند - الهنود ٨٢ ، ١٠٨ ،

اليمين —	اليمانة ٦، ٧، ٢٨، ٦٢، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ١١٨،
٦٣، ٦٨، ٧٣ (خروج عبد الله بن	١٢١، ١٣٦، ١٤٠،
يحيى) ٩٤، ١٠٤، ١١٩، ١٢٠،	يوسف البرم (خروجه على العباسيين) ١٣٢،
١٢٦، ١٢٨، ١٢٩،	يوسف بن عمر — والى العراق ٣٢، ٧٧،
اليهود — اليهودية ٨، ٩، ١٦، ١٨ —	أبو يوسف الفقيه ٢٨، ٢٩، ٣٢،
(تآمرهم على قتل الرسول) ٦٥، ٧٥،	(كتاب الخراج) ١٢٥،
٧٧، ٨٨، ٩٥ (مجلس الحواريين) ،	اليونان — بلاد ١١،

٢ — الفهرس الأفرنجي

A

Das Arabische Papier (Karabacek): 28, 34.

Arnold (Sir Thomas) (The Preaching of Islam): 8, 10, 11, 12, 86.

B

The Babis of Persia (Journal of the Royal Asiatic Society): 101.

Biblioth. (Yeog): 129.

Breschneider: 63.

Browne: 99, 100, 101.

Die Burgen und Schlösser Süd Arabiens (D.H. Müller): 120

C

Cassel (Encycl.): 76.

Chrestomathie Arabe (De Sacy): 114, 124.

Chrestomathie Persane (Schäfer): 48, 58.

Crania Ethica (Quatrefages et Hamy): 45.

Culturgeschichte des Orients (Von Kremer): 19, 27, 29, 37, 38, 42, 58.

D

Darmesteter (James): 109.

Description de Bokhara (Nerhakhi): 23 45

Dozy: 28, 37, 110, 114, 140.

Drummond: 109.

E

Edersheim (Life and Times of Jesus the Messiah): 109.

Encycl. (Cassel): 76.

Encycl. (Larousse): 76.

Encyclopaedia Britannica: 45.

Ethnographie de la Perse (Khanikoff): 45.

Exposition de la Religion de Druses (De Sacy): 99.

F

Fragmenta historicorum arabicorum, 29, 43, 72, 92, 93, 105, 113, 130.

G

Geschichte der Perser und Araber (Nöldeke): 45, 102.

Geschichte d. herrschenden Ideen (Von Kremer): 22, 39, 41.

Geschichte des Khalifen (Weil): 22, 57, 98, 124.

Gobineau: 97, 96, 101.

De Goeje: 109.

Goldziher: 37, 70, 71.

H

Haarbrücker: 80

Hamaker: 124, 125.

Herbelot (Bibliotheca Orientali): 98.

Histoire des Musulmans d'Espagne (Dozy): 28, 37, 140.

I

Der Islam in Morgen und Abendland (Müller): 58, 98, 99

Islamische Studien (Goldziher) 37.

J

The Jewish Messiah (Drummond): 109.

Journal asiatique : 45, 62, 81, 105, 114.

Journal of the Royal Asiatic Society (The Babis of Persia) : 101.

K

Karabacek (Das Arabische Papier) : 28, 34.

Khanikoff (Ethnographie de la Perse) : 45.

Kuenen : 109.

L

Larousse (Encycl.) : 76.

Legatum Warnerianum : 3.

Life and Times of Jesus the Messiah (Edersheim) : 109.

M

Der Mahdi (Snouk Hurgronje) : 78, 109.

Le Mahdi depuis les origines de l'Islam jusqu'à nos jours (James Darmesteter) : 109.

Mémoires de la Société Russe d'archéologie : 130.

Mémoires sur les Carmathes du Bahraïn et les Fatimides (De Goeje) : p. 109.

Mouradja d'Ohsson : 125.

Müller : 58, 98, 99 120.

N

Nerchakhi (Description de Bokhara) : 23, 45.

The New History of the Bab (Browne) : 101.

Nicholson (Literary History of the Arabs) : 89.

Nöldeke (Geschichte der Perser und Araber) : 45.

O

Opkomst der Abbasiden in Khorasan : 1, 38, 40, 61, 103, 110, 124.

P

The Preaching of Islam (Sir Thomas Arnold) : 8, 10, 11, 12, 86.

La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers Khalifes (Van Berchem) : 19.

Q

Quatremère : 62, 105, 110.

Quatrefages et Hamy (Crania Ethica) : 45.

R

Réflexions critiques pour servir de réponse aux éclaircissements de M. Hammer (Hamaker) : 124.

Register geneal. Tabel (Wüstenfeld) : 111.

Religion et Philosophie dans l'Asie Centrale (De Gobineau) : 101.

Religion of Israel (Kuenen) : 109

S

De Sacy : 99, 114, 124

Schefer : (Chrestomathie Persane) : 24, 48

Selecta Historiae Halebi : 97, 120.

Snouck Hurgronje (der Mahdi) : 78, 106.

Specht : 45, 53.

Sprenger (Das leben und lehre des Muhammad): 95, 116.

Streifzuge auf dem gebiete des Islams (Von Kremer): 26, 36, 37, 43, 44, 124.

T

Tableau de l'Empire ottoman (Mouradja d'Ohsson): 125.

Theophilos: 97.

Trois ans en Asie (De Goblneau): 97.

U

Ueber die länderverwaltung unter dem Khalifate (Von Hammer): 27, 28.

V

V. Giet (l'Art Arabe): 70.

Van Berchem (La Propriété territoriale et l'impôt foncier sous les premiers khalifes): 19, 40, 48.

Van Gelder (Mokhtar): 37, 80.

Von der Revue Coloniale Internationale: 109.

Von Hammer (Ueber die länderverwaltung unter dem Khalfate): 27, 28.

Von Kremer: 22, 26, 36, 38, 39, 41, 58, 134.

W

Weil (Geschichte der Khalifen): 22, 57, 80, 98, 110, 124.

Wellhausen: 70.

Wüstenfeld: 111.

Y

A Year Amongst the Persians (Browne): 99.

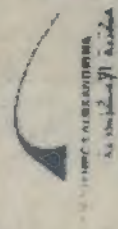
Yeog. (Biblioth.): 129.

Z

Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft: 64, 66, 97.

الخطأ والصواب

صواب	خطأ	صفحة	سطر
عسانا	حسانا	١	٢
فيها	لها	١	٣
ثار فيه في خراسان	ثار في خراسان	١	٤
الجدوى	الجدى	٢	٣
Culturgeschichte	Culturgeschichte	١٩	(١)
Nerchakhi	Nerhakhi	٢٣	(٣)
نغزو	نغزوا	٣٥	١٩
لم يكن إلا استعراضاً	لم يكن استعراضاً	٣٥	٤
Encyclopaedia	Encylopaedia	٤٥	(١)
البلاذرى	البلاذزى	٧٥	٦
بكرهة	لكراهم	٨٧	١٢
مردوا	مروا	٨٧	٢٥
إذ	إذا	٩٩	٧
حسب زعمهم	حسب زعمهم في نظرم	١٠٣	٢٢
المصريين	المصريين	١٠٨	١٥
Carmathes	Carmalhes	١٠٩	(٣)
وتقام به الشعائر	وتقام الشعائر	١١٢	٧
زيد	يزيد	١٣٨	١٢
خوزستان	خودستان	١٥٢	١٩



Bibliotheca Alexandrina



0213115